في البعد الفكري (١)

# الاتصال السياسي

كمال الدين جعفر عباس



المكتب الإسلامي

في البُعدِ الفِكْريّ (١)

# الاتِّصَال السِّيَاسيّ

كمال الدين جعفر عبّاس

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

# المقدّمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وهبه وسائل المعرفة من السمع والأبصار والأفئدة، ومنحه العقل القادر على التمييز، وآتاه من أدوات الإبصار وأسباب النظر ما يمكنه من حسن القراءة ودقة الفهم وسلامة الإدراك، ويجعله أهلاً للتفكير والتفكر والمقارنة والمقايسة والاجتهاد، والاختيار من ثمّ للوجهة التي إليها يسير، والشاكلة التي عليها يعمل، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (الإسراء: ٨٤).

والصلاة والسلام على من كان مفتاح رسالته إلى العالمين وعهده بالوحي المبين أمراً بالقراءة، المشروطة بأدواتها، باسم الله الخالق؛ الذي آتاه الله الكتابَ والحكمةَ، نوراً خالداً يرى بهما آيات الحاضر، ويسبر أغوار الماضي، ويستشرف آفاق المستقبل، بشيراً ونذيراً، لما كان وما قد يكون، من مآلات وعواقب، ليشكل هذا النور منارات هادية للسائرين على درب النبوة.

وَبَعْـد،

فهـــذه محاولة فكرية إعلامية متواضعة، للبحث في أدوات الإبصار وعوامل الاســـتيعاب للظواهـــر الإنســـانية بعامة، وظاهرة الاتصال الإعلامي بخاصة، والاتصـــال السياســـي بشـــكل أخص، لم تبلغ بعد مستوى الكمال والاكتمال والنضج المطلوب، كسائر الأعمال البشرية.. وهي وإن كانت في أصلها جهداً علمياً أكاديمياً محكّماً، إلا أنها تبقى محاولة تسعى للفت النظر إلى وسائل الفهم والإدراك وحســـن الـــتعامل والتوظيف، وأهمية توفرها للتعامل مع الظواهر جمـــيعاً، لا يخرج عن حدود الوسع والاستطاعة، التي تشكل مناط التكليف، كما يؤكد أهل الفقه الفكري.. تطرح بعض الرؤى والمفاهيم، التي قد تشكل، فيما أرى، إطاراً نظرياً وفضاءً ثقافياً لا حدود لعطائه ولا منتهى لآفاقه.

فـــتطرح مفهوم «إعلام فكرة» الذي يعتبر انبثاقاً لعلاقة طبيعية بين توأمين مـــتلازمين، متماثلين: «الفكرة» و«الإعلام»، فحيثما وجد إعلام فهو يعبر عن «فكـــرة» ويعمل لصالحها، وما غابت «الفكرة» عن الإعلام إلا وكان الخلل والاضطراب وضلال الوجهة.. فليس هناك «إعلام بلا فكرة».

وتطـــرح مفهـــوم «البعد الفكري» الذي ينشط ويعمل وينتج في فضاء «إعـــلام الفكرة» الواسع، أداة للنظر والفهم والإدراك والاستيعاب وحسن التعامل والتوظيف للظواهر الإنسانية، حتى يكاد يمتد عطاؤه متجاوزاً مجالات الإعلام والاتصال إلى المجالات الإنسانية والاجتماعية المختلفة، ليسهم من ثمّ في عمليات إعادة التشكيل الثقافي والبناء الفكري.. فهو أداة لا يمكن بدونها تصور أي إمكان للنظر المفضي إلى الفعل الرشيد.

«فالبعد الفكري» مفهوم استنبتت أجنته ابتداءً في رحم عطاء معرفة الوحي، وتخلقت في محاضن «ثقافة الذات» ومخزونها التراثي وتجربتها التاريخية، وشبّت بالنظر والتأمل في «ثقافة الآخر» المختلف، وبذل الجهد للإفادة من أحسن ما عنده.

فهو مفهوم ينطوي، بطبيعته، على معنى: «التحققِ برؤيةٍ شاملةٍ.. مفكرةٍ .. متفكرة.. عاقلة..واعية..محيطة..مبصرة..مرتكزة إلى قيم العقيدة»، يمنح «القائم بالاتصال»، إعلامياً كان أو مثقفاً أو مفكراً أو سياسياً أو باحثاً اجتماعياً... إمكانية النظر والفهم والتوجيه والتحكم بالظواهر الإنسانية جميعاً، ومعرفة سننها وكيفية التعامل معها.

وبذلك فهو يقترب، من بعضِ الوجوه، من مفهوم «العين السحرية» عند المفكر الاستراتيجي العربي المسلم مالك بن نبي، رحمه الله، التي ترقب وتراقب وتضبط مسيرة الإنتاج؛ كما يقترب من مفهوم «النظارة الحضارية» عند المفكرِ الاستراتيجي والسياسي الأميركي «زبيغنيو بريجنسكي»، التي بدونها يفتقدُ المرءُ بعامةٍ، والإعلاميُّ والمثقف بخاصةٍ، القدرةَ على الإبصار: إبصارِ الماضي (التاريخ) بعبرِه وعظاته وتجاربه وعلاقة الحاضر به، حيث لا يخرج الحاضر، كما هو معروف، عن أن يكون مستقبل الماضي وماضي المستقبل؛ والحاضرِ (الواقع) بمشكلاته وتعقيداته وكيفيات التعامل معه للمستقبل؛ والمستقبلِ (الأمل) بغيوبه وغيومه واحتمالاته.

فهي محاولة متواضعة في البحث والدراسة، وجهدٌ مأمول للفت النظر واستدعاء الاهتمام حول إشكالية «البعد الفكري»، حضوراً أو غياباً،

استقراراً أو اضطراباً، ممارسة وتوظيفاً، مقدمة ونتيجة؛ فهي، في ما أرى، من أهمِّ الإشكاليات والإصابات التي تعيق العقل العربي المسلم عن الانطلاق والإبداع، وتحاصر الممارسة المهنية، وتقعد العمل الثقافي، ليس على مستوى الفكر والفعل الإعلامي والاتصالي فحسب وإنما على مستوى الفكر والفعل في المجالات كلها، ذلك أن الاضطراب في «البعد الفكري» يؤدي بالضرورة إلى اضطراب في الرؤى والتقويمات، حيث تخيم على الأبصار غشاوة تحجب الرؤية الصافية، والنظر السليم، فيضل السائر قبلته، وتضيع عليه وجهته، وتختلط عليه السبل، ويقع في سوء التقدير، يسير تائهاً في فضاءات السراب الممتد بلا حدود، غير مدرك لما قد يكون من أخطار وعقبات وتداعيات.

فحسبها أن تأتي مجاهدة لإثارة هذه «الإشكالية» وطرحها على ساحة الفعل الثقافي العربي، وفتح ملفها المغلق، أو المغيّب، والتفاكر بصوت مسموع حول إمكانية العمل على تطويرها والارتقاء بها وكيفية اعتمادها منهجاً للبحث والدراسة وأداةً للنظر والوصف والفهم والتحليل والتفسير، والمعالجة، وحسن التعامل مع المسألة الإعلامية بخاصة والعملية الاتصالية بعامة، لا أدعي أني قد بلغتُ في ذلك الشأوَ الذي أطمحُ إليه والمدى الذي أسعى لبلوغ ما أبصره من أبعاده وآفاقه، وإنما حسبها أن تبقى إضاءة ومحاولةً استطلاعيةً استقرائية ما تزالُ تستدعي كثيراً من التأسيس والتأصيل والنظر والاستقراء والاستنتاج والتدليل على أهمية هذا المفهوم: «البعد الفكري» والدور الذي يمكن أن يضطلع به، كأداةٍ أساسٍ وبعدٍ رئيس، إن لم يكن الأداةَ الوحيدة والبعدَ الوحيد، في عملية النظر وحسن التعامل.

وحسبها كذلك أن تبقى محاولة لتأكيد علاقة الفكر بالفعل، والنية بالعمل، التي تشكو قطيعة وانقطاعاً في واقعنا الثقافي منذ أمد بعيد؛ حيث لا يوجد فعل قاصد دون أن يكون مسبوقاً بفكر راشد، إلا في عالم المخلوقات الأخرى، التي تحركها الغرائز وتدفعها الفطرة.

وقد حرصت أن لا تأتي المحاولة نظرة فلسفية تجريدية، فبحثت عما يمكن أن يبرز ملامحها ويعضد طروحاتها، من إعلامنا العربي وإعلام (الآخر) الغربي، استقراءً واستدلالاً واستشهاداً بنماذج عملية واقعية، ضمن الإطار الزماني الذي أجريت فيه.. ثم أضفت إلى ذلك جهداً علمياً تطبيقياً، يبحث عن واقع المفهوم في «الإعلام السياسي العربي المعاصر»، من خلال دراسة مسحية وصفية تحليلية «لاتجاهات الصحافة العربية المشرقية» إزاء «الإشكالية في جنوبي السودان» التي صُنعت، فيما أرى، وفقاً لرؤية حضارية معينة و«بعد فكري» مستمد منها ومرتكز إليها.

كما حرصت كذلك أن يكون مفهوم «البعد فكري» الذي اجتهدت، قدر وسعي، لكشف وتشكيل أبرز ملامحه وتحديد أهم مرتكزاته، من خلال سلسلة متصلة من العمليات الاستقرائية والاستنتاجية معاً، الممتدة على مدى سنوات، حاضراً في الجزئيات كلها، كأداة منهجية، أستقرئ من خلالها واقع الإعلام بشكل عام، والإعلام العربي بشكل خاص، في محاولة للخروج بما يمكن من الرؤى والقواعد والأطر التي تنتظم أداءه وتُحكم وجهته وتحدد قبلته.

لذلك فإن من أهم ما تتميز به هذه المحاولة، ما عملت عليه ضمناً من المزج بين منهجين: المنهج الاستنتاجي (الاستدلالي) الذي يُعنى بالنظر في

المقدمات التي أدت إلى حصول النتائج المنظورة في الواقع، والمنهج الاستقرائي الـذي يُعنى بقراءة الواقع في جزئياته المتناثرة، والوصول من خلال ذلك إلى الأطـر والمقدمـات التي تولد عنها، ومحاولة استخدامهما من ثمّ وتوظيفهما لخدمة أغراض البحث.

وتجيء هذه المحاولة في قسمين: قسم نظري فكري، وآخر تطبيقي عملي، إضافة إلى الخاتمة.

في القسـم الأول عرضت لملامح من آثار «البعد الفكري» المنظورة في عملـية «الاتصال السياسي»، استهللته بحديث عن مفهوم «البعد الفكري» ومرتكزاته الأكثر أهمية، وعرضت لما لحته من تلازم وتكامل وتداخل بين هذه المرتكزات، وعطاء كل منها للمفهوم ومعانيه.

ثم تناولـت مفهـوم «الاتصال» بشكل عام، ومفهومه إعلامياً بشكل خاص، والتأثير المتبادل بين الاتصال والسياسة؛ كما تناولت مفهوم «التوجيه والتحكم» كثمرة من ثمرات «البعد الفكري» وتأثيرهما في الاتصال السياسي، مشـيراً إلى مـا بينهما من علاقة تلازمية، تتكشف من خلال النظر في أهم مظاهـرهما، وأدواتهما، ومعابرهما.. وأضفت إلى ذلك، وإن بشكل سريع مقتضب، ثمرة أخرى تتمثل في مفهوم: «إعلام الفكرة» الذي حاولت وضع إطار عام لأهدافه ومكوناته وعناصره، وأهميته، وموارده، ومقتضيات ودواعي اسـتدعائه لسـاحة العمل الإعلامي العربي، والعلاقة الوثيقة التي تربط بين عنصريه الأساس: الإعلام والفكرة.

ثم تناولـــت أثـــر «الـــبعد الفكري» في تحقيق الاستبصار وكيفية التعامل الإعلامـــي، متخذاً من أزمة الخليج الأولى (٩٠-١٩٩١م) وهويتها الحضارية، أنموذجاً حاولت من خلاله تلمس آثار «البعد الفكري» ومدى وجوده أو غيابه أو اضـــطرابه في كلٍ من الإعلام السياسي الغربي والإعلام السياسي العربي في تعاملـــه مع الأزمة، ذلك أن الأزمات تشكل دائماً التجلي الواضح، البعيد عن التكيف «للبعد الفكري» وعرضت من خلال ذلك لنماذج تطبيقية متفردة لمـــا كـــان سائداً من «فنون التحكم الإدراكي» في عناصر العملية الاتصالية، وأنماط «التحكم» الثلاثة: التحكم الاستبدادي، والتحكم الخضوعي، والتحكم الرغائبي، التي كانت تسيطر على «إعلام الأزمة» العربي بشكل خاص.

وعرضت أخيراً لأثر «البعد الفكري» في ما أسميه: «التوليد التواصلي»، حيث اتخذت من نظرية «صدام الحضارات» للمفكر الاستراتيجي الأميركي «صـــمويل هنتنغتون» في بعدها الإعلامي والاتصالي، كخطاب إعلامي من العقـــل الغـــربي، أنموذجاً لصورة من صور الإمكان التي ينطوي عليها «البعد الفكـــري» في مجـــال التوليد والعطاء المعرفي، مبيناً ما تتوفر عليه النظرية من أوعية تواصلية، وما فيها من ملامح «للبعد الفكري»، بالنظر إلى الإمكانات والمـــنطلقات الفكـــرية لصـــاحبها، والمرتكـــزات الفكرية التي تستند إليها، واضـــطراب «الـــبعد الفكري» لدى «الآخر» الحضاري المتجسد في نقده ومحاولة نقضه للنظرية.

كمـــا قدمت تصوراً تطبيقياً لإمكانية التوظيف والإفادة من النظرية، من خلال أنموذج «الإشكالية في جنوبي السودان»، التي مضى على تفجرها أكثر من أربعين عاماً، فشلت مختلف التصورات والرؤى والنماذج في توفير تفسير أو طرح حل يعالج أسبابها ويوقف من حالة الاحتراب والدمار(١).

وأما القسم الثاني، فهو عبارة عن دراسة تطبيقية ميدانية لظاهرة: اتجاهات المعالجـــة الإخبارية في «الصحافة العربية المشرقية اليومية» للحدث السياسي في السودان بعامة وفي إطار« الإشكالية في جنوبي السودان» بخاصة، بكل ما تنطوي علـــيه مـــن أخطـــار ومهددات، على مختلف المستويات.. فتناولت: الإطار التطبـــيقي (الخطـــوات الإجرائـــية) لدراسة اتجاهات الصحافة العربية المشرقية اليومية، كما هو متبع في الدراسات الأكاديمية العليا؛ ثم استعرضت نتائج تحليل المضـــمون الإخـــباري لهذه الصحافة، الذي يكشف عن حقيقة اتجاهاتها إزاء «الإشـــكالية في جنوبي السودان»؛ وخرجت من ذلك ببعض المؤشرات الدالة عـــلى حقيقة «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي المعاصر، التي انطلقت منها إلى تقديم متواضعة محاولة لتفسير النتائج التي تم التوصل إليها، والإجابة عن تساؤلات البحث.. واختتمت بجملة خلاصات لأهم ما فيه.

أســـأل الله أن يكـــون جهداً مقبولاً، وعملاً متقبلاً، وإضاءة منيرة، ومحاولة تفتح الطريق أمام الباحثين عن أدوات الإبصار في ثقافة «الذات» و«الآخر».. إنه سميع مجيب.

---

(١) راجع في ذلك كتابنا: خلق المشكلات.. جنوبي السودان أنموذجاً، ط١ (بيروت:المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤م)

# القسم الأول

# البعد الفكري في الاتصال السياسي

# تأثير البعد الفكري
# في الاتصال السياسي

# البعد الفكري
# المفهوم .. والمرتكزات

«الـــبعد الفكري» نتيجة ومقدمة.. استنتاج وأداة.. أو هو ثمرة «فعالة» نضـــجت، إلى حـــدٍ مـــا، وتبلورت ملامحها وتحددت مرتكزاها، من خلال سلسلة متصلة من العمليات الاستقرائية والاستنتاجية معاً، الممتدة على مدى سنوات عديدة لكثير من المشكلات والأزمات، على مختلف المستويات، ليأتي اســـتخدامه من ثمّ، في هذا البحث تحديداً، كأداة منهجية، أو هكذا يراد لها، لاســـتقراء واقـــع الإعلام، العربي والغربي، ومحاولة الخروج من ذلك ببعض الرؤى والقواعد والأطر التي تنتظمه وتُحكم وجهته. غير أن استخدامه، يمتد ليتجاوز ذلك إلى مجالات الدراسات الاجتماعية والإنسانية بشكل عام.

فهـــو أداة النظر والفعل والإنتاج، التي تمنح «القائم بالاتصال» مع غيره، أيّـــاً كان المجال الذي يعمل فيه، إمكانية النظر والفهم والاستيعاب والإدراك للظواهـــر الإنسانية جميعاً، ومعرفة سننها، وكيفية التعامل معها، والمداخلة في توجيه سيرورها والتحكم بمآلات صيرورها.

وحتى يتم تقديم تصور عام للمراد بهذه الأداة-الاستنتاج، فسوف نعرض بشكل عام لثلاث مسائل، هي: مفهوم «البعد الفكري» ؛ مرتكزات «البعد الفكري»؛ التلازم والتكامل بين مرتكزات «البعد الفكري».

## * مفهوم «البعد الفكري»:

«البعد الفكري»، مفهوم يراد به معنى: «التحققِ برؤيةٍ شاملةٍ.. مفكرةٍ .. متفكرة .. عاقلة .. واعية.. محيطة.. مبصرة .. مرتكزةٍ إلى قيم العقيدة»، تمنح من يتوفر عليها، مفكراً أو مثقفاً أو سياسياً أو عسكرياً، أو «قائماً بالاتصال» بشكل خاص، إمكانية النظر والفهم والاستيعاب والإدراك للظواهر الإنسانية جميعاً، الثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية... وغيرها، ومعرفة سننها، وكيفية التعامل معها، والمداخلة فيها لتوجيه سيرورتها والتحكم بمآلات صيرورتها.

أما أنها شاملة، فلأنها نظرة كلية لجوانب الفعل الحضاري جميعها، تتجاوز النظرة التجزيئية، ولكنها لا تقفز من فوق الجزئيات، وإنما تبصر الخيط الذي ينتظمها.

وأما أنها مفكرة، فلأنها تُعمِل العقل في ترتيب الأمور المعلومة، وضبط المقدمات المنظورة، للتأدي إلى ما هو مجهول[1].

وأما أنها متفكرة، فلأنها تصرف القلب والقوى الفاعلة في الإنسان إلى معاني الأشياء، متجاوزة صورها وحقائقها، لكشف السنن وإدراك المطلوب[2].

---

(١) الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط٣(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص١٦٨.
(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

وأما أنها عاقلة، فلأنها تعتمد العقل في النظر إلى الأمور المعلومة سعياً لإدراك غاياتها.

وأما أنها واعية، فلأنها تستخدم المنهج المعرفي والأدوات المعرفية لتعي، فتعرف من أين تبدأ، وإلى أين تنتهي، وماذا تريد؟

وأما أنها محيطة، فلأنها لا تصدر في ما تنتهي إليه إلا عن إحاطة كاملة بعلم الحدث والسنن التي تحكمه.

وأمـــا أنهـــا مُبصـــرة، فلأن الإبصار والبصيرة ملكة تتحصل من استحضار ذلك كله، لتمكّن المُبصِر من رؤية الأمور، ومعرفة نتائجها، وإدراك عواقبها ومآلاتها.

وأمـــا أنها مرتكزة إلى قيم العقيدة، فلأن الاعتقاد بقيم ومُثُلٍ نزوعٌ فطـــري، يصـــوغ السلوك، ويستدعي الانسلاك في وجهتها والانضباط بمعاييرها.

«البعد الفكري» إذن: إمكان، وملكة[1]، واكتساب، يتحصلها المرء بقـــدر مـــن الاســـتعداد النفســـي، والتهيؤ الذهني، والاجتهاد العقلي، والكســـب المعرفي، يرتقي بها ويترقى بحسن استخدامها ودقة توظيفها،

(١) يستخدم تعبير ملكة هنا بمدلوله اللغوي، حيث ينصرف معناه الاصطلاحي في الدراسات الإسلامية، في الغالب، إلى المجال الفقهي أكثر من غيره من المجالات المعرفية.

حتى تصبحَ سجيةً من غيرِ تكلفٍ[1]، وفراسةً صادقةً[2] ذات بصيرة[3].

وهـــو حصيلةٌ لمجموعةِ معارفِ الحواسِّ، التي يستخدمُها الإنسانُ جميعاً ليتولى العقلُ النظرَ والتحليلَ والمقارنةَ والترشيدَ والتوليد، مما سيتبين لاحقاً.

ويقـــترب «الـــبعدُ الفكـــريُ» من بعضِ الوجوه، من مفهوم «**العين السحرية**» عند المفكر الاستراتيجي العربي المسلم مالك بن نبي، رحمه الله، كمـــا يقـــترب من مفهوم «**النظارة الحضارية**» عند المفكرِ الاستراتيجي والسياســـي الأميركـــي «زبيغنـــيو بريجنسكي»، التي بدونها يفتقدُ المفكر والمـــثقف والباحـــث والإنســـان بعامةٍ، والإعلاميُّ بخاصةٍ، القدرةَ على الإبصار: إبصارِ الماضي (التاريخ) بعبرِه وعظاته وتجاربه وعلاقة الحاضر به؛ والحاضـــرِ (الواقع) بمشكلاته وتعقيداته وكيفيات التعامل معه للمستقبل؛ والمستقبلِ (الأمل) بغيوبه واحتمالاته.

---

(١) السجية هي الطبيعة والخلق؛ ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، د.ط.، مج٢ (بيروت: دار لسان العرب، د.ت) ص١٠٤.

(٢) «فـــي الترمذي من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّـــهُ يَـــنْظُرُ بِـــنُورِ اللَّهِ** " ثم تلا قوله تعالى: (**إن في ذلك لآيات للمتوسمين**) (الحجر:٧٥).. وفراسة المؤمنيـــن صـــادقة دائماً. وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكـــاذب. وحقيقـــتها أنها خاطر يهجُم على القلب ينفي ما يضادُهُ، يثب على القلب كوثب الأسد على الفريسة»؛ ابن قيم الجوزية، **تهذيب مدارج السالكين**، ط ٥، مج٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م) ص٧٨٠؛ غـــير أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني قد ضعف حديث الترمذي هذا، **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة**، ط ١، مج٤ (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٨م) ص٢٩٩.

(٣) يقال للفراسة الصادقة: فراسة ذات بصيرة؛ ابن منظور، مرجع سابق، مج ٢، مادة (بصر)، ص٢١٨-٢١٩.

## * مرتكزات البعد الفكري:

وفي ضوء ذلك، ينهضُ مفهوم «البعد الفكري» على ثمانية مرتكزات، تشكل بمجموعها بعض عناصره ومكوناته وأركانه الأساس، سوف نكتفي هنا بالإشارة إليها، دون الدخول في كثير تفصيل، قد لا يكون مطلوباً هنا لإيضـــاح المراد بالمفهوم، وإن كان بعضٌ من ذلك سوف يرد لاحقاً، في إطـــار ما نراه من تلازم وتكامل بين بعض هذه المرتكزات، التي قد تكون مظنة التوهم بالتداخل بين المفهوم وبعض مكوناته.

وهذه المرتكزات الثمانية هي:

- الشمولِ في الرؤيةِ،
- التفكيرِ في الأمورِ المعلومة؛
- التفكرِ في معانيَ الأشياءِ؛
- إعمالِ العقلِ لإدراكِ الغاياتِ واستبصار العواقب؛
- الوعيِ المطلوبِ لتوفر القدرةِ والإرادة؛
- الإحاطةِ بعلم الشيء؛
- البصيرةِ المتولدةِ عن ذلك كله؛
- الارتكازِ إلى قيم العقيدة.

## * التلازم والتكامل بين مرتكزات البعد الفكري:

تسنطوي ركائز المفهوم على كثير من نقاط الالتقاء والتلازم والتكامل والتجاور، وربما التداخل، كما هو الحال مثلاً بين:

- الفكر والتفكر.
- الوعي والعقل(١).
- إعمال العقل والإبصار(٢).
- الشمول في الرؤية والارتكاز إلى قيم العقيدة(٣).

إلاّ أن التلازم والتكامل والتجاور الذي يلحظ بين «الفكر» و«التفكر»، يعتبر من أبرزها وأدقها، من غير أن يكون في هذا التلازم ما ينبئ عن إمكانية الاستغناء بأي منهما عن الآخر، أو يكون بديلاً عنه، أو عن المفهوم ذاته، في إطاره العام.. فلا الفكر وحده ولا التفكر وحده هو ما يراد بمفهوم «البعد الفكري»، وإنما يشكل كل منهما، في إطارٍ من التكامل والتجاور، جزءاً منه وبعضاً من مكوناته.. فهو نسيج من هذا «البعض» وذاك.

ولدقة العلاقة بين الفكر والتفكر، في إطار دلالة اللفظ على المفهوم، مع الأخذ بعين الاعتبار ما ذهب إليه علماء فقه اللغة من أن تقارب الألفاظ يشير

---

(١) الوعي، مجموع القوى الفاعلة في الإنسان، والعقل جزء منها، مثله في ذلك مثل الإبصار والتفكر.

(٢) «الرؤية المبصرة»، في مفهوم«البعد الفكري»، هي رؤية من القلب وليس من العينين.. تتأتى كثمرة للعلم اليقيني والبرهان الشرعي والدليل العقلي، فتمكن صاحبها من التمييز بين الأمور، والإحاطة بعلمها، والسبق إلى إدراكها.. وبمعنى آخر: هي رؤية بصيرة، تمنح إمكان النظر والاستنتاج والاستقراء والتوليد وكيفية التعامل، والانتقال من النظر إلى البصر فالإبصار، ومن الظن إلى اليقين.. وإذا كانت العين نافذة العقل، فإن الإبصار دليل القلب.. ويبقى أن علاقة الإبصار بالعقل، في أبسط معانيها تتلخص في أن الإبصار إنما يكون ابتداءً بالنظر العقلي في الأمور.

(٣) يبرز التلازم بين الشمول في الرؤية والارتكاز إلى قيم العقيدة بالنظر إلى أن كليهما يتصل، ابتداءً وانتهاءً، بالعقيدة التي يعتنقها صاحب البعد الفكري، ويتقاطعان عند حدود ثقافته التي تعبر عن هذه العقيدة، سماوية كانت أم وضعية.

إلى وجـــود مساحة من المعنى المشترك بينها[١]، ودفعاً لما قد يقع من التباس، فسوف يتم الاقتصار عليهما، كأنموذج، لبيان التلازم بين مرتكـــزات «البعد الفكري»، وعطاء كل منها لمفهومه ومعانيه، وذلك من خلال مسائل أربع:

الأولى: مفهوم الفكر.

الثانية: العلاقة بين الفكر والتفكر.

الثالثة: علاقة الفكر بالفعل.

الرابع: تعامل الفكر مع الواقع.

## المسألة الأولى: مفهوم الفكر:

الفِكْرُ في اللغة: إعمال الخاطر في الشيء... والفِكْرَة: كالفكر، وقد فَكَر في الشـــيء وأَفْكَر فيه وتفَكَّر بمعنى.. والتفكر اسم التفكير.. والتفكر التأمل، والاسم الفِكْر والفِكْرة، والمصدر الفَكْر، بالفتح[٢].

ويقـــول بعضـــهم: (الفكر) مقلوب عن ( الفَرْك)، لكن الفرك للأمور الحســـية كمـــا تفرك القمح أو الذرة ونحوها، لنـــزع القشرة والوصول إلى الثمرة، والفكر هو للأمور المعنوية .. ويلاحظ أن مادة فكر (ف ك ر) لم ترد بصـــيغة الاســـم، في كـــتاب الله، ولكنها وردت في عشرين موضعًا بصيغة الماضي، وبصيغة المضارع، وفي صيغة المخاطب، وفي صيغة الغائب[٣].

---

(١) انظـــر: أبـــو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط٢ (بيروت: دار الهدى، د.ت.) ٢/١٤٥-١٥٢.

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، (مادة فكر) ص١١٢٠.

(٣) مـــن الكتب المهمة التي ناقشت مسألة العلاقة بين الفكر والتفكر في القرآن كتابان: عمر عبيد حسنه، **كـــيف نستعامل مع القرآن: في مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي**، ط٢، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م)؛ مالك بدري، **التفكر من المشاهدة إلى الشـــهود، دراســـة نفســـية إسلامية**، ط٣، سلسلة أبحاث علمية، إسلامية علم النفس (واشنطن:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

وكـــان أبو حامد الغزالي، رحمه الله، يصف «الفكر» بأنه: «مفتاح الأنوار ومـــبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قـــد عـــرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته».. ويعرفه بأنه: إحضار معرفتين في القلب، كمركز للوعـــي والتفكير وليس كعضو بيولوجي، ليستثمر منهما معرفة ثالثة [1]، فهو عمل من أعمال القلب.

أما قاموس «أكسفورد» فقد عرفه بأنه: النشاط العقلي أو قوة التعليل.. بينما عرفه قاموس «وبستر» بأنه: القدرة على التفكير [2].

ويمـــيز بعض الباحثين، في محاولاتهم لفهم حقيقة الفكر وإدراك كنهه، ومن ثم تحديد ملامحه والتوصل إلى تعريف له، بين أمرين:

الأول: الفكر كمضمون ومحتوى.

الثاني: الفكر كأداة لإنتاج الأفكار.

فالفكر، من حيث كونه مضموناً، يعني: «جملة الآراء والأفكار التي يعبر بواســـطتها هذا الشعب أو ذاك عن مشاكله واهتماماته، عن مثله الأخلاقية ومعـــتقداته المذهبـــية وطموحاتـــه السياسية والاجتماعية، وأيضاً عن رؤيته للإنسان والعالم». وبهذا المعنى، هو «الأيديولوجيا بمعناها الواسع العام، الذي يشمل الفكر السياسي والاجتماعي والفكر الفني والفلسفي والديني» [3].

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، د.ط.(بيروت: دار المعرفة، د.ت.) ٤/٤٢٣-٤٢٥.
(٢) راشد المبارك، «من صور الجذوة والخمود في فكر المسلمين»، العربي، العدد ٣٥٩، أكتوبر ١٩٨٨م، ص١١٤
(٣) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ١٩٩٠م) ص٥١.

أما الفكر كأداة لإنتاج الأفكار، سواء منها تلك التي تصنف داخل دائرة الأيديولوجيا، كمفهوم ومصطلح اعتقادي، أو داخل دائرة العلم، فهو: «جملة مبادئ ومفاهيم وآليات تنتظم وتترسخ في ذهن الطفل الصغير منذ ابتداء تفتحه على الحياة لتشكل فيما بعد (العقل) الذي به يفكر، أي الجهاز الذي به يفهم ويؤول ويحاكم ويعترض»(١).

فهو إذن: «المنهج الذي يسلكه العقل للوصول إلى المعرفة، أو «المنهج في النظر العقلي، للتأدي إلى المعرفة»(٢).

وهذا يعني أن الفكر يترقى حتى يصل إلى مستوى من القدرة على الاستفادة القصوى من طاقة العقل لتجلية ما يستكن من المدركات، مع الأخذ بالاعتبار أن العقل هو ملكة التحليل والتعليل المميزة بين الخطأ والصواب(٣).

وتقترب دلالة «الفكر» هنا، كأداة وثمرة، مع دلالة «التفكير» كعملية عقلية تنتج فكراً، على الرغم من أن كلمة تفكير «thinking» تعتبر من المفاهيم الغامضة التي «نفهمها» ولكن نعجز عن «شرحها»، وما تزال يعوزها التحديد، في لغة علم النفس بشكل خاص، وفي لغة الحياة اليومية بشكل عام. فهي تشير وتدل على كثير من أنماط السلوك المختلفة وإلى أنواع عديدة من المواقف(٤).

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) عبد المجيد عمر النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، الطبعة الأولى،سلسلة أبحاث علمية (٦)، قضايا الفكر الإسلامي (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ص٢٩.

(٣) يتفق هذا المفهوم للفكر مع مفهومه من منظور فلسفي، أشار إليه ديكارت عندما جعله دالاً على الوجود؛ راشد المبارك، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٤) سيد أحمد عثمان وفؤاد عبد اللطيف أبو حطب، التفكير:دراسات نفسية، ط٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م) ص١٩٧.

## المسألة الثانية: العلاقة بين الفكر والتفكر:

وقد ذهب المفكرون والباحثون والعلماء، قديماً وحديثاً، مذهبين في النظر إلى العلاقة بين الفكر والتفكر.. فمنهم من رأى أن «التفكر والفكر بمعنى واحد، لتساوي فَكَرَ وَتَفَكَّرَ في المعنى أيضاً»، وبعضهم رأى أن التفكر هو: «إعمال الذّهن في آيات الله للوصول إلى حقيقة وجوده وصفاته»(١).. أما الفكر فهو الثمرة والمنتج.

ومنهم من قال: بأن «الفكر» و«الفكرة» غير «التفكر».. «فالفيروزأبادي» مثلاً ذهب إلى أن «الفكرة: قوة مُطَرِّقة – أي مبينة الطريق والمنهج – للعلم إلى معلوم، والتفكر غيره، فإن تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب».. ويتضح معنى التفكر، عنده، حين يقارن بينه وبين التذكر، فينتهي إلى أن «التذكر والتفكُّر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان. فالعارف لا يزال يعود تفكره على تذكُّره، وتذكره على تفكره، حتى يُفتح قُفْل قلبه بإذن الفتاح العليم. قال الحسن البصري: مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت. قال الشيخ أبو عبد الله الأنصاري: والتذكر فوق التفكر، لأن التفكر طلب، والتذكر وجود، يعني أن التفكر التماس الغايات من مبادئها»(٢).

بينما تعني الفكرة عند بعض المتأخرين: «الرؤية الشاملة في تفسير الوجود، وفي تقسيم حياة الإنسان، انتهاء بذلك إلى تحديد غاية لهذه الحياة

---

(١) عبد المجيد عمر النجار، **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين**، مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) قوة مطرقة، أي جاعلة للعلم طريقاً إلى المعلوم، من قوله: طرق للإبل: جعل لها طريقاً؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمد علي النجار، د.ط.، مج٤ (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.) ص٣١٢-٣٢٠.

يسعى المجتمع إلى تحقيقها»[1]، بمعنى ما يقع في الأذهان وينتهي إلى موقع الاقتناع من رؤى تفسر الوجود والكون والحياة[2].

أما عند الغربيين، فالفكرة عند «جون لوك»، على سبيل المثال، هي «موضوع العقل أثناء التفكير، أو هي كل ما يمكن أن يقوم في ذهن الإنسان أثناء عملية التفكير، بمعنى أنها مادته، إذ أن العقل لا يمكنه أن يقوم بوظائفه أو عملياته الفكرية بدون وجود هذه الأفكار التي بقدر ما هي نتيجة عنه، هي أساس لقيامه بوظيفته- فهي أساس لقيام العقل بوظيفته من حيث كونها أفكاراً بسيطة، وهي نتيجة عنه من حيث كونها أفكاراً مركبة»[3].

وخلاصة ذلك، أن التفكير والتفكر إعمال العقل في الأشياء والموجودات للوصول إلى كنهها وإدراك حقائقها، وأما الفكر والفكرة فهو ثمرة التفكير ونتاجه.

## المسألة الثالثة: علاقة الفكر بالفعل:

اهتم العلماء، قديماً وحديثاً، بدراسة العلاقة بين «الفكر» و«الفعل»، أو العمل، أو الحدث، على اختلاف المسميات بينهم، وتميز في ذلك كثيرون، ويمكن اعتبار الماوردي من أبرزهم، حيث انتهى إلى أن صناعة الفكر «أشرف الصناعات»، وأن «العمل نتيجة الفكر، وهو مُدَبِّره»[4].

فالفكر يسبق العمل، وليس العمل إلا نتاجًا للفكر[5].. وكل عمل يضطلع

---

(١) عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، للشهود الحضاري (١)، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م) ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٨.

(٣) صابر طعيمة، المعرفة في منهج القرآن الكريم: دراسة في الدعوة والدعاة، د.ط. (بيروت: دار الجيل، د.ت.) ص٢٠٢.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدنيا والدين،تحقيق مصطفى السقا، ط ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م) ص٢١٢.

(٥) عبد المجيد عمر النجار، عوامل الشهود الحضاري، للشهود الحضاري (٢)، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م) ص١٢٢.

بـــه الإنسان يخضع لنظام الأفكار في دوافعه كما في وسائله العملية، لذلك فإنه لكي يكون للنشـــاط الاجتماعي أرضية فكرية، فإن الفـــكرة هنا لا تكون - كمـــا لاحـــظ ابـــن نـــبي- في حالتها الصافية، بل في حالة تندمج فيها بالسلوك، أي في تلك الحالة التي نفسرها بها ونفهمها ونتحملها[١]، فبداية كل عمل إنما هي نشاط فكري معرفي شعوري[٢]. و«ليس من سلوك عملي فردي أو جماعي خارج ما تمليه الغرائز الفطرية إلا ما هو متأتٍ من فكرة ذهنية تحدد طبيعته وغايته، مهما كانت منـــزلة تلك الفكرة في ميزان القيمة»[٣].

لذلـــك فإن اختلاف الأفراد في ســـلوكهم، يعني اختلافهم في تفكيرهم، كمـــا يعـــني كذلـــك اختلافهم في اتخاذ المواقف إزاء ما يستجد أمامهم في الـــتعامل[٤]. فســـلوك الإنسان في حياته مرتبط بتفكيره ارتباطاً وثيقاً، يستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه، ويثمر بإثماره، ويعقم بعقمه، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل من تفكيره ونظره»[٥].. فكل ما يفكر فيه الإنسان، يؤثر على سلوكه[٦].

وقـــد جعـــل «ديكارت» التفكير دالاً على الوجود: «أنا أفكر إذن أنا موجـــود». وهذه النظرية «الديكارتية» التي تبدو مبالغة في تقدير أثر الفكر، ليســـت سوى صياغة للحقيقة القائلة: إن الفكر صانع للحدث وسابق عليه،

---

(١) مـالك بن نبي، **مشـكلة الأفـكار في العالم الإسلامي**، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص١٥٨.

(٢) مالك بدري، مرجع سابق، ص٤٠.

(٣) عبد المجيد عمر النجار، **فقه التحضر الإسلامي**، مرجع سابق، ص٢٦.

(٤) يعرب فهمي سعيد، **طرق البحث**، ط٣ (بغداد: جامعة بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص١٠.

(٥) عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ط١ (الجزائر: وزارة الشؤون الدينية، ١٩٨٢) ص١٣٩.

(٦) مالك بدري، مرجع سابق، ص٣١.

وإن الحدث كان جنيناً تمخض عنه الفكر.. والعلاقة بين الاثنين هي أن الحدث يصنع بوقوعه إثارة وتحريضاً للفكر لتوسيع دائرة عمله(١).

غـير أن الفكـر لا يتفرد وحـده بصناعة الفعل الإنساني والتأثير عليه، وإنما تشترك معه في ذلك مجموعة معطيات وعواطف، لكن لكل منهما دوره وأثـره.. فـإذا أمكـن، على سبيل المثال، تشبيه الإنسان بالسفن البخارية، والعاطفة بالمكائن المحركة للسفينة، فإن الفكر هو «الإبرة المغناطيسية التي تعين الاتجـاه، والـناظور الـذي يساعد على رؤية المسافات البعيدة، والمصابيح الكشـافة التي تشق ظلام الليل... وبناء على هذا التشبيه، نستطيع أن نقول: لـولا العواطـف لما استطاعت السفينة أن تتحرك من محلها، ولولا الأفكار لفقـدت السـفينة كـل وسائل الاتجاه» والاتصال، فضلت الطريق.. ولربما ارتطمت بالصخور فتحطمت تماماً(٢).

وتتضـح العلاقة بين الفكر والفعل بالنظر والتأمل في «الفعل التاريخي»، حيـث كـان الفكر يضطلع بدور رئيس في صناعة الفعل، فهو الذي يحدد بشـكل مسـبق الإرادات والـنوايا الـتي ترسم مسارات حركة التاريخ، ويوجهها.. وبشيء من الاستقراء الحضاري للأحداث «صانعة التاريخ»، يمكن ملاحظة أن هذه الأحداث جاءت، كما هو معروف بين كثير من المفكرين، نتيجة لأحد أمرين:

«مـدد نـزل من السماء، أو فكر نبت من الأرض حوّل الإيمان بالأول والاقتناع بالثاني، وهو المدد أو الفكر، من عالم المخيلة إلى حيز الواقع، أي من

---

(١) راشد المبارك، مرجع سابق، ص١١٤-١١٥.

(٢) أبـو خلـدون سـاطع الحصري، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، ط٢، سلسلة التراث القومي: الأعمال القومية لساطع الحصري"٦" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز/ يوليو ١٩٨٥) ص٣٣.

وجود بالقوة المفكرة إلى وجود بالفعل.. وباستثناء الأحداث الكونية - ومنها النبوات التي استقبلها الفكر وتعامل معها أيضاً- فإن جميع المذاهب والدعوات والعقائد والقوانين والفروض والنظريات وعمليات الفعل المادي والبشري في التاريخ، عمل من أعمال الفكر. وليس من الممكن أن يكون للبشر حضارة، بل أن يكون لهم تاريخ، دون فكر صاغ هندسة الحدث أو وضع بذرته، فهو بذلك الراسم لمسار التاريخ في وهاده وقممه»[1].

وإذا كان «الماوردي» يعتبر من أبرز الذين اهتموا بدراسة العلاقة بين الفكر والفعل، فإن «ابن خلدون» يمكن أن يعتبر في مقدمة من أحسنوا النظر فيها والتعبير عنها، فقد انتهى إلى أن الفكر أداة يعثُرُ بها «الفاعلُ على الترتيب فيما يفعلُ» وأن الإدراك والربط بين المدركات لا يكونُ إلا بالفكرِ، مؤكداً أن: «أول العملِ آخرُ الفكرةِ، وآخر الفكرةِ أولُ العملِ»، وإن عزا ذلك إلى «الأمثال السائرة للحكماء»[2].

## المسألة الرابعة: تعامل الفكر مع الواقع:

ويبدو مفهوم «الفكر» أكثر وضوحاً بالنظر إلى تعامله مع الواقع، الحلقة الأخيرة من حلقات التاريخ، بكل جزئياته ومكوناته، ذلك أن مهمة الفكر الأساسية هي أن يكتشف الخيط والقانون الناظم للجزئيات، بحيث « يحوّل جزئيات الواقع في جميع عناصره وظواهره، والتي تبدو مشتتة، وفي معظم الأحوال متناقضة، أن يحولها إلى كلٍ مترابط ومتجانس عضوياً، في مكوناته الذاتية نظرياً، وواضح كذلك في بيان آلياته التي تنقل واقعه إليه عمليًا»[3].

---

(١) راشد المبارك، مرجع سابق، ص١١٤-١١٥.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، د.ط (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.) ص٥٢٨.

(٣) باسل البستاني، «أزمة الفكر العربي الوحدوي الاقتصادي»، **المستقبل العربي**، العدد ٨٨، يونيو ١٩٨٦م، ص١٤١.

# الاتصال
# في المجال السياسي

تعـــاني الدراسات الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، والإعلامية بشكل خاص، من مشكلة التحديد للمصطلحات والتعريف للمفاهيم، التي تشير إلى معـــاني الظواهر وما يميزها عن سواها.. فبعض المفاهيم قد تستخدم في إطار عـــلم معين للإشارة إلى ظاهرة معينة تتصل بهذا العلم، ولكنها في الوقت ذاته تشير إلى ظاهرة أخرى، أو معنى آخر في علم آخر .. كما أن المفهوم الواحد قد يشير إلى أكثر من ظاهرة، أي أكثر من معنى في الواقع، والظاهرة الواحدة قد يستخدم أكثر من مفهوم واحد للإشارة إليها(١).

فمصـــطلح (الاتصال) مثلاً، تتنوع مفهوماته، وتتعدد تعريفاته، دون أن يكون بينها تعريف جامع مانع متفق عليه من الجميع .. ويعزو بعض الباحثين ذلك إلى كون (الاتصال) كمفهوم يُستخدم في علوم كثيرة مثل: الاجتماع، النفس، الإدارة، السياســـة، الإعـــلام، وفي مهنة الخدمة الاجتماعية وغيرها مـــن المهـــن الأخـــرى، الأمر الذي أصبح معه كل تعريف يعكس تخصص صاحب التعريف(٢).

---

(١) محمـــد الوفائـــي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط ١ (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م) ص٢٤.

(٢) زيدان عبد الباقي، وسائل أساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، ط٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م) ص٣٠.

إلا أن من أهم الأسباب الصانعة لمشكلة تعدد المفاهيم والمصطلحات للظواهر بشكل عام، أن المفاهيم والمصطلحات تعبير عن قسمات وسمات وملامح شخصية الأمة التي أبدعتها، وميراثها الثقافي، وهي وليدة الذات وخصيصة اللغة[1]، وبالتالي فهي خصيصة من خصائص شخصية كل مفكر ومثقف واختصاصي، تكشف عن جوانب في ثقافته، وتعبر عن ملامح من رؤيته الخاصة للمجال العلمي الذي يشتغل به.

وتبدو المشكلة أكثر وضوحاً، في مجال الدراسات الإعلامية والصحفية، حيث تعزى عند بعض أهل الاختصاص لأمرين:

**الأول:** غالبية المناهج والأساليب والأدوات البحثية المستخدمة في الدراسات الصحفية مستعارة من علوم أخرى، وقد استعيرت معها الخلافات المنهجية القائمة في الموقع الأصلي.

**الثاني:** الحداثة النسبية للدراسات المنهجية في المعارف الإعلامية والصحفية[2].

غير أن الأمر، قد لا يكون كذلك تماماً في الحالات كلها ، خاصة في ظل التطور المنهجي الذي تشهده بحوث الاتصال والإعلام.

---

(١) عمر عبيد حسنه، **على طريق الشهود: ملامح وآفاق**، ط١، نحو فهم متجدد (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص١٠٦.

(٢) فاروق أبو زيد، **مدخل إلى علم الصحافة**، د.ط. (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٦م) ص١٩.

## * مفهوم الاتصال:

وفي ضوء ذلك كله، تبرز إشكالية التعامل مع (الاتصال) بشكل خاص، كمفهـــوم لمصـــطلح تـــتعدد تعريفاته واستخداماته، كما تتعدد مستوياته ومجالاتـــه[(١)]، وتـــبدو أكـــثر وضوحاً حين التعامل مع (الاتصال) كظاهرة إعـــلامية، حيث يصعب تصور إمكان الوصول إلى تحديد أو تعريف دقيق لمفهوم (الاتصال)، وذلك لسببين أساس:

**الأول: ارتباط الاتصال بالإنسان بشكل مباشر:**

فالاتصال، كمفهوم، يشير إلى العلاقة التي تكون بين الناس داخل نسق اجـــتماعي معـــين[(٢)]، بكل ما تنطوي عليه الشخصية الإنسانية من تعقيدات ومشـــكلات وتغـــيرات، فهو عنصر أساس في تكوين العلاقات الإنسانية[(٣)]، إضـــافة إلى أن الإنسان بطبعه كائن تواصلي، تمتاز تواصليته بما توصف به من كونها تواصلية واعية[(٤)].

---

(١) فهـــناك الاتصـــال الذاتي والاتصال بين الأشخاص والاتصال الوسطي والاتصال الجماهيري؛ صالح أبـــو إصـــبع، **الاتصـــال والإعلام في المجتمعات المعاصرة**، ط ٣ (عمان: دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م) ص١٤-١٩.

(٢) أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف، **نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية**، د.ط (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٥م) ص٦.

(٣) هانو هاردت، «حرية الصحافة في المجتمعات الغربية»، في: ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، **نظم الإعلام المقارنة**، ترجمة علي درويش، الطبعة العربية الأولى (مصر الجديدة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م) ص٤٠٥.

(٤) حســـن صـــعب، **إعجـــاز التواصل الحضاري الإعلامي: نحو وكالة عربية دولية للأنباء**، ط١ (د.ن: تشرين الأول /أكتوبر ١٩٨٤) ص١٧.

الثاني: ارتباط الاتصال بالمجتمع:

فالاتصال يرتبط بالمجتمع، بكل نظمه ومؤسساته وتعقيداته، حيث يعكس بناؤه في هذا الإطار «بناءَ وتطور المجتمع وحجم النشاط الاتصالي - أي تطور وسائل الإعلام وجماهيرها؛ وانتقال أدوار الاتصال الفردية الموجودة في المجتمع التقليدي إلى مؤسسات، واتساع وتعدد سلاسل الاتصال، يعكس التطور الاقتصادي في المجتمع؛ وملكية إمكانيات الاتصال، والاستخدام الهادف للاتصال، والسيطرة على الاتصال - كل هذا يعكس التطور السياسي وفلسفة المجتمع؛ ومضمون الاتصال في أي وقت معين يعكس نمط القيم في المجتمع»[(١)].

لذلك تعتبر نظريات الاتصال انعكاساً طبيعياً للفلسفة الاجتماعية والسياسية، أي الثقافة، السائدة في المجتمع، فهناك تلازم طبيعي بينهما، فالمجتمعات التي تحكمها فلسفات ليبرالية، مثلاً، على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، تفرز نظاماً اتصالياً يؤمن بدور الفرد الإيجابي في استقبال وإرسال المعلومات[(٢)].

كما تُعتبر عملية الاتصال نفسها جزءاً من الوظيفة الحية للمجتمع، ذلك أن الاتصال ينمو ويتغير مع المجتمع لأنه شيء يفعله المجتمع، والطريقة

---

(١) جيهان أحمد رشتي، **نظم الاتصال: الإعلام في الدول النامية**، د.ط. (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.) ٨٥/١.

(٢) بسيوني إبراهيم حمادة، **دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي**، ط١، سلسلة أطروحات الدكتوراه "٢١" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، شباط/ فبراير ١٩٩٣م) ص١٧١.

التي يعيش بها المجتمع[1]. فهو جزء من الثقافة التي تسود المجتمع، يتأثر بها ويؤثر فيها[2]. ولهذا لم يستطع معظم الباحثين الذين حاولوا وضع تعريف لمفهوم الاتصال تجاوز مقولة «أوتوجروت» الشهيرة التي وصف فيها الاتصال: بأنه التعبير الموضوعي عن روح الأمة، وميولها، واتجاهاتها، وعقليتها[3]، فأكدوا ضرورة أن يعبر نظام الاتصال عن الخصائص الذاتية للأمة[4].

ولم يجد المهتمون بدراسات المجتمع، وهم يبحثون عن تعريف للاتصال، باعتباره العملية التي تحظى باهتمام واسع النطاق بينهم، أفضل من القول: بأنه «عملية تأسيس المعنى»، فهم يرونها ماثلة في كل المواقف الاجتماعية.

ولم يقتصر الاهتمام بالعملية الاتصالية في علاقتها بالمجتمع، على أهل الاختصاص في الدراسات الاجتماعية، وإنما امتد ليضطلع به أيضاً علماء النفس، وعلماء السيميولوجيا (علم العلامات)، وعلماء اللغويات، ودارسو وسائل الاتصال الجماهيري[5]، الذي يعتبر من أبرز نماذج الاتصال المرتبط بالمسألة الإعلامية، كعملية اجتماعية تجري في بيئة معينة، يتأثر بها ويؤثر فيها.

---

(١) جيهان أحمد رشتي، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢) شون ماكبرايد وآخرون، **أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغداً، نحو نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال أكثر عدلاً وكفاءة**، تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، اليونسكو، د.ط. (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م) ص٣٤١.

(٣) إبراهيم إمام، «التوازن بين مقتضيات التخطيط الإعلامي وحرية تداول المعلومات»، المستقبل العربي، العدد١٢، ص٨١.

(٤) شون ماكبرايد وآخرون، مرجع سابق، ص٣٤١.

(٥) فاطمة القليني وآخرون، **علم الاجتماع الإعلامي**، ط ١ (القاهرة: دار القاهرة، ٢٠٠١م) ص٣١١-٣١٢.

فهـــناك تفاعل مستمر بين وسائل الاتصال وبين المجتمع، بحيث لا يمكن فهـــم المجتمع إلا بفحص أفكاره ومعتقداته ومبادئه وتاريخه وفلسفته، مما يعني أن أنظمة الاتصال تتكامل تكاملاً تاماً مع إطار النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي العام(١).

ويضـــطلع الاتصال من خلال وسائله «الإعلامية» بشكل خاص بأدوار مهمـــة في المجـــتمع الحديث «بدونها لا يمكن أن يتحقق التفاعل الاجتماعي والسياســـي والاقتصـــادي الذي يخلق المجتمع الذي يقوم على أسس حديثة. وتســـتطيع المجتمعات البدائية أن تقيم العلاقات المتشابكة الضرورية بين أفراد المجتمع من خلال الاتصال الشخصي المتبادل، ولكن مع نمو المجتمع فإن تدخل وسائل الاتصال يصبح أمراً أساسياً» (٢).

وبشكل عام، فإن الاتصال، في أبسط معانيه، تقوم أســـسه على: نقل، أو استقاء، أو تبادل المعلومات بين أطراف مؤثرة ومتأثرة، على نحو يقصد به ويترتب عليه تغيير في المواقف أو السلوك(٣).. فهو «عملية ديناميكية يقوم بها الشخص لنقل رسالة ما، تحمل المعلومات والآراء أو الاتجاهات أو المشاعر إلى

---

(١) الســـيد علـــيوة، **استـــراتيجية الإعـــلام العربي**، كتاب الساعة، د.ط. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م) ص٨١.

(٢) ل.جـــون مارتن وأنجو جروفر شودري، «أهداف نظم الإعلام وأدوارها»، في:**نظم الإعلام المقارنة**، مرجع سابق، ص٤٠.

(٣) إســـماعيل علـــي ســـعد، **الاتصال والرأي العام: مبحث في القوة والأيديولوجية**، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١م) ص٢٣.

الآخـــرين لهـــدف ما، عن طريق الرموز، في ظرف ما، بغض النظر عمّا قد يعترضها من تشويش»[١].

وقـــد تجسد هذا المعنى الذي يكشف عن دور خطير للاتصال، في مجال الإعلام، في عدد من النظريات، من أبرزها ما يعرف بنظرية «الاتجاه السائد» التي تشير إلى أن الواقع في وسائل الإعلام يمكن أن يؤثر في المعتقدات، وبالتالي في سلوك الإنسان[٢].

غـــير أن الذي يؤثر حقيقة ليس هو الوسيلة بحد ذاتها، على النحو الذي كـــان يتردد صداه من عبارة «مارشال ماكلوهان»: «الوسيلة هي الرسالة»، فكم من المجتمعات اليوم تمتلك من الوسائل الإعلامية أحدثها وأرقاها ولكنها عاجـــزة عـــن تحقيق مردود اتصالي يتناسب على الأقل مع أبسط الإمكانات الفنـــية الـــتي تـــتوفر عليها هذه الوسائل، وإنما الذي يؤثر حقيقة هو «البعد الفكري»، المرتكز إلى قيم العقيدة.. فهو الذي يمنح الاتصال، بواسطة الإعلام بشـــكل خاص، رؤية ثاقبة، وإمكانية للإبصار، وقدرة على التأثير والمداخلة لتغـــيير السلوك، كما يمنح في الوقت نفسه إمكانية الصمود أمام أي محاولات تستهدف المعتقدات والثقافة والسلوك.

---

(١) صالح أبو إصبع، **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة**، مرجع سابق، ص١٢.

(٢)ملفين ل. ديفلير وساندرا بول. روكاخ،**نظريات وسائل الإعلام**، ترجمة كمال عبد الرؤوف،ط ١ (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م) ص٣٦٤.

## * مفهوم الاتصال إعلامياً:

إن التنوع في مفهوم مصطلح (الاتصال)، والتعدد في تعريفاته، بسبب استخدامه في علوم كثيرة، ومجالات متنوعة، وبسبب استخدامه هو لأدوات مختلفة وفقاً لذلك، يتطلب ابتداءً تحديد المجال والأدوات التي تستخدم فيه.. ففي هذا الكتاب «البحث»، يتم التعامل والنظر إلى الاتصال من خلال العملية الإعلامية، بما يعني أن الإعلام هو الأداة التي يتحقق بواسطتها الاتصال.. وهو استخدام لا يخلو، في الإطار المفاهيمي، من بعض الإشكاليات، التي يأتي في مقدمتها، ذلك الخلط الذي يمكن أن يلحظ لدى بعض الباحثين بين دلالات كل من مفهومي (الاتصال) و(الإعلام).. فقد ذهب بعضهم إلى أن «الاتصال كلمة مرادفة لكلمة إعلام»[1]، وأن الحق في الإعلام مرادف لحق الاتصال[2]. بينما حاول آخرون التمييز بين المفهومين، انطلاقاً من أن الاتصال «Communication» أكثر شمولاً من الإعلام ، وأن الإعلام لا يخرج عن كونه شكلاً من أشكال الاتصال، الجماهيري بخاصة[3].

---

(١) سعيد إسماعيل صيني، الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، د.ط (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص٣٨.

(٢) جمال العطيفي، «الحق في الإعلام وعلاقته بالتخطيط الإعلامي على المدى البعيد»، **المستقبل العربي**، العدد١٧، السنة ٣، تموز يوليو ١٩٨٠م، ص١٢٢.

(٣) سعيد إسماعيل صيني، مرجع سابق، ص٣٥؛ أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص٦.

فضلاً عن أن الاتصال في أكثر تعريفاته انتشاراً يعني: «نقـــل الأفـــكار أو المعلومـــات مـــن جهة إلى أخرى»، بينما الإعلام في أبسط تعريفاته يعني: «التبليغ والتوعية والتوجيه عن طريق الاتصال بالجماهير»[(١)].

وكثيراً ما توصف «وسائل الإعلام» بأنها: «سلطة ثنائية الأبعاد» تختص: بـــتقديم «المعلومـــات للناس لتزويدهم بقاعدة للمعلومات أو لإضافة المزيد عليها، وهي أيضاً سلطة للإقناع وتشكيل الاتجاهات وتغييرها»[(٢)].

فالعملية الإعلامية في أصلها، تشير إلى «عمليتين في وقت واحد، تكمل إحداهما الأخرى».. فمن جهة تشير إلى عملية استقاء واستخراج المعلومات والحصـــول عليها، ومن جهة أخرى تشير إلى إعطاء وبث هذه المعلومات إلى الآخـــرين، أو بمعـــنى آخـــر «ينطوي الإعلام على فكرة الإخراج في سبيل الإطلاع»[(٣)].

أمـــا الاتصـــال، بواسطة وسائل الإعلام الجماهيري، فينظر إليه على أنه عملـــية «بـــث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية،

---

(١) السيد عليوة، مرجع سابق، ص٨٢؛ أمينة الصـــاوي وعبد العزيز شـــرف، مرجع سابق، ص٦.

(٢) هـــنري ف.شولت، «وسائل الإعلام كأدوات للتعليم والإقناع وتشكيل الرأي في العالم الغربي»، في: **نظم الإعلام المقارنة**، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٣) جـــبارة عطـــية جبارة، **عـــلم اجتماع الإعـــلام**، د.ط. (الرياض: عالم الـــكتب، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م) ص١٠٢.

وينتشرون في مناطق متفرقة».. وتعني الرسائل الواقعية «مجموعة الأخبار والمعلومات والتعميمات التي تدور حول الأحداث، وتنشرها الصحف وتذيعها الإذاعات المسموعة والمرئية» (1).

وعلى الرغم مما يمكن أن يلحظ من خلط وتخليط في التعريفات، إلا أن ما لا يمكن الخلط والتخليط فيه هو «أن الاتصال يفترض بطبيعته التبادل والمشاركة»(2)، الأمر الذي قد لا يتوفر دائما في الإعلام، وبخاصة الإعلام العربي.

ومن هنا تتضح بعض الأبعاد الدالة على اختيار تعبير «الإعلام»، وليس «الاتصال» العربي، محوراً رئيسياً لموضوع هذا الكتاب، ذلك أن ما يمكن أن يطلق عليه «الاتصال» يَفتقِد في العالم العربي، غالباً، عنصري التبادل والمشاركة.

وأياً ما كان الخلط أو عدمه بين المفهومين، إلا أن الاتصال بواسطة وسائل الإعلام، يبقى ذلك المفهوم الذي يرتكز إلى دعامتين أساس هما: الاتصال والإعلام، بكل ما ينطويان عليه من دلالات ومعاني.

---

(1) السيد عليوة، مرجع سابق، ص٨٠؛ زيدان عبد الباقي، مرجع سابق، ص ٣٣.

(2) جمال العطيفي، مرجع سابق، ص١٢٣.

## * التأثير المتبادل بين الاتصال والسياسة:

قد يكون من الصعوبة بمكان تصور العملية السياسية بدون «العملية الاتصالية»، أو تصور «الاتصال» بدون السياسة. فالعلاقة بين النظامين، الاتصال والسياسة، في أي مجتمع من المجتمعات، المتقدمة أو النامية أو غيرها، علاقة جوهرية إلى الدرجة التي يصعب معها تصور أحدهما دون الآخر، أو قيامه بوظائفه بمعزل عنه.. فالنظامان، كلاهما، يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، وإن كان التأثير الذي يمارسه النظام السياسي على نظام الاتصال في البلدان النامية، بشكل خاص، أكبر من تأثير الاتصال على النظام السياسي.. فالعلاقة قائمة، أيًّا ما كانت طبيعة وشكل كل من النظام السياسي، والاتصالي، فكل شيء في السياسة اتصال[(١)].

وليس بمقدور أي نظام سياسي حديث أن يعمل بدون مساعدة وسائل الاتصال.. ذلك أن الاتصال المشتغل بالمسائل السياسية يكون عادة، وليس دائماً، أداة مساعدة للسياسة، ينقل سياسات صناع القرارات إلى الشعوب، ويبلور اتجاهات ومواقف الشعوب حتى يستفيد منها صناع القرارات. فهو العنصر الديناميكي للوجود السياسي، الذي يعنى بنقل الرسائل فيما بين أجزاء النظام السياسي، ثم بينه وبين النظام الاجتماعي[(٢)].

---

(١) كمال المنوفي، **نظريات النظم السياسية**، ط١ (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٥م) ص١٤٧؛ بسيوني إبراهيم حمادة، مرجع سابق، ص١٨، ٥٠، ٥١.

(٢) ل.جون مارتن وأنجو شودري، مرجع سابق، ص٣٩؛ أحمد بدر، **مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والإعلام الدولي**، د.ط. (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م) ص٢٣٣؛ محمد علي العويني، **الإعلام الخليجي**، ط١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤) ص٣٤١؛ كمال المنوفي، مرجع سابق، ص١٤٨.

وتكرس النظم السياسية كلها مساحات وأوقات في وسائل الاتصال لمشاكل الحكومة.. وقد وجد «القائمون بالاتصال» في الاهتمام المشترك من أفراد الشعب كلهم، الذي تحظى به أنشطة الحكومة سبيلاً للوصول إلى المزيد من القراء و المستمعين والمشاهدين(١).

ويرى السياسيون، الذين يعدون، من وجه، من «القائمين بالاتصال» السياسي(٢)، أنهم يحتاجون إلى قنوات اتصال جماهيري تحظى بمصداقية الجماهير، وبالمثل، فإن الإعلاميين يرون أنه لا يمكنهم تأدية مهمتهم في الاتصال السياسي دون أن يكونوا على صلة بالسياسيين للحصول على الأخبار والتعليقات..الخ، فهم مشاركون في العملية السياسية.. ولعل من أهم الوسائل التي يشاركون من خلالها في العملية السياسية، تركيز الانتباه على قضايا معينة.. ومن ناحية أخرى، تضطلع وسائل الاتصال بدور إضفاء الشرعية على النظام السياسي، لأن بقاءها مرهون ببقاء النظام نفسه(٣).

ويُنظر إلى وسائل الاتصال الناشطة إعلامياً بعامة، وإخبارياً بخاصة، في النظام الذي يقع تحت سيطرة الدولة، على أنها الوسيط الأساس بين صناع القرار السياسي والجمهور.. ومن هنا أصبح العمل الأساس للاتصال: تأسيس الإطار السياسي الثابت السليم الذي من خلاله يتم إيجاد بيئة اجتماعية صالحة متجانسة تؤدي، بدورها، إلى التوسع في قطاعات وطنية أخرى. ويمتلك

---

(١) ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، مرجع سابق، ص٣٩.

(٢) محمد علي العويني، مرجع سابق، ص٣٤٣.

(٣) بسيوني إبراهيم حمادة،مرجع سابق، ص٥٥، ٧٣.

الاتصـــال القدرة الإعلامية على تعبئة الاهتمامات المبعثرة للجماهير في هدف قومي واحد(١).

وعلى مستوى النظام السياسي العربي، تتجه السياسات الاتصالية كلها، إلى دعـــم سلطة النظام القائم وتوجهاته في المجالات المختلفة وخدمة مصالحه الحقيقـــية والمتصـــورة، بصورة مباشرة، على النحو الذي يخدم تماسك النظام وديمومته، مما نجم عنه أن اصطبغ مضمون الاتصال في معظم أشكاله في بعض الأقطـــار بالصبغة الدعائية المباشرة، التي تعزز مصالح النظام وأهدافه، وتعزز المصالح القطرية، وتغرس الولاء لها في عقول الجماهير(٢).

وبلـــغ من تأثير هذا الارتباط العضوي القوي بين السياسة والاتصال في الـــدول العربـــية، حيث يشارك الاتصال وبنشاط كبير في السياسة، مستوى أصبحت معه هذه العلاقة، التي يصفها بعض الباحثين «بالالتصاقية»، تشكل أهم خصيصة سلبية يتصف بها الاتصال العربي المعاصر، وإن كان ذلك يُعزى لخطورة الوظيفة السياسية لوسائل الاتصال، فضلاً عما يشكله الإعلام الوطني مـــن وســـيلة لتحقـــيق أهداف صانعي القرار، حيث تعكس هوية الرسالة الإعلامية مواقف النخبة الحاكمة وقراراتها(٣).

---

(١) أمدي- مايكل هابت، «دور الإعلام في العالم الثالث»، في: **نظم الإعلام المقارنة**، مرجع سابق، ص١٤٨

(٢) راســم محمـــد الجمـــال، **الاتصال والإعلام في الوطن العربي**، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس ١٩٩١م) ص٥٢-٥٣.

(٣) ولـــيم أيـــه.روو، **الصـــحافة العربية: الإعلام الإخباري وعجلة السياسة في العالم العربي**، ترجمة موسى الكيلاني، ط٢ (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩م) ص١٣؛ محمد مصالحة، **دراسات في الإعلام العربي**، د.ط.، السلسلة الإعلامية "٣" (بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي، ١٩٨٤م)ص ٥٣.

غير أن هذه العلاقة «الارتباطية»، أو «الالتصاقية»، بين الاتصال والسياسة، لا تقتصر فقط على النظام العربي، وإنما هي خصيصة ملازمة لكل النظم، على اختلاف فلسفاهما السياسية والاتصالية، وجعلت وسائل الاتصال تتأثر إلى حد كبير بالقرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية والداخلية للدول المعاصرة، مثلما أن الصراعات الدولية في النظام الدولي القائم أثرت بدورها على وسائل الاتصال من حيث وظائفه ومضمونه وحجمه، لكونه سلاحًا في يد صانع السياسة الخارجية لهذه الدول. وقد بلغ من تأثير هذه العلاقة أن بعض الجرائد الغربية لم تعد تفرق بين الخبر والرأي، حيث يؤثر وجود رابطة بين الصحافة والأحزاب السياسية على ما ينشر[1].

وهناك كثير من النماذج والشواهد التي تؤكد قوة العلاقة والصلة بين الاتصال والسياسة.. ويبقى خروج أميركا من فيتنام، وخروج الرئيس «نيكسون» من البيت الأبيض، إثر فضيحة «ووترغيت»، التي فجرها أوائل السبعينيات صحيفة «الواشنطن بوست»، من أشهر النماذج الدالة على قوة تأثير الاتصال على السياسة، وأكثرها أهمية.. وقد قيل وقتها: إن «نيكسون» كان «ضحية الإعلام مرتين، الأولى عندما هزمه التلفزيون – في إشارة إلى مناظرته الشهيرة مع الرئيس الراحل جون كنيدي قبل أيام من انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٦٠ والتي تفوق فيها كنيدي "تلفزيونياً" مما أدى إلى خسارة نيكسون المعركة الانتخابية – والثانية عندما أطاحت به صحيفة

(١) محمد مصالحة، مرجع سابق، ص ٥٣؛ ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، مرجع سابق، ص٣٦.

"واشـــنطن بوســـت" بكشفها أسرار "ووترغيت" التي أدت إلى استقالته من رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٣» [1].

بيـــنما تعكس تغطية الإعلام الغربي لأحداث رومانيا، وتعامله مع حدث سقوط تشاوشيسكو، مدى تأثير السياسة على الاتصال[2].

إلا أن ذلك كله لا يعني أن كل سياسةٍ تمتلك القدرة على مثل هذا التأثير؛ أو أن أي اتصال قادر على إجبار نظام سياسي معين على تغيير وجهته.

وقـــد يكون من المفيد الإشارة هنا إلى أن تغطية الإعلام الغربي لأحداث رومانيا وسقوط تشاوشيسكو تكشف، من وجه آخر، عن تأثير الاتصال على السياســـة، ودور الإعلام في صناعة القرار السياسي.. فنيكولاي تشاوسيسكو، «كـــان حـــتى الأمس القريب الشخصية الأوروبية الشرقية الأحب إلى قلوب القـــادة والشعوب في الغرب. لماذا ؟ لأن الإعلام الغربي نقل إليهم صورة زعيم ذلك البلد الصغير الذي تمرد على جبروت الاتحاد السوفيتي فأبقى على علاقاته مـــع إسرائيل، ورفض المشاركة في غزو تشيكوسلوفاكيا، وقاطع حلف وارسو عسكريًا، ورفض مقاطعة أولمبياد لوس أنجليس وحده دون كل جيرانه.. فجأة نقل الإعلام الغربي صورة مختلفة عن "المثال" الطيب، فإذا به ديكتاتور، متجبر، يرعى الفساد والمفسدين.. فتسابقت دول العالم على التبرؤ من علاقتها به، بل ســـعت بعضها إلى تحريض جيشه وشعبه عليه.. ومثل تشاوشيسكو، ديكتاتور بنما مانويل نورييجا.. ضحية من ضحايا الإعلام»[3].

---

(١) محمد الرميحي، **صناعة الإعلام.. أو الإعلام الصناعي**، مجلة العربي العدد ٣٩٦، ١٩٩١/١١/١م.
(٢) هنري ف.شولت، مرجع سابق، ص١٩٨؛ جريدة الأهرام، ١٩٩٠/١/٤، ص٦.
(٣) «عـــندما يصنع الإعلام القرار السياسي»، افتتاحية صحيفة «الشرق الأوسط»،العدد ٤٠٦٥، ١٩٩٠/١/١٤، ص١٥.

وبشـــكل عام، فإن الأثر السياسي للاتصال، باستخدام وسائل الإعلام، يظهر واضحًا في تأثير الإعلام على المستوى الفردي، لا سيما ما يتصل بالقيم والســلوك والاقتناع أو التعبئة. كما يظهر على المستوى الجماعي، من حيث درجة التكامل أو التفكك الاجتماعي، والقابلية للتصديق.. يضاف إلى ذلك مــا قــد يكون من تأثير على المستوى الوطني، من حيث التكامل السياسي، ومــدى وجــود ثقافة واحدة أو عدة ثقافات، والمواقف من التنمية ومدى التوازن في الإعلام بين المدن والريف وتجمعات البدو والشعبيات(1).

ويــبقى الاتصــال السياســي، في هذا الكتاب مفهوماً يشير إلى معنى: الاتصال الذي يتخذ من الحدث السياسي، فعلاً أو قولاً، ورموزه، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو الحزبي، محوراً لنشاطه ومعالجاته.

كما يبقى أن تأثير الاتصال على السياسة، أو العكس، لا يتحقق إلا إذا توفــرت شروطه، ومن أهم هذه الشروط توفر ما يجب أن يكون من «بعد فكري» في كلتا العمليتين: الاتصال، والسياسة.. فكل نشاط إنساني، وبخاصة إذا كــان اتصــالياً أو سياسياً، يدير ظهره للفكرة يصاب بالشلل، كما يعبر الأســتاذ مالك بن نبي، رحــمه الله (2).. أما إذا افتقــد «البعد الفكري»، فإنــه يصاب، إضــافة إلى ذلك، بالاضــطراب والعــمى والضــلال عن الوجهة القاصدة.

---

(1) محمد علي العويني، مرجع سابق، ص٣٤٢.

(2) مــالك بـن نبي، **مشـكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط ٤ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هــ/ ١٩٨٤م) ص٦٩.

# من ثمرات البعد الفكري

١- التوجيه والتحكم

٢- إعلام الفِكرة

# التوجيه والتحكم

التوجيه والتحكم ثمرة من ثمرات «البعد الفكري»، التي تعبر عن حقيقته، وتكشف عن هويته، ونضح من بعض عطائه المؤثر، وحاسة من الحواس الفعالة، التي يمنحها لمن يتوفر عليه.. وهما وجهان متلازمان، فلا يوجد أحدهما إلا وكان الآخر حاضراً.

ويتجلى حضورهما في إطار الاتصال، وتأثيرهما في أركانه، أكثر مما يتجلى في غيره، فليس ثمة توجيه للمادة الاتصالية بعيداً عن التحكم في مضمونها وأدوات توصيلها، وليس ثمة تحكم دون أن يسبقه إبصار للوجهة التي تسير صوبها المادة الاتصالية وتعمل على خدمتها.

ويأتي النظر إلى حضورهما من خلال مرتكزين أساس:

**الأول:** مفهوم التوجيه والتحكم.

**الثاني:** التوجيه والتحكم في مجال الاتصال السياسي.

## * مفهوم التوجيه والتحكم:

تكتسب فكرة التوجيه صوب الهدف المحدد أهمية خاصة في المجال الفكري والثقافي.. وقد خلص مالك بن نبي، رحمه الله، وهو ينظر في مشكلة الثقافة، من الوجهة التربوية، إلى أن المشكلة في جوهرها هي مشكلة التوجيه للأفكار.. واصفاً فكرة «التوجيه»، بشكل عام بأنها «قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف»[1].

غير أن البحث في هذا الكتاب، يتجاوز الإطار الذي وضع فيه مالك بن نبي فكرة التوجيه، وما تعنيه من «تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت»[2]، على أهمية ذلك ودلالته على مدى توفر «البعد الفكري»، الذي يختصر الجهد ويوفر الوقت، ليصل إلى أن فكرة التوجيه، في إطار مفهوم «البعد الفكري»، تشير إلى معنى تحديد «الوجهة» بدقة، وإبصار القبلة بحذق، ذلك أن لكل قاصدٍ وجهته، ولكل سائر قبلته، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ (البقرة:١٤٨).

فالوُجهة، كما يقول اللغويون، هي: القبلة، وهي الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، حتى أنهم قالوا في حسن التدبير: ضرب وجهَ الأمر وعيْنَه[3].

لذلك فإن المراد هنا من مفهوم «التأثير التوجيهي» أو «تأثير التوجيه للبعد الفكري» في إطار الاتصال بشكل عام، والسياسي منه بشكل خاص:

---

(١) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، المجلد ٣، مادة (وجه) ص٨٨٤.

الدور الذي يضطلع به «البعد الفكري»، والأثر الذي يتركه في عملية الإبصار النافذ والتحديد الدقيق للوجهة التي يفترض أن يوليها من يتوفرون عليه من القائمين بأمر الاتصال، ويعملون على توجيه المادة الاتصالية صوبها، خدمة لأهداف معينة تتصل بالقيم الضابطة التي يرتكز إليها هذا «البعد»، ووفقاً للأولويات «الأجندة» التي تحكم مسار التغطية الإعلامية.

«فالبعد الفكري» وما يمكن أن يمنحه لأهل الاختصاص من القدرة على التأثير التوجيهي، هو بمثابة: «الإبرة المغناطيسية التي تعين لراكب السفينة الاتجاه، والناظور الذي يساعده على رؤية المسافات البعيدة، والمصابيح الكشافة التي يشق بها ظلام الليل»[(١)].

ثم أنه من خلال حسن الإبصار للوجهة المستهدفة وحسن التوجيه للمادة الاتصالية يبرز الوجه «التأثيري» الآخر «للبعد الفكري» في الاتصال، وهو «التأثير التحكمي»، ودوره في ضبط الاتصال وصرفه لتحقيق الوجهة، أو صوب الوجهة.. فحسن الإبصار إتقان، وفي الإتقان إحكام، كما يفهم من كلام أهل اللغة[(٢)].

ويتضح المراد من «التأثير التحكمي للبعد الفكري» في إطار الاتصال، بالنظر في المعنى اللغوي لمادة (حكم). فحَكَمَة اللجام هي ما أحاط بحنكي الدابة، سُميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتصرفه للاتجاه المراد... والحَكَمة، حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه ومغايرة وجهته وقصده[(٣)].

---

(١) أبو خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، مج١،مادة (حكم) ص٦٨٨-٦٩٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

وممـــا يزيد من إيضاح المراد بالمفهوم، النظر إلى العملية الاتصالية، وكذلك عملـــيتي التوجـــيه والتحكم، كنوع من السلوك الإنساني، الذي يرتبط عادة بنوعـــية الأفكـــار التي يؤمن بها القائم بالاتصال .. ذلك أن ما نؤمن به «من أفكار فيما يتعلق بالإنسان يؤثر في سلوكنا الإنساني، وذلك لأنها تحدد ما الذي يتوقعه كل إنسان من الآخر»(١)، عن طريق ما يسمى بعملية الاستبطان في علم الـــنفس، الذي يرى بعض علمائه أن «النشاط الفكري الداخلي للإنسان، سواء شعر به الفرد أو لم يشعر به، هو الذي يوجه سلوكه وتصرفاته الخارجية»(٢).

لذلـــك يظل القائم بالاتصال محكوماً بما يؤمن به من أفكار ومن نشاط فكري داخلي يصعب عليه، حتى وإن أراد، أن ينفك عنه. فالأفكار والنشاط الفكـــري، الـــتي تكـــوّن في مجموعها مرتكزاً أساساً من مرتكزات «البعد الفكـــري»، أو من «الشاكلة» التي نشأ أو نشِّئ عليها القائم بالاتصال، هي التي تحكم وجهته وتضبط توجهه.

وفي ضوء ذلك كله، وبالتضافر مع عوامل أخرى، فإن مفهوم «التوجيه والـــتحكم للبعد الفكري» بعامة، وفي إطار الاتصال بخاصة، يشير إلى معنى الـــتحقق برؤية شاملة والتوفر على قوة متعددة الإمكانات، تعين على إبصار الوجهـــة، وتحديـــد القبلة، ورسم معالم الطريق الموصولة، وصبغ كل سالك بصبغة خاصة تميزه دون غيره، فتمنح إمكانات للتحكم في العملية الاتصالية، بما يضبط أدوات التواصل والوصول إلى الوجهة القاصدة لتحقيق الهدف.

---

(١) هربـــرت أ.شـــيللر، **المتلاعـــبون بالعقول**، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، ١٠٦، محرم ١٤٠٧هـ أكتوبر /تشرين الأول ١٩٨٦م (الكويت: المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب) ص١٩.

(٢) مالك بدري، مرجع سابق، ص٣١.

## * التوجيه والتحكم في مجال الاتصال السياسي:

العلاقــة التلازمــية بــين التوجيه والتحكم، في إطار مفهوم «البعد الفكــري»، كثمرة من ثمراته، وحاسة من الحواس التي يمنحها لمن يتوفر عليه، تتمثل في واحدة من أبسط صورها، في أن التحكم نتيجة والتوجيه مقدمة له، إذ يصعب تصور أي إمكان للتحكم في أمر يجهل المرء وجهته والهدف منه.

غــير أنــه كثيراً ما يأتي التحكم، وخاصة في مجال الاتصال بواسطة وسائل الإعلام، مقدمة للتوجيه، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، ليس أقلها أنموذج الرقابة الذي كانت تفرضه بعض الأنظمة السياسية على المــادة الاتصالية، في حقبة ما قبل أقمار الاتصال الاصطناعية والفضائيات والطرق السريعة للمعلومات ونواتجها.

لذلــك قــد لا يكــون يسيراً الفصل بين التوجيه والتحكم، في مجال الاتصــال السياسي بخاصــة، مما يجعلنا، في ســبيل مزيد من الفهم لطبيعة العلاقــة التلازمية بينهما، أن ننظر إلى هذه العلاقة من خلال ثلاثة مداخل مهمة، هي:

أ- مظاهر التوجيه والتحكم.

ب- أدوات التوجيه والتحكم.

ج- معابر التوجيه والتحكم.

## أ- مظاهر التوجيه والتحكم:

تستعدد المظاهـر الـتي يتجلى فيها التأثير التوجيهي والتحكمي «للبعد الفكري» في الاتصال السياسي، بل هي اكثر من أن تحصى وتعد، إلا أن من أبـرزها وأكـثرها وضـوحاً ما يمكن أن نلمحه من: التوافق في الرؤى بين القائمين بالاتصال، والانسجام بين وسائل الاتصال المختلفة في تغطيتها لحدث معين، على الرغم مما يمكن أن يقال من اختلاف المشارب الأيديولوجية.

وإذا تجاوزنـا مـا سبقت الإشارة إليه من تشابه أنماط التغطية الإعلامية للـتظاهرات ضد الوجود الأميركي في فيتنام، نجد أن أحد الباحثين (جرابر، ١٩٧١) انتهى في دراسة له اعتمدت على تحليل مضمون ٢٠صحيفة أميركية إلى ما اعتبره «وحدة مدهشة في التغطية الإخبارية للصحفيين المحترفين، بغض الـنظر عن الجريدة التي يعملون بها. وحتى خطابات القراء للمحررين، وهي خطابات هواة، لم تختلف كثيراً في مادتها عن الصحافة العامة».. ويفسر ذلك ثقافـياً، أو مـن خلال ما نقول به من مفهوم «البعد الفكري»، فيقول: إن «هـناك صـحافة غربية نموذجية، لأن الثقافات في الركن الشمالي الغربي في العالم« تشترك في مفاهيم فلسفية واحدة للحقيقة»[1].

فالـتوافق في الـرؤى، يؤكد بقوة وجود «بعد فكري» مشترك، يحكم توجهات «القائمين بالاتصال»، من خلال وسائل الاتصال.

---

(١) انظـر: كلاوس شـوينباخ، «الأخـبار في العـالم الغربي»، في:نظم الإعلام المقارنة، مرجع سابق، ص٦٨-٦٩.

## ب- أدوات التوجيه والتحكم :

يعتبر الاتصال العصب الذي يتحكم في النظام السياسي، حسب وصف «نوربرت وينر Norbert Wiener» الذي يعد الأب الحقيقي لما يسمى «بالسيبرنية Cybernetics»، وأول من ربط العلوم المختلفة بعضها ببعض داخل إطار نظرية التحكم، حيث تصل العلاقة بين النظامين، السياسي والاتصالي، عنده، إلى مستوى الترادف، بحيث إذا أدركنا السياسة كنظام، فإن الاتصال هو العصب الذي يتحكم في هذا النظام. كما أن قدرة النظام على ممارسة السيطرة والتحكم ترتبط بقدرته على التعامل مع المعلومات.

ولذلك كان يؤكد أن الاتصال والتحكم معنيان مترادفان. ففي كل وقت نقوم فيه بالاتصال نقوم فيه كذلك بالتحكم[1].

وتتعدد أدوات التوجيه والتحكم.. إلا أن من أهمها أربعة:

### - القائمون بالاتصال:

يضطلع القائمون بالاتصال بالدور الأساس الظاهر في عملية التوجيه والتحكم، فهم أصحاب القرار الأخير في تحديد المعلومات واختيار الأخبار التي يرغبون في توصيلها إلى الجمهور، كما أن لهم حرية تجاهل ما لا يرغبون في توصيله.. ولذا، فإن لديهم رؤية حول تفسير ما يحدث، بالإضافة إلى أن لديهم الحرية في وضع المعلومة أو الخبر في السياق الذي يرونه مناسبًا. ويتأثرون في

---

(١) استحدث الألماني كارل دويتش، مدخلاً للتحليل السياسي يقوم على نظرية الاتصال والتحكم (Communication theory and Cybernetics) والسيبرناتك هو الدراسة المنظمة للاتصال والتحكم في المنظمات بكل أنواعها؛ بسيوني إبراهيم حمادة، مرجع سابق، ص٥٨-٥٩.

آرائهم ومواقفهم بدورهم الاجتماعي، وبمواقعهم، ولمن يعملون، ومن يمولهم، وغير ذلك من العوامل، التي ليس المجال هنا مجال التفصيل فيها[1].

- **المغربلون (حراس البوابة):**

وهم أكثر أدوات التحكم أهمية وخطورة.. وهم هنا ليسوا القائمين بالاتصال تحديداً، وإنما القائمون على أمر المؤسسة الاتصالية أو الإعلامية، على مستوى رئيس أو مدير التحرير، المسؤولين ابتداءً عما نقرأ أو نسمع أو نشاهد، من خلال «تحديد ما يجب أن ينشر أو يبث، وما يجب ألا ينشر أو لا يبث»، ذلك أن «المغربل عملياً هو الذي يحدد لنا (كمياً ونوعياً) ما نقرأ وما نشاهد وما نستمع إليه.. وهو الذي يسهم في تشكيل وعينا، أو يعمل على تزييفه»[2].

- **المعايير الانتقائية:**

وهي مجموعة من الاعتبارات، يتم في ضوئها اختيار المادة الاتصالية بشكل عام والخبرية منها بشكل خاص.. وتعتبر من أكثر أدوات التوجيه والتحكم كشفاً عن «البعد الفكري» للاتصال السياسي.. فهي لا توجد من عدم ولا تنشأ من فراغ، ولكنها تنشأ نتيجة لفعل الإنسان وصنيعه وفقاً لما يعتقد أنه يحقق أهدافه.

---

(١) انظر :المرجع السابق، ص٧٤-٧٥؛ سامي مسلم، **صورة العرب في صحافة ألمانيا**،ط ٢، سلسلة أطروحات الدكتوراه "٨" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، حزيران/يونيو ١٩٨٦م) ص٣١-٣٢.

(٢) صالح أبو إصبع، **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة**، مرجع سابق، ص٢٧-٢٩، ويرى أبو إصبع أن مصطلح «المغربل» أكثر دقة في التعبير من مصطلح «حارس البوابة» الذي دأب بعض الإعلاميين العرب على استخدامه كترجمة حرفية لمصطلح «gatekeeper».

ويرتبط تحديد المعايير، بالدرجة الأولى، بعدد من المؤثرات السياسية والثقافية، من مثل: «ثقافة الخبر»؛ نظرة «حراس البوابة» إلى مفاهيم مثل قيم الأخبار وحرية الصحافة؛ مصداقية المصدر؛ سيطرة الدولة على الإعلام؛ حالة التقارب الثقافي للحدث، أو علاقته بالمجموعة أو الدولة التي ينتمي إليها الشخص، أو مدى توافقها مع ما كان متوقعاً، أو مدة الحدث ذاته، أو بساطة الحدث «بمعنى هل هو سهل للفهم وللنشر؟» وغير ذلك[1] .. غير أن المؤثرات الثقافية تبقى الأهم، «فالسياسي» في نهاية الأمر ما هو إلا أحد الجوانب المرئية من الصورة الحقيقية «للثقافي».

وقد أولى كثير من الباحثين في مجال الاتصال اهتماماً كبيراً بمسألة المؤثرات الثقافية على العملية الاتصالية، فأكدت دراسة أجريت على صحافة آسيا، على سبيل المثال، وجود بعض المؤثرات والخلفيات الثقافية التي جعلت من صحافة آسيا صحافة متميزة.. فقد اكتشف «بران شوبرا» بمؤسسة الصحافة الأسيوية، أن الأسيويين يستقبلون أخبارهم ويقرؤونها بالإنجليزية أكثر من أي شعب آخر من الشعوب التي ليست الإنجليزية لغتها القومية، وأن أغلب الصحفيين الأسيويين نشأوا في ظل خلفية تعليمية وثقافية غربية. ولذلك فإن معايير الأخبار التي يستخدمونها يحددها بدرجة كبيرة التفاعل بين المؤثرات الأجنبية والمؤثرات الأسيوية الثقافية والسياسية والاجتماعية.. وكان «إدوارد هول» عالم الأنثروبولوجيا الثقافية، يصف الكيفية التي تؤثر بها الثقافة في كيفية استقبال وإرسال الرسائل، بقوله: «إن الثقافة قالب، ونحن نُسبك في هذا القالب.. إن الثقافة تتحكم في حياتنا اليومية بطرق غير ملحوظة»[2].

---

(١) كلاوس شوينباخ، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) منير لك. ناصر، "قيم الأخبار في مقابل الأيديولوجية: منظور العالم الثالث"، في: ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، مرجع سابق، ص٨٦، ٩٩-١٠٠.

## - صناعة الرأي العام:

الدور الرئيس لوسيلة الاتصال هو أن تنمي اتفاقاً جماعياً في الرأي بالمجتمع. فمن خلال التعرض للمعلومات نفسها والتأويلات نفسها للأحداث، فإن الناس يتعلمون أن يفكروا في الاتجاه نفسه، وليس بالضرورة أن يصلوا إلى النتائج نفسها، على الرغم من أن ذلك وارد، ولكنهم يركزون على عناصر المشكلة نفسها التي تطرحها وسائل الاتصال(1).

ويتم مثل هذا التوجيه والتحكم بالمادة الاتصالية، من خلال ما يمكن تسميته: «صناعة الرأي العام»، أو «تشكيل اتجاهات الجماهير»، أو «صناعة الفكر والإقناع»، خاصة بعد أن تطورت صناعة الرأي العام وتقدمت في إطار النظام السياسي والاتصالي الغربي، حيث يستخدم الاتصال استخدامًا علميًا قويًا يتغلغل في النفوس، وينتشر بين الكافة على نطاق واسع، ويتزايد تأثيره يومًا بعد يوم، حتى أصبح الإعلام ذراعاً من أذرع الحكومة أو جزءًا من جهازها العصبي على حد قول «كارل دويتش». ونشأ في إطار ذلك نوع من الصراع الثقافي والإعلامي، من أجل السيطرة على القوى التي تشكل المعتقدات وتبني الاتجاهات وتبلور الآراء، سواء كانت فردية أو جمعية، فالاتصال يمتلك سلطة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية.. إنها سلطة التأثير على العقل البشري، فهو في المحصلة النهائية محاولة من المرسل للتأثير على اتجاهات وأفكار المستقبل (2).

---

(1) ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، مرجع سابق، ص٣١.

(2) إبراهيم إمام، «التوازن بين مقتضيات التخطيط الإعلامي وحرية تداول المعلومات»، مرجع سابق، ص ٧٩-٨٠؛ حسن صعب، مرجع سابق، ص١٦٣؛ فرج الكامل، تأثير وسائل الاتصال: **الأسس النفسية والاجتماعية**، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م) ص٨٧.

## ج- معابر التوجيه والتحكم:

تتنوع المعابر، وتتعدد الوسائل، التي يتم من خلالها التوجيه والتحكم في المادة الاتصالية أولاً والمستقبل ثانياً، فهناك التحيز، والتشويه، والتحريف للأنباء، واستطلاعات الرأي، والتضليل، والغربلة «حراسة البوابة» وغيرها.. إلا أن التضليل يبقى أخطرها جميعاً، لذلك يأتي اختياره أنموذجاً يتم من خلاله إبصار ملامح لبعض معابر التوجيه والتحكم في العملية الاتصالية.

- **التضليل:**

يعتبر التضليل، فيما أرى، من أخطر معابر التوجيه والتحكم في العملية الاتصالية.. فهو استخفاف بالعقل وتزييف للوعي - إن كان الوعي قابلاً للتزييف- بل هو، كما يوصف في العالم الغربي «أداة للقهر» تسعى النخبة من خلالها إلى «تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة»، وأداة رئيسة للسيطرة وتحقيق الهيمنة الاجتماعية، في مجتمع منقسم مثل المجتمع الأميركي(١).. وربما كان ذلك من بعض إيجابياته، إذا افترضنا عبثاً أن للتضليل إيجابيات.

وللتضليل وسائل عديدة.. منها:

- **السيطرة على أجهزة المعلومات والصور:**

تمثل السيطرة على أجهزة المعلومات والصور، وسيلة أساساً للتضليل في الغرب. ويقوم مديرو أجهزة الإعلام، بوضع أسس عملية تداول «الصور والمعلومات» ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، فيحددون

---

(١) تزداد خطورة التضليل حيث يظل الأفراد غير واعين بأنه قد تم تضليلهم، فتتضاعف بذلك قوة تأثير الاتصال السياسي المضلل؛ هربرت أ.شيللر، مرجع سابق، ص٣٣.

من خلال ذلك معتقداتنا ومواقفنا، بل ويحددون سلوكنا في النهاية.. وعندما يعمد مديرو وأجهزة الإعلام إلى «طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي، فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول. ذلك أن الأفكار التي تنحو عن عمد إلى استحداث معنى زائف، وإلى إنتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب بإرادته الشروط الفعلية للحياة القائمة أو أن يرفضها، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، ليست في الواقع سوى أفكار مموهة أو مضللة»(1).

— التضخيم والمبالغة:

تتعدد أسباب التضخيم والمبالغة، وقد يكون في مقدمتها : «منطق الحرب»، كما يذهب إلى ذلك العسكريون الأميركيون في حرب الخليج الأولى، الذين تعمدوا، من خلال موقعهم كمصدر وحيد للمعلومات المتوفرة عن قوة الجيش العراقي «تضخيم الأمور، وحذروا مراراً وتكراراً من إمكان حدوث خسائر جسيمة في أي اشتباك مباشر مع القوات العراقية، لكن قوات المتحالفة لم تجد مقاومة تعزز ذلك» .. وقد «أقر مسؤول عسكري رفيع المستوى بأن المعلومات التي توفرت عن قوة الجيش العراقي وحصانة دفاعاته تضمنت قدراً من المبالغة .. وقال : إن منطق الحرب يستلزم عنصر التضليل الإعلامي... وما أن بدأت الحرب البرية، حتى فرض البنتاجون حظرًا على الأنباء الصحافية، وسربت بدلاً عن ذلك تقارير مفادها أن مشاة البحرية الأمريكية استولوا على جزيرة فيلكا شمال شرقي مدينة الكويت، وأن المظليين يهبطون بالمئات على أرض العاصمة.. ولم يكن أي من هذه التقارير، التي بثتها "إذاعة القوات المسلحة"، المسموعة داخل الكويت، صحيحًا» (2).

---

(1) انظر هربرت أ.شيللر، المرجع السابق، ص5، 9.

(2) سوزان سانتنز ووكالات الأنباء، الشرق الأوسط، العدد 4479، 4/3/1991م، ص3.

- الأحكام المسبقة والصور المقولبة:

ومن وسائل التضليل: الأحكام المسبقة، والصور المقولبة، التي تعتبر جوانب جزئية من مصطلح أكثر شمولاً هو «المواقف»، سواء أكانت هذه المواقف في حالة «الإدراك» أو في حالة «الانفعال» أو في غيرها.[1].

- إنكار «البعد الفكري»:

ومن أهم وسائل التضليل، فيما نرى، إصرار «القائمين بالتضليل» على إنكار وجود أي «بعد فكري»، أو أيديولوجيا تعمل بوصفها «ميكانيزم» سيطرة، فهناك فقط، على حد زعمهم، سلسلة من المعارف القائمة على حقائق أو معلومات، ينتقي منها أي شخص ذلك القسط من المعلومات الذي يتلاءم أكثر مع نموذج أو نمط الحقيقة الذي يحاول تكوينه[2].

- محاصرة مؤسسات التشكيل «للبعد الفكري»:

تعتبر محاصرة مؤسسات التشكيل «للبعد الفكري» والتكوين للشاكلة الثقافية، والتشويش عليها، والتشكيك في عطائها، والتشويه المتعمد لدورها الطبيعي، من أهم وسائل التضليل للرأي العام، التي تستخدمها كثير من الأمم المتحكِّمة ضد الأمم الأخرى، التي يُراد التحكم بها.

---

(١) الأحكام المسبقة مواقف سلبية أو رافضة تتخذ تجاه شخص أو جماعة من الأشخاص حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقولبة على صفات محددة أصلاً، يصعب جدًا تصحيحها بسبب الجمود والعناء والشحنات الانفعالية حتى لو تم التعايش مع تجربة مناهضة للحكم المسبق.. والصور المقولبة هي: «التعبير اللفظي لاقتناع موجه إلى جماعة اجتماعية أو إلى فرد من أفرادها، ومن ناحية الشكل المنطقي فهي تبدو حكمًا تمنح طبقة من الأشخاص أو تمنع عنها صفات محددة أو طرقًا مسلكية معينة بطريقة مبسطة تعميمية غير مسوغة ومغلفة بقيم عاطفية، ومن الناحية اللغوية فإنه يمكن التعبير عن ذلك في جملة واحدة»؛ انظر سامي مسلم، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) هربرت أ.شيللر، مرجع سابق، ص١٨-١٩.

والأمثلة على ذلك، من «حرب الخليج الأولى» أكثر من أن تحصى، إلا أن «حرب الخليج الثانية: ٢٠٠٢-٢٠٠٣م»، وإن لم تكن محل الدراسة في هذا الكتاب، تعتبر أكثر تعبيراً عما تقوم به الأمم، أو الأمة، المتحكّمة من تضليل للرأي العام، تتخذ من محاصرة مؤسسات التشكيل «للبعد الفكري» أداة له ووسيلة تكشف عن عمق الهوية الحضارية و«البعد الفكري» الذي يتوفر عليه «إنسان الحضارة الغربية» في صدامه مع «إنسان الحضارة العربية».

فقد كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية، على سبيل المثال، في ديسمبر ٢٠٠٢م، عن مشروع مقترح، وقتها، تتدارسه وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) ويحظى بتأييد من دونالد رامسفيلد وزير الدفاع، حول تنفيذ عمليات دعائية سرية تهدف للتأثير على الرأي العام وعلى صانعي السياسات في الدول الصديقة والمحايدة.. حيث أوضح مسؤولون من (البنتاغون) أن «المشروع يتضمن نشاطات تهدف لتقويض تأثير المساجد والمدارس الدينية التي أصبحت بؤرًا لتوليد الناشطين الأصوليين والمعادين للولايات المتحدة عبر منطقة الشرق الأوسط وآسيا وأوروبا. ويتضمن المشروع تأسيس مدارس في الدول الإسلامية تمول سريًا من قبل الولايات المتحدة وتكون مهمتها تدريس الموقف الإسلامي المعتدل».

«كما يتضمن المشروع قيام الجيش الأميركي بدفع أموال لصحافيين كي يكتبوا قصصًا إخبارية تتوافق مع السياسات الأميركية، وتسريب قصص مضللة واستئجار بعض المتعاقدين، دون أن تكون لهم صلة مباشرة مع البنتاغون، ليقوموا بتنظيم مظاهرات مؤيدة للسياسات الأميركية»(١).

---

(١) انظر صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٧٨٥، ١٧/١٢/٢٠٠٢م.

# إعلام الفكرة

«إعــــلام الفكرة» ثمرة أخرى من ثمرات «البعد الفكري»، ونتاج طبيعي مـــن تجلـــياته في ساحة الاتصال والعمل الإعلامي.. وهما وجهان متلازمان لحقـــيقة واحــــدة، ورباط وثيق لا ينفك.. فحيثما وجد إعلام فهو يعبر عن «فكرة» يعمل لصالحها وخدمة أهدافها، وثمة «بعد فكري» يقف من ورائه، يمـــنحه القـــدرة على النظر والعمل والعطاء والتوليد والتمكين.. فهو الفضاء الواســـع، الذي يضـــطلع «البعد الفكري» بترســـيم حدوده وتعيين أبعاده وإبصار آفاقه.

فهو مفهوم ينبثق في أصله عن حقيقة مهمة تتلخص في أنه لا يمكن تصور وجـــود «إعـــلام» ذكي ناجح، بحسب تعبيرات الأستاذ «غسان تويني»[1]، «بلا فكرة» مثلما هو حال إعلام «الآخر» مما نشاهده اليوم ونتابعه، وإن كنا قد نتوقع وجود «فكرة» بلا «إعلام» يحملها إلى العالمين.

وقد تتضح صورة المفهوم أكثر بالنظر في مرآة ثورة الاتصال والمعلوماتية، التي أصبح يُنظر إليها كمحور أساس في الصراع الدائر على مختلف المستويات وفي أكثر من مجال، وما ترتب عليها من انفتاح إعلامي كوني كبير.

فعلى الرغم من كثير مما يمكن أن يقال عن سلبيات هذه «الثورة» إلا أن مـــا يمكـــن أن يقال أيضاً عن إيجابياتها أكثر من أن تُحصى، ولعل في مقدمة

(١) يـــرى غسان تويني أن الإعلام يفترض به أن ينطلق «في رؤية واضحة للواقع والمستقبل، فلا إعلام ذكـــيًا ناجحًا، حيث لا رؤية واضحة للواقع والمستقبل في آن، أي لأهداف الإعلام» غسان تويني، سر المهنة.. وأصولها (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٠) ص٦٠.

ذلك، مما يتصل بموضوعنا، التأكيد أن «لكل إعلام فكرته»، التي ينطلق منها ويتمحور حولها، ويرى من خلالها، ويبصر الحدث وحقيقة الحدث وما وراء الحدث، وما يمكن أن يؤدي إليه من تطورات وتغيرات وتحولات، على مختلف المستويات.

فليس هناك «إعلام بلا فكرة».. «الفكرة» و«الإعلام» توأمان متلازمان، متماثلان، مصدرهما واحد، ومحضنهما واحد، ويتخلقان في رحم واحد متجانس الجينات، ويشبّان عادة في بيئة واحدة، لا مجال للفصل بينهما، وإلا كان الخلل والاضطراب وضلال الوجهة.

وعلى الرغم من أن مفهوم «إعلام الفكرة» ما يزال في طور التخلق والتبلور والتكوين، إلا أن النظر إليه من خلال بعض «جيناته» قد يساعد في الكشف عن جوانب من حقيقته.. مثل:

١ – مفهوم «إعلام الفكرة».

٢ – أهداف «إعلام الفكرة».

٣ – مكونات وعناصر «إعلام الفكرة».

٤ – أهمية «إعلام الفكرة».

٥ – مقتضيات «إعلام الفكرة».

٦ – موارد «إعلام الفكرة».

٧ – العلاقة بين «إعلام الفكرة» والإعلام الإسلامي.

## ١- مفهوم «إعلام الفكرة»:

يتحدد مفهوم «إعلام الفكرة» في ضوء طبيعته التكوينية، التي تشكل ملامحه، وتحدد أهدافه، وتدل في كل مرحلة على أفضل أدواته وأنسب وسائله المطلوبة لبلوغ غاياته.. فهو، كمفهوم اجتماعي ثقافي، يشير ابتداءً إلى العلاقة التلازمية رباطاً، التبادلية أثراً وتأثيراً، بين الإعلام كرسالة ووعاء وبين الفكرة كمرتكز ومنطلق وعطاء، في تفاعلهما مع المجتمع، الداخلي والخارجي، على مستوى الذات و(الآخر)، أخذاً وعطاءً.

ثم إنه يشير تالياً إلى تلك العملية التي تتجسد فيها «الفكرة» بالإعلام، ويستحقق فيها الإعلام «بالفكرة»، التي توفر له الزاد والمدد والعطاء وتمنحه القدرة على النظر والفهم والاستيعاب والتحليل.

وهو لا يتحقق بعيداً عن مفهوم «البعد الفكري» الذي يشكل، من وجه آخر، عمقه الأساس للإنتاج والعطاء، فكلاهما، في هذا الإطار، مقدمة للآخر ونتيجة له.

## ٢- أهداف «إعلام الفكرة»:

يضطلع «إعلام الفكرة» بما يضطلع به الإعلام information كما في تعريفات الأكاديميين والإعلاميين الممارسين للمهنة، من القيام بعملية «استقاء واستخراج المعلومات والحصول عليها»، وفي الوقت نفسه «إعطاء وبث هذه المعلومات إلى الآخرين» (١).

---

(١) جبارة عطية جبارة، علم اجتماع الإعلام، ص١٠٢.

فهو يهدف بشكل عام، إلى: التبليغ والتوعية والتوجيه عن طريق الاتصال بالجماهير[1]، وتقديم المعلومات للناس لتزويدهم بقاعدة للمعلومات أو لإضافة المزيد عليها، والعمل على إقناعهم وتشكيل اتجاهاتهم وتغييرها[2].. كما يسعى إلى: نشر المعرفة وتزويد الناس بالمعلومات والحقائق الكفيلة بتوسيع آفاقهم، ولما يتطلعون إليه من أهداف ومرام وقيم اجتماعية سامية[3].

غير أنه في ذلك، لا ينطلق بلا ضوابط، ولا يسبح في فضاء بلا حدود، وفي بحر بلا شواطئ، وإنما يعمل وفق مرجعية «الفكرة» التي ينطلق منها، ويهتدي بضوئها، سعياً لتحقيق أهداف الأمة التي ينتسب إليها، ويحمل خصائص ثقافتها، ويتميز بقسمات شخصيتها.

لذلك، فإن من أهم أهداف «إعلام الفكرة» الرئيسة، ثلاثة:

-الإصلاح والبناء.

- الوقاية والتحصين.

- المواجهة، لا الصدام، في ساحة الصراع الفكري، وحسن التعامل والإفادة، بما يمكن من قراءة (الآخر) وإدراكه، والإحاطة بنواياه وأهدافه.

---

(١) أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف، نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص٦.

(٢) هنري ف.شولت، وسائل الإعلام كأدوات للتعليم والإقناع وتشكيل الرأي في العالم الغربي، في نظم الإعلام المقارنة، مرجع سابق، ص١٩٨ .

(٣) جبارة عطية جبارة، مرجع سابق، ص١٠٤.

## ٣- مكونات وعناصر «إعلام الفكرة»:

يتكون «إعلام الفكرة» من عنصرين أساس:

**الأول:** الفكـــرة، بكل تفاصيلها وآفاقها، التي تم تناولها، سابقاً، في إطار مفهوم «البعد الفكري» ومرتكزاته.

**الـــثاني:** الإعلام، بمفهومه وأركانه وعناصره وكل مقوماته المعروفة، في مظانـــه من المصادر والمراجع والكتب والممارسة المهنية، وعلى النحو الذي تم التفصيل فيه، سابقاً، في إطار مفهوم «الاتصال».

## ٤- أهمية «إعلام الفكرة»:

يكتســـب «إعــلام الفكرة» أهميته ابتداءً من أهمية «الفكرة» كمنطلق وإطار مرجعي، وضرورة توفرها في كل فعل.. ذلك أن «الفكرة» على النحو الـــذي تمت مناقشته، ســـابقاً، في إطار الحديث عن مفهوم «البعد الفكري» ومرتكزاته والعلاقة التلازمية بين هذه المرتكزات، هي التي تمنح الإعلام الرؤية في الآفاق كلها، وتحقق له القدر المطلوب من الذكاء والنجاح.

ثم يكتســـبها ثانياً من إحساس عميق بأن إعلامنا، في معظمه، قد انتهى لأن يكون قاعاً تستقر فيه إفرازات الإعلام الغربي المهيمن، وصدىً تتردد من خلاله رسائله؛ وأصبح يعاني حالة من العجز والاضطراب والتردي، ليس على مســـتوى الآلات والتقنيات والمؤسسات والتمويل، فهي مما يمتلك منه الكثير، وإنمـــا على مستوى «الفكر الإعلامي» الذي يعني غيابه، أو اضطرابه، ضعفاً

وعجــزاً وتخبطاً بالعملية الإعلامية حتى تنتهي إلى ما يشبه عملية طحن الماء، وإن كثُر.

وقــد أســهم ذلك، تفاعلاً مع عوامل أخرى، في تكريس حالة العجز الفكري والخلل الثقافي السائد في كثير من المواقع، وإن كان الخلل في العملية الإعلامــية هــو مــن وجه آخر أحد نواتج العجز الفكري والخلل الثقافي، فكلاهمــا ســبب للآخــر وإفــراز له.. ثم تجلى ذلك كله في حالة التردي السياســي، والتبعية المفرطة «للآخر»، حيث تبقى السياسة، في بعدها الأكثر خطورة، ثمرة من ثمرات الثقافة، ونفحة من نفحات عطاء «الفكرة»، ومظهراً سطحياً من مظاهرها.

فالــثقافة-الفكرة هي الجوهر والأساس، والتربة الصالحة، والنبع العذب، والهــواء النقي، الذي يثمر السياسة، ويحكم نشاطها، ويضبط وجهتها، تماماً كمــا يــثمر العملية الإعلامية، ويقدم لها الرؤية، ودليل العمل، ويحكمُها، ويــتحكم بها.. فلا سياسة ناجحة بلا إعلام ناجح، وليس هناك إعلام ناجح بلا «فكرة» ناضجة، ينطلق منها ويرتكز إليها ويرى من خلالها، حيث لا مجال لأي نظام سياسي «أن يعمل بدون مساعدة وسائل الإعلام»[1].

لذلــك، فقــد يكون التردي في الواقع السياسي العربي راجعاً، في بعض أسبابه، إلى اضطراب «الفكرة» في إعلامه، أو غياب «إعلام الفكرة» الذكي الــناجح عن ساحته، بالمستوى الذي يتناسب مع عطاء «إعلام الفكرة» عند

---

(١) ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، **نظم الإعلام المقارنة**، مرجع سابق، ص٣٩.

(الآخـــر) المخـــتلف، ثقافياً وحضارياً ودينياً، مما انعكس سلباً على الإنسان العـــربي المســـلم، في كل المواقع الأخرى، فأصبح يعاني حالة من الاهتزاز في ملامح هويته، والضعف في انتمائه الثقافي، والتبلد في حسه الحضاري، ومزيداً مـــن الاضطراب في وعيه السياسي، مما ولّد حالة من الشتات والتيه، أورثت الأمـــة كثيراً من المشكلات السياسية القائمة، والعجز عن مواجهتها وحسن التعامل معها، وإيجاد الحلول التي تناسبها.

ويـــزداد «إعـــلام الفكرة» أهمية في ضوء الأحداث العسكرية الضخمة والـــتحولات السياسية الكبرى، التي هزت العالم في السنوات الأخيرة.. فقد أكـــدت مـــن جديـــد: أن الانتصار الحقيقي في عالم اليوم لم يعد يتقرر في ســـاحات الحروب العسكرية، بأسلحة الدمار التقني، أو الشامل، وإنما يتقرر بالدرجة الأولى في ميدان «الحروب الفكرية» وساحات «الصراع الفكري» بسلاح «الأفكار»، التي تتخذ من الإعلام، الذي كثيراً ما يطلق عليه مصطلح «الســـلطة اللطـــيفة» وســـيلة لحمل هذه «الأفكار» وأداة لتزيينها، وبيانها، والإغـــراء بقبولها، والنفاذ بها إلى «الآخر»، تخترق حصونه الثقافية، وتضرب قلاعه الحضارية، فتهدم كثيراً مما يؤمن به من قيم، وتدمر منظومته الفكرية.

فحـــروب الغد، كما هي حروب اليوم، لن يربحها، كما يؤكد كثير من المفكرين الاستراتيجيين الغربيين، من يملك القنبلة «العسكرية» الأكثر تدميراً، وإنما يكسبها من يملك الرسالة «الإعلامية» الأقوى تأثيراً.

لذلـــك لم يعـــد مـــن بـــاب الاجتهاد بالرأي القول: بأن انهيار الاتحاد الســـوفيتي، وأفول المعسكر الشيوعي والاشتراكي، وحروب الخليج، الأولى

والثانسية، ومـــا قبـــلها وما بعدها، وما ترتب عليها من تداعيات، ووجهة المفاوضـــات العربية الإسرائيلية، والفلسطينية الإسرائيلية، ونشأة النظام العالمي الجديد، وتفرد الأحادية القطبية بالهيمنة والسيطرة على كل شبر في العالم... كـــل ذلـــك إنما كان لسلاح الأفكار والرسائل الإعلامية الأقوى و«إعلام الفكرة» القوي، المبصر، المدرك، الدور الأساس في تحقيقه.

## ٥- مقتضيات «إعلام الفكرة»:

تتعدد الأسباب الداعية لطرح مفهوم «إعلام الفكرة» على ساحة العمل العـــربي، إلا أن هـــناك، إضـــافة إلى ما سبق، ثلاثة عوامل هي، فيما أرى، الأكثر أهمية:

الأول: شيوع ثقافة الغرفة الكونية، وضرورة التحصين.

الثاني: تزايد التردي العربي، والحاجة للإصلاح.

الثالث: هيمنة «إعلام الفكرة» الصهيونية.

### أ- شيوع ثقافة الغرفة الكونية:

من أخطر تداعيات ثورة الاتصال والمعلوماتية، وما ترافق معها من تطور متسارع في تقنيات وسائل الإعلام وفنون الاتصال الجماهيري، التحول الكبير والتغير المثير الذي حدث في كل شيء .. في الثقافة، السياسة، الجغرافيا...

ولعل من أهم هذه التغيرات، فيما أرى، شيوع ما يمكن تسميته: «ثقافة الغـــرفة الكونية» حيث تحول العالم، في ظل هذه الثورة، إلى «غرفة» جلوس كونـــية صغيرة، مُشرعة الأبواب، مُفتّحة النوافذ، بل هي في الحقيقة غرفة

بلا أبواب وبلا نوافذ، أزيلت عنها الحيطان والجدر، وطويت فيها الأبعاد والمسافات، وأُلغيت الحواجز والعوائق؛ يجلس الناس، على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، وتعدد ألوانهم وألسنتهم، وتنوع ثقافاتهم ومعتقداتهم، وتباين حضاراتهم وهوياتهم، يجلسون على أرائكها المخملية، في فضاءاتها الواسعة، الممتدة بلا أفق، يبصر بعضهم بعضاً، ويستمع بعضهم من بعض، كلٌّ يسعى لإيصال صوته، وتبليغ رسالته، وإقناع الجالسين بها، ويبذل في سبيل ذلك الجهد والوقت والمال.

وفي هذا الفضاء الاتصالي الواسع العريض، نشطت «ثقافة الغرفة الكونية» تغير وتبدل وتستبدل كثيراً من القناعات والمفاهيم والمصطلحات، وعمدت بعطائها المتدفق، إيجاباً وسلباً، إلى تطوير دلالات كثير منها وإضافة معان جديدة لها، حتى على مستوى العمل الإعلامي نفسه.. فالخبر، الذي يشكل العمود الفقري للعمل الإعلامي والمادة الرئيسة والعنصر الأساس فيه، ومنه تستمد جميع المواد الأخرى أهميتها، وكيانها... لم يعد كما كان في تعريفات الأكاديميين: تقريراً لحقائق وقعت فعلاً، ويتم نقلها، بل هو ما يحدث الآن، ويجري أمام أعين الجالسين في ردهات «غرفة» الجلوس الكونية.

كذلك لم يعد من الممكن في ظل شيوع «ثقافة الغرفة الكونية» القبول بإطلاق لما يشيعه كثير من المهتمين بالمسألة الإعلامية من مفردات وتسميات، على الحقبة التي نعيشها من تاريخ الإنسانية، مثل: «الدولة الإعلامية»، أو «القرية الإعلامية»، وحتى «الأسرة الإعلامية» الواحدة، وإن كانت المفردات والتسميات تنطوي على كثير من المعاني، التي أصبحنا نراها وقد

تجسدت في واقع يطاردنا، فلا نستطيع رده ورفضه، أو تغافله والتغابي عنه، حتى لم يعد بإمكاننا من خيار سوى معايشته والتعايش معه، فالحقبة هي حقبة «الغرفة الكونية» أو «غرفة الجلوس الكونية».

فالملامح الإعلامية التي نبصرها وهي تتبلور كل يوم، والامتداد الإعلامي الذي نحس به وهو يتحقق في كل وحين، أخذ يتسع حتى بدا وكأنه قد أصبح البديل الواقعي عن الحدود السياسية والفواصل الجغرافية؛ وأن «الدولة الإعلامية» بدت وكأنها أصبحت البديل المفروض واقعياً عن «الدولة السياسية»؛ وأن وكالات الأنباء العالمية، وشبكات التلفاز الضخمة والمحطات الفضائية المتكاثرة عدداً، المتنوعة مضمونًا، الممتلئة عدة وإمكانات، المتناثرة أهدافاً واهتمامات وأدوات فعالة، ومراسليها المنتشرين في كل مكان، أصبحت هي الدول الجديدة، التي منحت لنفسها بكل جرأة حق تصوير الواقع، وقراءة مفرداته، وتحليل مكوناته، وإبصار نتائجه، وفق أبجدياتها الفلسفية ومرجعياتها الفكرية، لتعمل من ثمّ على تقديم الحلول، وطرح المعالجات، وإعطاء الأوامر.

فهي تقرأ لنا الحدث، الذي تختاره دون غيره، وتنتقيه مما سواه لتنقله إلينا، وتسعى لتوظيفه، من خلال «الفكرة» التي تؤمن بها، وتعمل وفقها، وتسير على هدى عطائها، وتسعى من ثمّ لصناعة الحاضر وتشكيل أبرز ملامح صورة المستقبل، وإشاعة العناصر التي يفترض أن يتم في ضوئها رسم ملامح الدولة الجديدة.

ثم إنـــه في ظل شيوع «ثقافة الغرفة الكونية»، أصبحت أقمار الاتصالات الاصـــطناعية وتوابعها من الفضائيات والمحطات والشبكات التلفازية، هي أداة التغيير والتشكيل بل و«القهر» الجديدة، التي تُخضع إنسان الألفية الثالثة، طائعاً مختـــاراً أو كارهـــاً مجبراً، لنظرة جديدة وتصور جديد لأسس ومعايير تشكيل الدولـــة الحديثة، تأخذ في اعتبارها ما تحقق، بفعل تقنيات الاتصال، من إلغاءٍ لـــلحدود، وإزالة للسدود، واختزال لبعدي الزمان والمكان، وطيٍّ للمساحات الكبيرة والمسافات الشاسعة.

لقـــد عـــززت «ثقافـــة الغرفة الكونية» دور الإعلام في عمليات التأثير والاختراق، متجاوزاً الأطر الثقافية، والحدود السياسية، ليقوم بعملية «إخلاء» واسعة النطاق، يخترق فيها الخصائص النفسية للشعوب، ويهز القناعات الإيمانية للأمم، آسراً للعواطف، مسيطراً على الشعور، ملقياً للقبض على العقول، وقد يـــتجاوز ذلك إلى التخزين والهيمنة على اللاشعور، ليبدأ من ثَمّ عملية «إملاءٍ» يعيد من خلالها التشكيل النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع والشعب والأمة، فيؤســـس لخصائص جديدة، ويؤصل لقناعات حديثة، كثيراً ما تكون متناقضة مـــع قـــناعات الأفراد والمجتمعات والشعوب، مما ينتهي بهم إلى اتخاذ مواقف، ثقافـــية وسياسية بخاصة، تستجيب لرغبات وأهداف صاحب الرسالة الإعلامية «الأقوى»، و«إعلام الفكرة» الأمضى.

وفي ظـــل هـــذه «الثقافة» الشائعة، أصبحنا نرى الجغرافيا تُقضم مكوناتها حـــتى توشـــك أن تصبح بلا تضاريس تحددها، والثقافات تُستلب خصائصها لتضـــحى بلا خصوصيات تميزها، واللغات تُحاصر استخداماتها حتى تنتهي إلى رموز بلا شعوب تتحدثها.

هــذا الواقع الذي فرضته «ثقافة الغرفة الكونية» هو مما يستدعي «إعلام الفكـرة» كـإعلام يهـدف إلى الوقاية والتحصين ضد إفرازات هذه الثقافة الجديدة والتدفق الإعلامي المدمر، المسلط علينا من كل جانب وفي كل حين.

## ب- تزايد التردي العربي والحاجة للإصلاح:

تتأكد أهمية «إعلام الفكرة» كلما ازداد إطار الواقع العربي المتردي تردياً، وأصـبح في حاجـة مـلحة للإصلاح.. ولعل من أخطر صور التردي ذلك الـتراجع المخـيف، الذي كرسته «ثقافة الغرفة الكونية» على مستوى الدور الفعـال والمؤثر لمؤسسات التشكيل الثقافي، وموارد العطاء التربوي، ووسائل البـناء الفكـري، بـدءاً من المؤسسة التربوية الأولى (الأسرة)، إلى المؤسسة التعليمـية (المدرسة)، إلى المؤسسة الدينية (المسجد)، إلى المؤسسة الاجتماعية (الزمرة المجتمعية، أو الجماعة) المأمونة... إلى غير ذلك من المؤسسات، لتتقدم المؤسسـة الإعلامية، وتصبح المؤسسة الأكثر فعالية، والوسيلة الأقوى تأثيراً، الـتي تـتوفر عـلى إمكانية القيام، في آنٍ واحد، بدور كثير من المؤسسات الأخـرى، والمساهمة في الوقت نفسه بتطويرها والارتقاء بها، ولتتحول من ثمّ إلى أداة فنية وحاسـة ضرورية وحاجـة لابد منها لهذه المؤسسات، التي إذا لم تـتحقق بقـدر منها ومن ثقافتها، وتمتلك الوسيلة المناسبة لتبليغ رسالتها، تصبح عاجزة عن القيام بالدور المطلوب منها، والمهمة المنوطة بها.

وبذلك احتل الإعلام الموقع الأخطر في عمليات التشكيل والتوجيه والتكوين وإعادة البناء، وأصبح الأداة الأكثر خطورة من بين أدوات التشكيل الثقافي، والتوجيه الحضاري، والتحول الاجتماعي، والتحكم السياسي.. فهو، بما يمتلك من إمكانات ووسائل مخاطبة مجموعة الحواس، والتأثير فيها، بالكلمة، والصورة، والضوء، واللون ... إلخ، يعتبر الأداة الأكثر قدرة على الاختراق، والاحتواء، والتأثير، والهيمنة على حواس الإنسان وشعوره وعقله، والتحكم فيه، حتى غدا اليوم وكأنه مؤسسة مؤسسات التعليم المستمر، التي تستطيع بما تحمل النفاذ لمن تريد، كيفما تريد، حيثما كان، وأينما كان ذلك الكائن المستهدف.

إلا أن الإعلام لا يمكنه الاضطلاع بهذا الدور إذا لم يتمثل «فكرة» راسخة، ترتكز إلى قيم هادية، بحيث يصبح تجسيداً لها وتعبيراً عنها؛ منها ينطلق، ووفقها يعمل، وفي ضوء عطائها يسير، مبصراً طريقه، مدركاً هدفه، قادراً على حسن توظيف ما يتاح له من وسائل وما يتوفر له من تقنيات، كما هو حال كثير من إعلام القوى «المهيمنة» اليوم.

لذلك فإن إعادة التشكيل الثقافي، وبناء الشاكلة الثقافية، التي سوف تساهم بإصلاح الواقع العربي المتردي، على مختلف المستويات، وتوفير متطلبات التغيير، مرهونة ابتداءً بإصلاح الواقع الإعلامي المتردي والمضطرب، ومشروطة ببلورة الملامح وتحديد القسمات وبيان الأدوات «لإعلام الفكرة» باعتباره إعلاماً إصلاحياً بنائياً.

## ج- هيمنة «إعلام الفكرة» الصهيونية:

أصبح من الأمور المعلومة بالضرورة أن اليهود قد تمكنوا اليوم من السيطرة على مؤسسات العمل الإعلامي، على مستوى العالم، صحفاً ومجلات وإذاعات وفضائيات وغيرها، واستطاعوا من خلالها الهيمنة والتوجيه للثقافة والسياسة والاقتصاد والحروب، الفكرية والعسكرية، وتجييرها لصالحهم، والنفاذ إلى العالم، والسيطرة عليه، والتحكم به، وتوجيهه لخدمة مشروعهم الثقافي وإقامة دولتهم «دولة الفكرة»

إلا أن الأمر المسكوت عنه هو أن اليهود ما كان أن تتحقق لهم الهيمنة بإعلام يقوم فقط على التقنيات المتطورة والإمكانات المادية المتوفرة والكتل البشرية الهائلة من الإعلاميين والفنيين والممولين، مما نمتلك مثله أو نزيد، وإنما كان لهم ما أرادوا حين تحقق إعلامهم بالفكرة فأصبح «إعلام فكرة»، وتوفر إعلاميوهم ومثقفوهم وسياسيوهم وعسكريوهم ...إلخ على «البعد» المستمد من هذه الفكرة، فامتلكوا «العين السحرية» التي ترقب وتراقب، واحتازوا «السنظارة الحضارية» التي تمكن من الإبصار الدقيق للأهداف والوسائل الموصلة، فوقفوا بذلك على جانب الطرف الأقوى من ساحة «الصراع الفكري» يديرونه كيفما شاءوا، بكل الأدوات والوسائل، التي يأتي مقدمتها «إعلام الفكرة» الذي أدركوا أهميتهُ وخطورته منذ وقت طويل، فاجتهدوا فيه، وتمكنوا من أدواته، وأتقنوا فنونه وأساليبه، وأبدعوا فيه، وأحسنوا استخدامه، وأجادوا توظيفه، فاستغنوا به، في كثير من الحالات، عن

إمكانـــات الدول الكبرى، وحكموا به العالم كله.. بينما ظل كثير منا ينفي، ربما لافتقاده «الفكرة» أصلاً، الصلة التوأمية بين «الفكرة» و«الإعلام».

لذلـــك، وبينما كان العرب والمسلمون يعيشون حالة من التيه والضياع، في المجـــالات كـــلها، وفي مقدمتها المجال الإعلامي، كان اليهود من خلال «إعلاميـــيهم» المنتشـــرين في كل مكان والمسيطرين على الصحف والمجلات ووكـــالات الأنـــباء والقنوات التلفازية والمحطات الإذاعية الأقوى تأثيراً على مســـتوى العـــالم، قد أجابوا عن الأسئلة الكبرى التي تشكل المحور الأساس «لإعـــلام الفكـــرة»، فعرفوا : ماذا يقولون؟ ولماذا يقولون؟ ومتى يقولون؟ وكيف يقولون؟

فالـــيهود، تمـــيزوا تاريخياً، بتشبثهم «بالفكرة» المنحدرة من رؤية دينية توراتية تلمودية، واستمساكهم بها، وحرصهم.

و«الفكـــرة» الـــيهودية، تعبير عن رؤية دينية، ظل اليهود متشبثين بها على مـــدى الزمن، حريصين على العمل من خلالها، على مختلف المستويات، حتى أصبح ينظر لكيانهم المنشأ في فلسطين كأنموذج «للدولة الفكرة»، دون أن يعني ذلك تديناً أو التزاماً بتعاليم الدين، وإن كانت لا تجافيه، ولا تتعارض معه؛ تعمل عـــلى صناعتها وتشكيلها مؤسسات المجتمع كله، وليس المؤسسة الدينية والمعبد وحـــده، ومـــن أهمهـــا مؤسسة الأسرة، وبخاصة الأم «اليهودية»، والمؤسسة التعليمـــية، بدءاً من المدرسة إلى الجامعة، التي يتم فيها إعداد الإعلامي والمثقف والسياســـي والعســـكري، وغيرهم.. وذلك على ما فصل فيه «ماجنيس» أول رئيس للجامعة العبرية، في الكلمة التي ألقاها عند افتتاحها عام ١٩٢٤م، قائلاً:

«نحــن نريد الجامعة مكاناً يمكن فيه أن ندرس اليهودية في جميع مراحلها، ونستطيع فيه دراسة الإنسانيات، وأيضاً ذلك الذي يسمى حضارتنا المعاصرة، فلــيس هنا يهودية وهناك علوم إنسانية، وإنما هناك دمج بينهما في كيان كلي مــتجانس .. وقد اغتنت اليهودية واتسعت آفاقها حيث اغتنت الإنسانية أيضاً واتسعت آفاقها.. إن هدف الجامعة أن تحلل التطور الاجتماعي للقرن الماضي، ولــيس خلق أو تدعيم التشابه مع الشعوب .. وإن هدفنا هو استيعاب الكنوز المعــنوية للعالم في دائرة القيم اليهودية.. نحن نريد بمساعدة البحث العلمي أن نــنظر إلى الإنسانية عبر عيوننا ومدركاتنا، دون أن نقيد أنفسنا بحضارة تبدو وكأنها قد حُكم عليها بالفناء بسبب ارتباطها بقيمها ومنجزاتها المادية»[1].

لذلــك يمكــن القــول بكل اطمئنان: إنه لولا «الفكرة» بشكل عام، و«إعلام الفكرة» بشكل خاص، الذي وصل باليهود إلى كل حدب وصوب، لمــا اســتطاعوا النجاح في تشكيل الفرد «ابن اليهودية» وصياغة هويته، في مجــتمع والشــتات، وتحصينه بالرؤية التوراتية، حيثما كان، وتوجيهه صوب إقامــة «دولــة الفكرة»، ولما أبصروا المجالات الأكثر فاعلية والأقوى تأثيراً، وحــددوا بدقة مواقعهم فيها، ولما امتلكوا إمكانية التحكم بهذا العالم، الذي يصنعون له اليوم فــكرته، ويعملون على إعادة تشكيله ثقافياً، ليسهل من ثمّ إعادة ترتيبه سياسياً، والسيطرة عليه اقتصادياً.. ولقد حققوا في ذلك الكثير.

ولعــل ذلــك مما يقتضي التفكير بالعمل على تحويل إعلامنا إلى «إعلام فكرة» يكون قادراً على المواجهة في حلبة الصراع، وحسن التعامل والإفادة من «الآخر» وتجاربه.

---

(١) كان الدكتور حامد ربيع، رحمه الله، كثيرًا ما يلفت النظر إلى أهمية التنبه إلى هذه الكلمة..انظر: أحمد الجمال، الراية القطرية،١٧/٧/١٩٩١م،العدد ٣٥٩٥، ص٥.

## ٦- موارد «إعلام الفكرة»:

تتعدد موارد التأسيس والتأصيل«لإعلام الفكرة»، إلا أن من أهمها:

أ- معرفة الوحي، كمرجعية، ومرتكز، ومركز رؤية.

ب- التراث الخاص، العربي الإسلامي (المخزون التاريخي) كاجتهاد بشري لتجسيد القيم في الواقع وتجربة تاريخية، قد اكتملت ونضجت .

ج- التراث الإنساني العام، استجابة لأمر الله بالسير في الأرض والتوغل في تاريخ الأمم والحضارات والشعوب، للإفادة وأخذ العبرة والحذر.

د- معرفة «الآخر» ومعطيات العصر وعطاءه في مختلف المجالات، خاصة في مجال الاتصال والمعلوماتية، من خلال المعيار والمقياس الذي يمنحنا إياه «البعد الفكري» على ساحة «إعلام الفكرة» بشكل خاص، مما يمكننا من حسن التعامل والإفادة والتوظيف.

## ٧- العلاقة بين «إعلام الفكرة» والإعلام الإسلامي:

إعلام الفكرة ليس هو ما اصطلح على تسميته «الإعلام الإسلامي»، كما يعرِّفه الدارسون والباحثون والمهتمون بالمسألة الثقافية الإسلامية والفكر الإسلامي، بالنظر إلى واقع جغرافي محدد، أو من منظور تاريخي ماضوي، أو من خلال ممارسة لجوانب من عملية «البلاغ المبين»، من على منابر المساجد، ومن خلال الصفحات الدينية في الصحف والمجلات... أو بمجرد الإعلام الذي يحمل شعارات إسلامية، أو يعلن عن أهداف إسلامية.

ذلك أن المصطلح، الذي طرح بقوة على الساحة الثقافية في الربع الأخير من القرن العشرين، على أهميته كتعبير عن نمط من أنماط الفن والفهم الإعلامي، وفضل السابقين إليه، في محاولتهم التأسيس القيمي والتأصيل الأخلاقي لمقومات وأسس وأركان العملية الإعلامية، انتهى في قسم كبير منه إلى أن يصبح وكأنه شعارات براقة وعناوين خلابة مستلة من مجموعة تخصصات في الدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية (التفسير، الحديث، السيرة...إلخ) حتى غدا وكأنه علم بالتفسير أو السيرة أو الحديث أو الفقه، وغير ذلك من العلوم، التي قد يكون الإعلام وسيلة لتوصيلها، فهي لا تنفك عنه، إلا أنها تبقى أفكاراً تحتاج إليه كأداة لنقلها والوصول بها إلى الناس.

فالإعلام أداة التوصيل للعلوم وفلسفاتها، وليس هو العلوم ذاتها.. وعدم وضوح وبلورة مفهومه وتحديد مدلوله بدقة، هو الذي جعل منه عنواناً للكثير من الدراسات، الحديثية والفقهية وغيرها.

وهو أمر شبيه، إلى حد كبير فيما أرى، بما انتهت إليه مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات العربية، التي وضعت برامجها وقررت ودرست دون التوفر على «البعد الفكري» يمنح الرؤية لأهدافها وغاياتها ووسائلها والقدرة على إبصار ثمراتها ونتاج عطائها، فانتهت إلى أن تصبح وكأنها مادة من مواد العلوم الشرعية، أو جزءاً منها، كلٌّ يدرسها في ضوء اختصاصه الأكاديمي، تفسيراً أو حديثاً أو سيرة أو غير ذلك(!)

ولعل ذلك مما يكشف، في الحالتين، عن وجود خلل ما في العقل العربي المسلم، أو بمفاهيم الكتاب: اضطراب في «البعد الفكري» أدى إلى حدوث مثل هذا الخلل والخلط والتخليط في فهم طبيعة ومتطلبات كل علم وفن..

فالعلوم الإسلامية والشرعية لها طبيعتها الخاصة، والعملية الإعلامية لها طبيعتها الخاصة أيضاً، ولها متطلباتها وأهدافها وفنونها المختلفة، وكذلك المسألة الثقافية الإسلامية، التي تحتاج إلى جهد كبير لإدراك أهدافها الحقيقية، وإبصار غاياتها الأساس منها، ووسائل تفعيلها، على النحو الذي فهمه «ماجنيس» وعبر عنه في كلمـــته التي افتتح بها الفعل اليهودي من خلال مدرجات الجامعة العبرية، وهـــو يستشرف آفاق الثقافة اليهودية، ويبصر أمداء «الفكرة» اليهودية وهي تتكون وتفعل وتعطي في المجالات كلها.

فـــالإعلام الإســـلامي، وإن أصبح منذ سنوات مادة تدرس في كثير من الجامعات العربية الإســـلامية، إلا أنه لم يزل في إطار الأمنيات والشـــعارات، لم تتـــبلور ملامحه بعد، العملية وحتى النظرية، ويتحول من ثمّ إلى أفعال قاصدة وممارســـات هادفة، وانزوى في ركن قصي من الصحف والصفحات والبرامج الإذاعـــية والتلفازية الدينية المحدودة، مساحة وزماناً ومضموناً وأشخاصاً.. فهو يفـــتقر إلى الكـــثير من التأسيس والتأصيل، والمضامين، والكيفيات، والأوعية، والوســـائل، الـــتي بواسطتها يمكن ترجمة ما ينطوي عليه من مبادئ مجردة، إلى برامج عملية فعالة ومؤثرة.

أمـــا «إعلام الفكرة» في عالم المسلمين فهو وإن كان يلتقي مع «الإعلام الإســـلامي» في أن كلاهمـــا إنما يؤسس ابتداءً في ضوء عطاء معرفة الوحي، ويرتكز إلى ثوابتها من القيم المعصومة، ويغترف من مخزونها التراثي ورصيدها التاريخي، إلا أنه يتميز بامتلاك «البعد الفكري» الذي يأتي نتاج عملية واسعة من النظر في ثقافة الذات و«الآخر» أيضاً.

# من امكانات البُعد الفِكري

«الإمكان» ثمرة أخرى من ثمرات «البعد الفكري» وطاقة من بعض عطائه.. وثمرات «البعد الفكري» كلها «إمكان»؛ وإمكانه كله مثمر.. وهو، فضلاً عن ذلك، يشكل حاسة للنظر والاستبصار وحسن التعامل والقراءة «للآخر»، وإرادة للفعل والتوليد والإنتاج، يتجلى عطاؤه الاتصالي، في مجال الاتصال والإعلام بخاصة، في ما يمنحه «للقائم بالاتصال» من قدرات على إبداع الفكر وإنتاج الفعل في ساحات العمل المثمر على مائدة «إعلام الفكرة» القاصد.

وتتعدد صوره وأشكاله، إلا أنه يتجسد أكثر ما يكون في «إمكانين» أساس:

**الأول: إمكان الاستبصار وكيفية التعامل:**

وهو عبارة عن عطاء «البعد الفكري» للقائم بالاتصال من القدرة على النظر في الظواهر الإنسانية والوقائع والحوادث والأخبار، والإحاطة بعلمها، وإدراك غاياتها، وإبصار أبعادها كلها، ومعرفة سننها وكيفية التعامل معها، والمداخلة للعمل على توجيهها والتحكم بها، بما يمكن من فهم «الآخر»، ويخدم «الفكرة» التي يعمل لصالحها «القائم بالاتصال» على أرض الواقع المنبسطة على ساحات «إعلام الفكرة».

وهو «إمكان» يتبدى اليوم، في غالب الأمر، في فعل (الآخر)، كما يظهر لاحقاً في إطار: أنموذج أزمة الخليج الأولى، ووضوح «البعد الفكري» للإعلام الغربي في تعامله معها.

**الثاني: إمكان التوليد (التواصلي) والعطاء (الإعلامي):**

وهو «إمكان» يتجاوز حدود الاستبصار والإحاطة وحسن التعامل إلى الإنتاج والتوليد والعطاء.. ولعل من النماذج المعاصرة الملفتة، التي يتجلى فيها هذا «الإمكان» رؤية «صموبل هنتنغتون» حول «صدام الحضارات»، في بعدها الاتصال- الإعلامي ابتداءً وظهوراً، الثقافي- الحضاري انتهاءً وحقيقة، مما يؤهلها لتتخذ أنموذجاً يمكن من خلاله مناقشة فكرة «**إمكان التوليد التواصلي والعطاء الإعلامي**» في إطار مفهوم «البعد الفكري».

# الاستبصار

# وكيفية التعامل الإعلامي

# «البعد الفكري» لأزمة الخليج [1]

«الــبعد الفكري» لأزمة الخليج يتجسد في كل جزئية من الجزئيات التي تشــكل في مجموعها ما يسمى بأزمة أو حرب الخليج.. غير أنه يلمح هنا في أمــرين، وإن كانــا متداخلين: دواعي الاختيار، والهوية الحضارية للأزمة.. ويــأتي الــتداخل، بشكل رئيس بالنظر إلى أن الهوية الحضارية تعتبر من أهم دواعي الاختيار.

## * دواعي الاختيار:

تــتعدد الأسباب الداعية لاختيار أزمة الخليج الأولى (١٩٩٠-١٩٩١) دون غيرهــا، أنموذجاً لرصد بعض الملامح والآثار البيِّنة التي يمكن من خلالها التعميق لمفهوم «البعد الفكري»، وجوداً وحضوراً، عدماً أو اضطراباً، ودوره في العملية الاتصالية بشكل عام، وفي الاتصال السياسي بشكل خاص.

فهــي الأزمــة التي أتاحت الفرصة، كما عبر وزير الخارجية الأميركي الأسبق «جيمس بيكر»، لكتابة «الفصل الأخير في نزاع الحرب الباردة» [2].

---

(١) المقصــود بأزمة الخليج (الأولى) في هذا الكتاب الحرب الأميركية الأولى،المباشرة، على العراق إثر احتلاله الكويت، وذلك في الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩٩٠، ١٩٩١م.

(٢) جيمس بيكر، «سياسة الدبلوماسية: الثورة والحرب والسلام ١٩٨٩-١٩٩٢»، **الوطن الكويتية**، الجزء الأول، ١٩٩٥/٩/٢٥م.

وهـــي الأزمـــة المركبة - وهذا هو الأهم في هذا البحث - التي التقى وتلازم فيها الإعلامي بالثقافي والسياسي والعسكري، في نسق فكري واحد، أو «بعـــد فكـــري» واضح، كما لم يلتقوا بهذا الوضوح وفاعلية التأثير في حـــدث أو أزمـــة من قبلها، حيث تجلى فيها التأثير التوجيهي والتحكمي «للـــبعد الفكري» في الاتصال، مثلما تجلى فيها، بما لا يدع مجالاً لإمكانية الإنكار أو التنكر، خضوع الاتصال لسلطان السياسة، حتى في ظل الأنظمة التي تدعي اعتناق الليبرالية فلسفة.. ويبرز هذا الخضوع بشكل واضح، حين يتحقق كل من الاتصال والسياسة برؤية شاملة، أو«بعد فكري» واضح، يمنح كلاً منهما القدرة على الاستبصار ومعرفة كيفية التعامل مع الحدث، توجيهاً وتحكماً وقطفاً لأفضل الثمرات.

وقد تبلور هذا الالتقاء والتلازم، في أوضح صوره، في الدور الخطير الذي اضـــطلعت بـــه وســـائل الاتصـــال الغربـــية بشكل عام وشبكة تلفزيون «ســـي.إن.إن» الأميركـــية بشكل خاص، كمحطة غربية متقدمة، في تغطية تطـــورات الأزمـــة ومتابعة أخبارها على المستوى العسكري بخاصة، ساعة بســـاعة ودقـــيقة بدقـــيقة، حتى أن كثيراً من المراقبين والمختصين بالمسألتين الإعلامية والسياسية، على مستوى العالم، أصبح لا يرى الأزمة، إلا من خلال هـــذا الـــدور وهذه التغطية الواسعة، ليصل الأمر إلى اعتبار أزمة الخليج، في بعدها الإعلامي الثقافي السياسي:«أول حرب للإعلام»، و«أول حرب أقمار صـــناعية شـــهدها العالم» و«حرب التكنولوجيا»، حتى أن «آرثر كلارك»

الكاتـــب المســـتقبلي البريطاني، الذي توقع اختراع أقمار الاتصال الصناعية، ذهـــب حقيقة إلى القول: بأن تكنولوجيا حرب الخليج أعلنت عن بدء عصر جديد للاتصالات الجماهيرية.

لقد تنافست خلالها أجهزة الإعلام كافة، على الرغم مما كانت تخضع له مـــن الســـرقابة الصارمة على ما تنشره أو تذيعه أو تبثه، وذلك بتقديم خدمة إعلامـــية رفـــيعة ومتمـــيزة عن طريق خبراء وإعلاميين من أصحاب الخبرة والدراية، الذين حاولوا توظيف معظم الشعب المعرفية في هذا المجال..غير أن قـــيادة هده الحرب الإعلامية كانت بلا منازع لشبكة «سي.إن.إن.»، التي تميزت بتغطية متفردة لأحداث اندلاع الحرب في ساعتها الأولى من ليلتها الأولى، مما دفع وزير الدفاع الأمريكي في ذلك الوقت «ريتشارد تشيني» – وهو المعني بالقضـــية في بعدهـــا العسكري – يعلن في أول مؤتمر صحافي له بعد الحرب الجويـــة ، أنـــه عـــرف بتفاصيل الساعات الأولى للغارات التي شنتها قوات التحالف الدولي على العراق عن طريق محطة تلفزيون «سي.إن.إن»[(١)].

وكـــان الإعـــلام الغربي (الأمريكي) يطبق بذلك وببراعة منقطعة النظير «الـــنظرية الإعلامـــية الأمريكية السائدة، التي تقوم على شعار أساس مفاده "رؤية كل شيء"، حالاً وفي كل مكان»[(٢)].

---

(١) لاري بـــلاك، «سي.ان.ان. الناقل للإعلان العالمي»، **الشرق الأوسط**، العدد٤٤٧١، ١٩٩١/٢/٢٤م، ص خ.

(٢) السـيد يس، **التحليل الثقافي لأزمة الخليج**، في: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي**، أوراق عمـــل ومناقشـــات الندوة الفكرية التي نظمـــها مركز دراســـات الوحـــدة العربية، ط ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩١م) ص٦٢.

وبلغ من اهتمام الإعلام الغربي (الأمريكي) بالحدث أن وصل عدد مراسلي «سي.إن.إن»، التي ينظر إليها على أنها الأداة التي غيرت من طبيعة العمل التلفزيوني، بل غيرت أو تحكمت في مجرى أحداث الحرب وربما التاريخ نفسه، إلى تسعين مراسلاً في منطقة الخليج لتغطية أحداث الحرب، وقراءتها للعالم من خلال رؤيتها الفكرية.. وهذا العدد، يعتبر بمثابة ضعف عدد المراسلين الذي كان موجوداً في منطقة الخليج لهذه المهمة بالنسبة لكل مؤسسة إعلامية[١].

لقد غيرت التغطية الإعلامية لحرب الخليج، كثيراً في الأسس والمرتكزات التي ينهض عليها مفهوم التاريخ.. فهو لم يعد أحداثاً تسجل وتقرأ، بعد وقوعها، بزمن قد يطول وقد يقصر، ولكنه أصبح يشير إلى تلك الأحداث التي تُشاهد لحظة وقوعها، ويقرأها كل مشاهد على طريقته.. وقد لاحظ «البروفيسور روبرت أونيل»، أستاذ التاريخ في جامعة «أكسفورد» أن: «الناس تقرأ عن الحروب في كتب التاريخ، ولكن هذه الحرب تختلف عما سبقها من حروب..في الماضي لم يكن الشخص العادي يجرب الإحساس العنيف الذي يجربه مشاهد التلفزيون اليوم وهو يرى صديقاً أو عزيزاً يتعرض لبتر ساقه أو ذراعه»[٢].

---

(١) قدرت التكلفة الشاملة للتغطية غير المتقطعة التي قامت بها شبكة تلفزيون «سي.إن.إن» لأهم أحداث الحرب، ما بين ٥٠٠,٠٠٠ إلى مليون ونصف مليون دولار يومياً، بينما قدرت التكلفة الكلية التي تحملتها الشبكة بحوالي ٣٥ مليون دولار؛ لاري بلاك، مرجع سابق، ص خ.

(٢) أنطوني دوركين مراسل محطة تلفزيون: أي.تي.ان، «قالوا تلفزيونياً»، **الشرق الأوسط**،١٩٩١/١/٢٩م، ص١١.

ولم يقتصر التغيير على مفهوم التاريخ، المترسب في الأذهان، ولكنه امتد ليشـــمل الموروث المهني لكيفيات التعامل الإعلامي مع الحدث، في كثير من المواقـــع، كما حدث في بعض المؤسسات والدول المعروفة بعراقتها من حيث الاستمساك بالتقاليد والمحافظة على الموروث.

فصحيفة الـــ «واشنطن بوست» أصدرت، لأول مرة في تاريخها، طبعة مســـائية، بيـــنما ألغت جريدة «يو إس توداي» إجازتها الأسبوعية، وتخلت «وول ستريت جورنال» عن تقاليدها في الإخراج فنشرت خبر الحرب على أكـــثر مـــن عامودين، وهذا لم يحدث لها منذ خمسين عامًا. إذ فعلت ذلك مـــرتين: الأولى حـــين أعلن الرئيس «دوايت أيزنهاور» ترشيح نفسه في عام ١٩٥٢م، والمـــرة الثانية يوم إصابة الأسواق المالية في نيويورك عام ١٩٨٧م بالهزة الشهيرة[١].

واضُـــطرت الصـــين، وللمرة الأولى في تاريخها الحديث، لتغيير تقليدها المـــتوارث مـــنذ عقـــود في العمل الإعلامي، فتصدرت أخبار المعركة البرية الصـــفحات الأولى لصـــحفها الأكثر أهمية، كما هو الحال بالنسبة لصحيفة «الشعب» الناطقة باسم الحزب الشيوعي الصيني، التي نادراً ما تخصص أهمية

(١) نشـــرت صحيفة «الشعب» (١٩٩١/١/٢٥م)، أخبار بدء الهجوم البري، ورد فعل بكين. وتحت عنوان بالخط العريض، قالت الصحيفة،: «الحكومة الصينية تأسف بعمق للتصعيد في حرب الخليج»، وكتبت مقـــالاً إخبارياً، دون تعليق، حول «الأسف العميق» الذي عبرت عنه بكين في بيان صادر عن وزارة الخارجـــية الصـــينية؛ انظـــر عثمان العمير، إعلام ما قبل الحرب وما بعده!!، الشرق الأوسط، العدد ٤٥٤٢، ١٩٩١/٥/٦، ص١٥.

مماثلـــة لنبأ دولي لا علاقة لبكين به، حيث عادة ما ترد الأحداث الدولية في الصفحة الثامنة والأخيرة للصحيفة [1].

كمـــا امـــتد التغيير الذي اضطلعت به «الحرب الإعلامية الأولى»، التي كانت تدار من خلال مؤسسات ومراكز ومعاهد وأكاديميات وتستعين بشتى التخصصات في المجالات كلها، ليشمل إعادة تعريف الإنسان نفسه.. فبعد أن كان التعريف يصف الإنسان بأنه: «كائن اجتماعي» بطبعه؛ ثم تطور على يد الأوربيين ليصبح: «الإنسان حيوان اجتماعي»، أو «حيوان سياسي»... تغير هـــذا التعريف بشكل جوهري، وتأكد ذلك من خلال هذه الحرب، بحيث صـــار: «الإنســـان حيوان إعلامي»، ذلك لأنه محاصر بكل ما تفرزه أجهزة الإعلام والصحافة والنشر، وصارت هذه المادة الضخمة تحكم إرادته وإعادة تشكيل قناعاته، وتمارس صياغة معتقداته وآرائه[2].

وقـــد حمل هذا الواقع الجديد الذي فرضته «الحرب الإعلامية الأولى»، والذي فيه محطة «سي.إن.إن» الأميركية القناة الأكثر استقطاباً للمشاهدين داخـــل الولايات المتحدة وخارجها، عددًا من المراقبين على التساؤل وقتها عما إذا كانت المعلومات، التي تصل إلى المشاهدين حول العالم، تحمل رسالة أمريكية بالدرجة الأولى، أو بمصطلحات هذا البحث: «بعداً فكرياً»؟

---

(١) **الشرق الأوسط**، ١٩٩١/٢/٢٦م، ص٨.

(٢) محمـــد عـــبد الحكم دياب ، «الحرب الأخرى الدائرة على جبهة الرأي العام»، **الشرق الأوسط**، العدد ٤٤٥٠، ١٩٩١/٢/٣م، ص٩.

وتعـــددت المنتديات الإعلامية التي طرح فيها التساؤل، إلا أن أبرزها كان عـــبارة عن ندوة صحافية أدارها المذيع الأميركي «بيل مويارز»، وشارك فيها «هنري كيسنجر» وزير الخارجية الأميركي الأسبق، الذي يمثل أحد المرتكزات الأســاس «للــبعد الفكـــري» للسياســـة الأميركية، حيث لم يكن في مقدور «كيسنجر» إخفاء أو إنكار وجود «بعد فكري» للإعلام الأميركي، بل أكد أن الرسائل الإعلامية الأميركية تحمل مضموناً أميركياً، مُعرِباً عن اعتقاده بأن: «أهم بعد لهذه الحرب... أنها نقلت وجهة النظر الأميركية لسائر أنحاء العالم»[1].

إن «الحرب الإعلامية الأولى» كانت بلا شك «حرباً حضارية»، بكل مـــا ينطوي عليه مصطلح الحضارة من «بعد فكري»، وجاءت في السياق الحضـــاري نفســـه، الذي كان ينتظم «الأزمة» في كل أبعادها ومجالاتها، ســـيما العسكري، الذي وجد في الآلة الإعلامية أمضى أسلحته، وأكثرها فاعلية، وأعمقها تأثيراً.

من هنا يجيء اختيار «أزمة الخليج الأولى» وإعلامها أنموذجاً للكشف عن العلاقـــة بين «البعد الفكري» و «الاتصال»، وما ينتج عن هذا «البعد» في حال توفره، من تأثير توجيهي وتحكمي على العملية الاتصالية، وما يمنحه من إمكانٍ للاستبصار ومعرفة كيفية التعامل.

---

(١) يرى كيسنجر أن هذه الحرب نقلت وجهة النظر الأميركية «بلا انحياز» وذلك لأنها، كما يرى: «نقلت آراء المعارضـــين للحـــرب كمـــا نقلت آراء المؤيدين لها.. جميع الآراء المؤيدة والمعارضة تفرد لها مســـاحات متســـاوية» .. ويقـــول: «وقـــد سمعت من صديق فرنسي يعيش في باريس أن الباريسيين يشـــاهدون برامج "سي.إن.إن" ليلا ونهاراً لمتابعة مسيرة الحرب وتطوراتها»؛ انظر **الشرق الأوسط**، العدد ٤٤٤٥، ١٩٩١/١/٢٩م، ص١١.

## * الهوية الحضارية للأزمة:

يُعتبر المفكر السياسي الاستراتيجي الأميركي «صمويل هنتنغتون»، صاحب نظرية «صدام الحضارات» في مقدمة منظري الحضارة الغربية ومن أحدثهم رؤية، الذين أكدوا الهوية الحضارية لأزمة الخليج الأولى وما تنطوي عليه من «بعد فكري» كان ماثلاً في كل جزئية من جزئياتها، ومتجسداً في الطريقة التي كان يفكر بها «إنسان الحضارة الغربية»، المفكر والثقافي والسياسي والعسكري والإعلامي...الخ، ويصرح بها، ويمارس فعله الحضاري من خلالها.

فهو حينما كان يستشرف آفاق المستقبل، من زاوية حضارية، مرتكزاً على ما أسماه «أزمات ما بعد الحرب الباردة»، التي رأى فيها «عناصر تعبئة حضارية»، لم يجد أمامه من أمثلة يستدعيها وشواهد يعتمد عليها أقوى من تلك الأزمات- حيث تشكل الأزمات دائماً التجلي الواضح، البعيد عن التكييف، للبعد الفكري - التي كان أحد أطرافها ينتسب للحضارة العربية الإسلامية، أو يعبر عنها، بصورة أو بأخرى.. فاستشهد بما يحدث في بلاد القوقاز والبوسنة وفي الخليج أيضاً، مشيراً إلى أن ما حدث يوفر عينة مسبقة لما سيحدث في المستقبل من صدام بين الحضارات.

وعزز ما ذهب إليه، من حضارية الأزمة، بما لاحظه، ولاحظه غيره من الباحثين الغربيين، من تأييد «الحركات الإسلامية الأصولية كافة العراق بدلاً من تأييد حكومات الكويت والسعودية التي يدعمها الغرب» [1].

---

(١) صمويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، في:صدام الحضارات، الطبعة الأولى، مجلة شؤون الأوسط، إصدار خاص(بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٥م) ص٢٨-٢٩.

وهـــي الملاحظة التي شكلت من خلال رؤية «روبرت أوكلي»، السفير الأسبق للولايات المتحدة في باكستان، مدخلاً مهمًا لفهم جوانب من العقل الغـــربي، مما يتصل بموضوع البحث، والكيفية التي يفكر بها «إنسان الحضارة الغربية» وينظر إلى الأحداث والأزمات والمشكلات، من خلال ما يتوفر عليه من «بعد فكري».

فقـــد قدم إلا أن التفسير الذي طرحه لهذا التأييد من جانب الحركات الإســـلامية، يعتبر من أدق الرؤى الغربية التي تكشف عن عمق الذي وهو ينظر في ما يجري من أحداث على الساحة العالمية.

فقد حاول «أوكلي»، تقديم تفسير حضاري، ربما يكون من أدق الرؤى والتفسيرات الغربية لما قيل من تأييد من جانب الحركات الإسلامية للعراق.. وقـــال، في محاضرة ألقاها في ندوة حول الشرق الأوسط أعدها عام ١٩٩١م مركـــز الدراســـات الاستراتيجية والدولية في واشنطن: إن محاولة الحركات الإسلامية إخراج الناس إلى الشوارع في مظاهرات تستغل أزمة الخليج، كان هدفها الظاهر هو دعم العراق، إلا أن هدفها الحقيقي كان رفض وإضعاف الحكومات الاستبدادية في بعض الأقطار، مؤكداً أن دعم الحركات الإسلامية إنما كان موجهاً ضد الولايات المتحدة وإسرائيل[(١)].

ومـــن اللافـــت للانتباه حقاً، ويكشف عن مستوى ذي دلالة مهمة من اضطراب «البعد الفكري» للإنسان العربي المسلم، لا سيما المسكون بحضارة

(١) انظر: «السفير الأمريكي السابق في باكستان يحذر من المشاعر المعادية لأمريكا في العالم الإسلامي»، قضايا دولية، العدد٩٢، السنة الثانية، ٢٩ربيع الأول ١٤١٢هـ - ٧أكتوبر ١٩٩١م، ص٥.

الغـــرب، أن يتصدى لنفي الصفة «الحضارية» عن هوية الأزمة بعض منتسبي الحضـــارة العربـــية الإســـلامية. فقد اجتهد بعضهم لنفي ما يراه «صمويل هنتنغـــتون» وغيره من مفكري الحضارة الغربية، من أن حرب الخليج كانت صـــداماً حضارياً (!) مستدلاً على ذلك بأن الحشد الذي جمعه الأميركيون، ضـــم «السعوديين والأتراك والمصريين والســـوريين والفرنسيين والبريطانيين وغيرهم من الفرســـان»[1]، دون أن يدري لماذا صُنع هذا التحشـــيد، الذي لم يخرج هو على أن يكون إحدى ضحاياه!

لقـــد أكد الغربيون أنفسهم أن الحرب إنما كانت من أجل إسرائيل، التي تشـــكل بـــؤرة الصراع الحضاري في المنطقة العربية بشكل خاص وفي العالم بشـــكل عـــام..فهي «دولة الفكرة»، أو الدولة التي تحرص على الاستمساك «بالفكـــرة» المدعومـــة دينياً وثقافياً من الغرب، التي قامت على «الفكرة»، المنحدرة من رؤية دينية، والتي تستمد منها أسباب وجودها وكيانها وعوامل التحشيد المستمرة لمواجهة (الآخر) العربي المسلم، الذي يشكل الطرف الأهم في المعادلة الحضارية، والعدوان عليه.

ولم يكـــن «الفريد أثرتون» سفير أمريكا الأسبق في مصر، والدبلوماسي الأمـــريكي البارز في عهد الرئيس السابق «كارتر»، إلا أوضح أنموذج غربي تعـــبيراً عـــن حقـــيقة الحرب.. فهو القائل: إن حرب الخليج كانت محركاً لاســـتئناف عملـــية السلام، وإنه «لولا حرب الخليج ما كان من الممكن أن يكون هناك مؤتمر مدريد»[2].

---

(١) فؤاد عجمي، «الاستدعاء»، في: «صدام الحضارات»، مرجع سابق، ص٥٢.

(٢) «الفرد آثرتون في حديث خاص: قيمة حرب الخليج أنها أدت لمؤتمر مدريد»، **الخليج**، ١٩٩٢/٧/٢م، ص١٣.

وإذا استعرنا هنا «مفهوم الموافقة» من علماء أصول الفقه، وما يعنيه من «دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه، وموافقته له نفياً وإثباتاً، لاشتراكهما في معنى يدرك بمجرد معرفة اللغة»[1]، لأمكن القول: إنه لولا التمكين لإسرائيل والعمل على قبولها كدولة بالمنطقة، لما كانت حرب الخليج!

وهو المعنى الذي أكده، وإن بصيغة أخرى، الرئيس الأمريكي الأسبق «جورج بوش» الأب وهو يعلن: أن التاريخ سيثبت أنه كان على صواب بعدم إبعاد الرئيس العراقي صدام حسين عن السلطة أثناء حرب الخليج رغم أن القوات الأمريكية كان بمقدورها دخول العراق والإطاحة به، قائلاً: «لو كنا فعلنا ذلك لما بدأت محادثات السلام في الشرق الأوسط على الإطلاق، ولما تحدث إلينا العرب».. وإن مصافحة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في البيت الأبيض، التي جسدت السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، لم تكن لتحدث لو كانت قوات التحالف حاولت الإطاحة بالرئيس العراقي[2]، لما يمكن أن يترتب على ذلك من تداعيات.

وهو المعنى الذي كان علينا أن ننتظر، في ظل ما نعانيه من اضطراب أو حتى غياب في «البعد الفكري» الذي يمكننا من الإبصار والرؤية، حتى عام ٢٠٠٣م، حين غزت القوات الأميركية العراق واحتلت أراضيه، لنتفهم كثيراً من أبعاده الحقيقية.

---

(١) محمد أديب الصالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت) ٦٠٧/١-٦٠٨.

(٢) بوش: لو أبعدنا صدام لما تحقق السلام، الراية القطرية، العدد ٤٦١٥، ١٩٩٤/١٠/٢٣، ص١.

ولــيس مــن شك في أن «زبيجنيو بريجنسكي» مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق كان من أكثر المفكرين السياسيين الغربيين صراحةً في التعبير عــن «الــبعد الفكري» الواضح «لإنسان الحضارة الغربية» وهو يصنع أزمة الخلــيج، في أبعادها كلها، ويعرف كيفية التعامل معها، وذلك حين أكد أن إسرائيل كانت من أكثر الدول التي استفادت من الحرب ضد العراق(١).

غــير أن تصريحات الجنرال «نورمان شوارتزكوف» تكتسب أهمية خاصة هــنا، فهــو القائد العســكري ورئيس القيادة المركزية في الحرب، والمعــني بالأزمــة في بعدهــا الأكثر تدميراً، والأوضــح تعبيراً عن هويتها الحضارية؛ إضافة إلى أن التصريحات جاءت عبر واحدة من وسائل «الاتصال» الجماهيري «للدولة الفكرة».

فقــد أكد في حديث لمراسلة إذاعة الجيش الإسرائيلي في واشنطن(٢)، أن الحرب كانت من أجل اليهود.. وقال في إجابة عن تساؤل للمذيعة: «هل تريد أن تقول شيئًا للإسرائيليين سيدي الجنرال؟» قال:

«أريد أن أقول لهم جميعاً: إن الولايات المتحدة دولة صديقة لكم ويمكنكم أن تثقوا بها، وتعتمدوا عليها، وأنها لن تتخلى عنكم... وأمريكا لا تتخلى عن أصــدقائها... والحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج ضد صدام كانت

---

(١) الأهرام، ١٩٩١/٢/١٩، ص١.

(٢) حــرص كثير من المثقفين والسياسيين العرب، أكثر من الغربيين، على نفي هذا الحديث، إدراكاً منهم لخطورة الأثر الذي يمكن أن يترتب على انكشاف الهوية الحضارية للحرب.

مــن أجلكم... من أجل إسرائيل، وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم... العدو الرئيسي لكم في المنطقة»[1].

ولعــل في ما لاحظه بعض الباحثين العرب من أن «تدمير العراق نية بيتها الأمريكيون حتى قبل ما سمي أزمة الخليج»، وأن الأمريكان قد شنوا قبل ذلك وبشهور حروباً إعلامية «عن خطر ترسانة العراق، وتربصه بجيرانه وبإسرائيل، تمهــيدًا لمــا سيفعل به في ما بعد»[2]، لعل في ذلك ما يؤكد الهوية الحضارية لــلحرب، ويكشــف مــن وجــه آخر عن الصلة «الحضارية» بين الاتصال والسياســية، وعــن مدى ما يتوفر عليه «إنسان الحضارة الغربية» العسكري والسياســي والإعلامــي ... من «بعد فكري» يجعل من الطبيعي أن تستخدم أميركــا، ســلاح «الإعلام والاتصال» تمهيداً لعمل عسكري يهدف لتدمير العراق وتليين المنطقة العربية الإسلامية بشكل عام، فهي تعرف ما تريد.

وفي الحقيقة، فإن بعض ملامح الاستهداف الأميركي للعراق، برزت قبل غــزو العراق الكويت، بنحو يزيد عن سنة كاملة، حيث بدأت حملة إعلامية أمريكية - بريطانية منظمة وواسعة على العراق بدعوى امتلاكه أسلحة دمار شامل (أسلحة كيماوية .. المدفع الكبير... الخ)، وإثارة قضايا حقوق الإنسان فــيه، وذلــك لتهيئة الرأي العام الأمريكي، والغربي والعالمي، لتوجيه ضربة عسكرية للعراق[3].

---

(١) **الحياة**، العدد ١٠٣٨٥، ١٣/٧/١٩٩١م، ص١.

(٢) علي أومليل، من أجل المستقبل، في: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي**، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) خير الدين حسيب، قضايا للمناقشة، أولاً:صنع جذور الأزمة، في: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي**، المرجع السابق، ص١٦٦.

لقد تصاعد الخط البياني «لإعلام الأزمة» لوسائل الإعلام الأجنبية تدريجيًا، منذ ما قبل بداية الأزمة، وذلك بالتركيز على نقد القيادة العراقية، ثم على أهمية حماية بلدان الخليج الصغيرة من الأطماع العراقية، ثم على ضرورة حماية الشرعية الدولية، وبعد ذلك على ضرورة طرد القوات العراقية من الكويت ، ثم أهمية تدمير القوة العسكرية العراقية. وقد فرضت الظروف الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية ضرورة هذا التدرج في التصعيد نظرًا لما أثارته مخاوف عقدة فيتنام[1].

ولا يغيِّب ذلك، بل يؤكده، ما حُضر له من الإخراج في صورة التحالف والمشاركة العربية للقوات الغربية في الحرب.

وأياً ما كان الأمر، فإن الأمور بعواقبها، والمقدمات تقوّم بنتائجها، وكما أشار «زبيجنيو بريجنسكي» فإن إسرائيل، التي تستمسك «بالفكرة» المنحدرة من الرؤية الدينية التوراتية، حتى أصبح ينظر لها على نطاق واسع كأنموذج «للدولة الفكرة»، كانت هي المستفيد الأول والأخير من الأزمة، وفي هذا ما يكفي لإيضاح ما يسعى الكتاب «البحث» لتأكيده حول الهوية الحضارية لأزمة الخليج، و«البعد الفكري» للذين حضّروا لها وصنعوها وجنوا ثمارها، وهو ما ينسحب على غيرها من أزمات ومشكلات يكون الغرب و«إنسانه» أحد قطبيها بينما يكون المسلمون قطبها الآخر.

---

(١) طلعت مسلم، قضايا للمناقشة، ثانياً: إدارة الأزمة، في المرجع السابق، ص٢١٦.

# وضوح «البعد الفكري» للإعلام الغربي

## (أنموذج التعامل مع الأزمة)

لعل من أهم ما تميز به الإعلام الغربي، في ضوء طروحات هذه الدراسة، وهو يتعامل مع الأزمة، ما كان يتوفر عليه من وضوحٍ في «البعد الفكري»، المنبثق عن رؤية شاملة انتظمت النظام الغربي كله، بمؤسساته وهيئاته، الثقافية والإعلامية والسياسية والعسكرية وغيرها.

وقد تجلى هذا الوضوح في ما يمكن أن يُلمح من إبصار للوجهة وإحكام للقبضة على العملية الاتصالية - الإعلامية، بأركانها الأساس، حتى يمكن القول: إن أزمة الخليج الأولى لم تشهد فقط ميلاد «الحرب الإعلامية الأولى»، ولكنها شهدت أيضاً ميلاد أنماط جديدة ونماذج تطبيقية متفردة لما يمكن أن يطلق عليه: «فنون التحكم الإدراكي» في عناصر العملية الاتصالية:

- المرسل؛
- الرسالة؛
- الوسيلة؛
- والمستقبل.

## * وجهة إعلام الأزمة:

انبعثت وجهة «الحرب الإعلامية الأولى» من وجهة الحرب نفسها.. فقد استهدفت التغطية الإعلامية: استقطاب تأييد الرأي العام، الأميركي والغربي والعالمي، لمشروعية الحرب.. وقد حققت في ذلك، كما يرى كثير من المراقبين الغربيين، ما كانت تصبو إليه من نجاحات مقدورة، على عكس ما حدث أثناء حرب فيتنام[1].

ثم كانت هناك وجهة أخرى، استهدفتها الرسالة الإعلامية المتحكّم بها، لم تكن أقل أهمية من سابقتها، من حيث تأثيرها المحتمل على مجريات الحرب العسكرية، وهي المنطقة العربية الإسلامية، محل الأزمة وميدان الحرب وساحتها العسكرية.. وتبرز هذه الوجهة بصورة واضحة من خلال ما كانت تبثه محطة «سي.إن.إن»، التي صوبت إرسالها ووجهت بثها كله، تقريباً، طوال فترة الأزمة، على المنطقة العربية، ليس لأن هذه المنطقة هي محل الأزمة وحسب، بل لكي تحفر في ذهن إنسان المنطقة، العربي المسلم، الصورة التي تريد الإدارة الإعلامية الأمريكية للأزمة، إيصالها لحظة بلحظة[2].

ولم يكن من العسير على أي مراقب، أن يكتشف أن هذه الوجهة قد تأثرت كثيراً بما يعرف بمبدأ «تشومسكي»، خبير الإعلام وباحث الألسنية

(١) أنطوني دوركين مراسل محطة تلفزيون: أي.تي.ان، مرجع سابق.

(٢) صلاح الدين حافظ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج» "٣ من٣"، الحياة، العدد ١٠٣٣٩، ١٩٩١/٥/٢٧م، ص٩.

الأمـــريكي، الـــذي يتـــلخص في أنه: «يجب ألا يكون الهدف الذي تسعى لإيصاله إلى المتلقي واضحًا، ذلك أن وضوح الهدف سيجعل المتلقين يفكرون ويتســـاءلون ويناقشـــون، وربما يتعاملون معه بسخرية.. الأفضل هو السعي لطـــرح الأفكـــار وكأن مصداقيتها من الأمور البديهية.. وهكذا تصبح تلك الأفكار هي المقدمات المسلم بصحتها في أي نقاش»[1].. وهكذا كان إعلام الأزمة الغربي يُدار، ويوجّه، ويُتحكم فيه، ويتحكم بالمتلقين له.

## * فنون التحكم الإدراكي لإعلام الأزمة:

«الـــتحكم الإدراكي» ثمرة من ثمرات «البعد الفكري» ونضح من بعض عطائـــه.. وهو مفهوم يراد به هنا: ذلك النمط من التحكم المنبعث عن «بعد فكـــري» واضح، بحيث يكون المتحكِّم مدركاً غايته، مبصراً وجهته، محيطاً بحقيقـــتها، متوفراً على إمكانية إبداع الوسائل الموصولة إليها، في كل حين، قـــادراً عـــلى حســـن التقدير للمراحل والتحديد لمتطلباتها وما يناسبها من خطاب.. وقد تجلى ذلك بكثير من الوضوح في الإعلام السياسي الغربي وهو يتعامل مع أزمة الخليج، التي كانت، كما قيل: «حملة عسكرية ذكية، وكان واضحًا أيضًا أنها كانت حملة ناجحة للتحكم في تدفق الأخبار وتوزيعها»[2].

---

(١) خلدون الشمعة، «لعبة الإعلام والمصداقية المستحيلة»، **الشرق الأوسط** ، العدد ٥٩٦٨، ١/٤/١٩٩٥، ص٣٠.

(٢) وصـــفها بذلـــك دونالد كيلرمان مدير مركز «تايمز ميرور للشعب والصحافة»، في واشنطن؛ صلاح الدين حافظ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج» "٢من٣"، **الحياة**، ١٠٣٣٨، ٢٦/٥/١٩٩١م، ص٩.

– **لائحة التحكم الإدراكي:**

وقد اتخذ «التحكم الإدراكي» لإعــلام الأزمة الغربي، أشكالاً عدة، تجمعت في ما يمكن تسميته: «لائحة التحكم الإدراكي»، التي انطوت على معاني:

– التحكم في نوعية المعلومات، والقدر الذي يسمح بتداوله منها.

– التحكم في (القائم بالاتصال) الذي يحصل على المعلومات.

– التحكم في الوقت (المناسب) لإعطاء المعلومات والسماح بتداولها.

– التحكم في الوسيلة الإعلامية الناقلة للمعلومات.

– التحكم في الكيفية التي يحصل بموجبها القائم بالاتصال على المعلومات.

و«لائحة التحكم الإدراكي» عبارة عن مذكرة «وثيقة» مهمة أصدرتها وزارة الدفــاع الأميركـية «البنتاجون» في (١٢) صفحة، وقامت بتوزيعها القـيادة المركزية، في السعودية، على الصحافيين، قبيل بدء الحرب الجوية.. اشـتملت على مجموعة من القواعد والأنظمة الرقابية الصارمة، لا سابقة لها، تم بموجبها تحديد أسلوب التغطية الإعلامية لأنباء الحرب والكيفية التي ينبغي أن يعمــل ويلـتزم بها المراسلون الصحافيون وهم يقومون بواجب التغطية.. وجــاء في مقدمــة هذه القواعد والأنظمة، التي لم يكن من خيار آخر أمام الصحافيين، غير الأميركيين، سوى التقيد بها [1]:

– في حــال الحرب، تخضع التقارير الصحافية لمراجعة أمنية قبل السماح بنشرها.

---

(١) «البنـتاغون يحدد للمراسلين الحربيين في الخليج مجموعة قواعد وأنظمة صارمة للتغطية الإعلامية»، مرجع سابق، ص١٢.

- المقابلات مع العسكريين ودخول وزارة الدفاع أو أماكن عامة أخرى والخروج منها يجب أن تنسق مسبقًا.. وسوف تمنع «كمائن المقابلات».
- أصناف المعلومات غير المسموح بنشرها هي: أعداد القوات والطائرات والدبابات والشاحنات وصهاريج الماء، وأسماء المنشآت العسكرية والمواقع الجغرافية المحددة للقوات الأمريكية (ما لم تعلنها وزارة الدفاع). كما يحظر نشر معلومات عن الأنشطة الاستخباراتية والعمليات الحربية التي تؤجل أو تلغى، وكذلك المعلومات عن فعالية أساليب العدو في التمويه والتضليل أو إجراءاته الأمنية.
- لا يسمح بالتقاط صور فوتوغرافية، أو تسجيل شرائط فيديو للعسكريين المحتضرين، أو الذين يصابون بصدمات قوية، ولا بإجراء مقابلات أو تصوير مرضى يخضعون لعلاج نفساني.
- يجب الحصول على تصريح مسبق لإجراء مقابلات ومؤتمرات صحافية مع أسرى حرب أو أشخاص آخرين تحتجزهم القوات الأمريكية.
- على الصحافيين أن يوافقوا على عدم إبلاغ أي شخص حتى رؤساء تحريرهم بأن مجموعتهم قد سمح لها بالذهاب إلى ميدان القتال.

غير أن المتأمل في العناصر الأساس للعملية الاتصالية، يستطيع أن يبصر كثيراً من الأشكال والصور، التي تعكس جانباً من العقلية المنهجية «لإنسان الحضارة الغربية» وما يتوفر عليه من «بعد فكري» وهو يتخذ من أنماط «التحكم الإدراكي» في العملية الإعلامية والاتصالية أداة للهيمنة والسيطرة على الإنسان والأشياء.

## ١ - التحكم الإدراكي في المرسل:

المرسل[١]، أحد شخصين يشير إليهما هذا المصطلح الإعلامي، على الرغم من صعوبة الفصل بينهما، خاصة في إطار مفهوم «البعد الفكري»، الذي يجتمعان عليه ويلتقيان عنده، وهما:

- **المصدر**: وهو المنشئ الأصلي للرسالة الإعلامية، السياسي أو العسكري.

- **القائم بالاتصال**: وهو الإعلامي، الذي يضطلع بمهمة «الترويج» والنشر والبث للرسالة الإعلامية، «المتحكَّم» فيها بالأصل من قِبل المصدر.

أما الأول فيتجلى تحكمه بشكل أساس في «القائمين بالاتصال» من الإعلاميين، وما يجود به عليهم من معلومات؛ وأما الآخر ففي ما يبعث به إلى القراء والمشاهدين مما يُعطى أو يُسمح له بالإطلاع عليه من معلومات.

أ - **المصدر**:

لم يكن المصدر الرئيس، وربما الوحيد، للمعلومات في الأزمة سوى وزارة الدفاع الأميركية «البنتاجون» بالدرجة الأولى، التي «شاءت الإدارة الأميركية أن تضعها في موقع المسؤول عن الأخبار وصحتها، وعن التقارير وسرعتها، وباختصار عن الصحافة كلها»، اعتقاداً منها - كما يعبر «ليون دانييل»، في مقال كتبه لصحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»[٢] - « أن الصحافيين أناس

---

(١) من المصطلحات المترادفة أو شبه المترادفة في مجال الإعلام:مصدر الرسالة الإعلامية، والمرسل، والقائم بالاتصال، وقد تضاف إليها بعض استعمالات الوسيلة.. لكن يبقى أن المرسل هو: الذي يصوغ فكرته في رموز معينة، ويبعث بها إلى المستقبل؛ سعيد إسماعيل صيني، مرجع سابق، ص١١٧؛ أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) ليون دانييل، حراس الإعلام، كريستيان ساينس مونيتور، عن صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٤٤٦٠، ١١/٢/١٩٩١م، ص١١.

لا يصــح ائــتماهم على الحقيقة، وأن الضباط يتمتعون بفهم أعمق وأحسن للمسؤولية الإعلامية».

وقــد اعتمدت وزارة الدفاع في «تحكمها» بالتغطية الإعلامية للأزمة، أسلوبين:

**الأول**: نظام عقد المؤتمرات الصحافية، مرتين يوميًا، مما أتاح للحكومات المعنــية بأمــر الحــرب، من الطرف الغربي، أن تتجاوز الصحافة، لتبث هي رسالتها – الإعلامية– إلى الشعوب مباشرة.

**الــثاني** : استراتيجية الحد من وصول الصحافيين إلى ميادين المعارك، مما يشكل، من وجه آخر، نوعًا صارخاً من «التحكم الإدراكي» من قِبَل «المصدر» في «القائم بالاتصال».

ووفقاً لهذه الاستراتيجية«التحكمية»، يسمح لعدد محدود جداً من المراسلين «حرّاس الإعلام»، أميركيين بالضرورة، بالتوجه مع الجنود إلى الجبهة، إلى حيث تشاء وزارة الدفاع والقيادة العسكرية، حيث استحدث العسكريون الأميركيون نظاماً مركزياً لإعداد التقارير الصحافية والأخبار «Pool System»، أتاح لهم أن يحددوا للصحافيين الأماكن التي يمكنهم زيارتها[1].

وقد تعرض هذا النظام الصارم من السيطرة والتحكم والرقابة، الذي يقوم عــلى اختــيار ٤٠ صحافيًا فقط للتحرك مع القوات، ثم العودة لإبلاغ باقي زملائهــم مــن الإعلامــيين بما رأوا وسجلوا، للانتقاد الشديد من عدد من المؤسســات والهيــئات والوكالات العاملة في المجال الإعلامي، كما عبر عن

(١) «البنتاغون يحدد للمراسلين الحربيين في الخليج مجموعة قواعد وأنظمة صارمة للتغطية الإعلامية»، **الخليج**،٤٢٦١، ١٩٩١/١/٥،ص١٢؛ خدمة «نيوز داي الأمريكية»، **الحياة**، ١٩٩١/٣/٥، ص١.

الاستياء منه الإعلاميون أنفسهم، وبعضهم أميركي، حيث تولد إحساس عميق لدى هؤلاء بأن هذه الحرب التي وُصفت بأنها «حرب الإعلام الأمريكي» بالدرجة الأولى، شهدت نوعاً من التحكم في المرسل والرسالة والوسيلة، كان أمريكياً أيضاً[1] .. حيث أصبح المراسل الأميركي هو النافذة الوحيدة، والمصدر الوحيد للأخبار والمعلومات.

وقد أدى هذا «التمييز المهني» البغيض، في المحصلة النهائية، إلى تعطيل عمل المراسلين، من غير الأمريكيين، الذين أصبح معظمهم، بعيداً عن مسرح الأحداث، يعتمدون فقط على خطوط الاتصال للحصول على المعلومات.

وقال أحد المراسلين الألمان، ويدعى «كيرتس»: «إننا نرسل معلومات من الدرجة الثانية عن الحرب... إننا نتفهم حدود الرقابة في الحرب، ونتفهم أن الأميركيين حريصون على أهلهم، لكننا أُهملنا تماماً إلى الحد الذي لا نستطيع تحمله».. وهو المعنى الذي أكده «اتسوشي هاتاياما» من التلفزيون الياباني، لوكالة الأنباء الألمانية، بقوله: إننا لا نحصل إلا على الصور والمعلومات، بصورة غير مباشرة، وهو ما يصيبك بالإحباط[2] .

---

(١) بلغ عدد الصحافيين الأميركان ٧٠٠ مراسل في مدينة الظهران، يعملون من خلال مركز البنتاجون الإعلامي، وكانت القيادة العسكرية قد سمحت بتخصيص مواقع لهم في مسرح العمليات، حيث تم إرسال مائة منهم إلى الميدان.. ولم يكن في مقدور الكولونيل بيل ميلفي رئيس المكتب الإعلامي المشترك، أن يخفي انحياز بلاده التي تتزعم الحرب لمراسليها على حساب الآخرين، بل كان يعلن أمام الملأ: «علينا أن نتدبر احتياجات المراسلين الأمريكيين الذين يبلغ عددهم ٧٠٠ شخص... إن مهمتي هي تغطية أنباء القوات للشعب الأمريكي، وتوفير حيز مناسب للباقين قدر الإمكان»؛ **الخليج**، ٤٣٠٨، ١٩٩١/٢/٢١م، ص١٢.

(٢) المرجع السابق نفسه.

ولم يكن الاتحاد الدولي للصحافيين، الذي يتخذ من لندن مقراً له، ويمثل نحو ١٧٥ ألف صحافي في أنحاء العالم، بعيداً عن الإحساس بما يعانيه المراسلون، من غير الأميركيين، فرأى في هذا النظام «التحكمي» عائقاً يحول دون تدفق المعلومات، ويشكل عبئًا على الصحافيين، وأن السرية «التحكم» المفروضة في إطاره انتهاك مباشر لحق الجمهور في أن يعلم.

وأشارت وكالة «أسوشيتد برس» من جانبها إلى أن المعركة الحقيقية تحتدم كل يوم، بسبب هذا النظام «التحكمي» بين الصحافيين والعسكريين ... وأن الموجودين خارج مجموعات (نظام Pool) يصبح دورهم مجرد نقل ما تقدمه لهم هذه المجموعات نفسها[١].

ولم يسلم هذا النمط من «التحكم الإدراكي» الأميركي في «المرسل- القائم بالاتصال» من انتقاد الدبلوماسيين الغربيين في السعودية، الذين عبروا بدورهم عن حالة عميقة من الاستياء والاستنكار والتعاطف مع المراسلين الآخرين، غير الأميركيين، مؤكدين حقهم في الحصول على المعلومات.. فقال السفير الألماني في الرياض «وولفجانج بينت»: «إنها حرب بذل فيها جهد حربي عام، وسيكون جيدًا تقاسم التجربة بين جميع الصحافيين الموجودين، كما سيكون جيداً إبلاغ الشعوب الأوروبية بما يحدث».

بينما قال المستشار «باولو سانيلا» من السفارة الإيطالية: «إننا نشعر بأن من حق الدول التي توجد لها قوات هنا أن تتمتع بحقها من الإعلام ... من الضروري أن يكون هناك نوع من التوازن»[٢].

---

(١) جاء ذلك في تقرير لها بتاريخ (١٩٩١/٢/١٢م)؛ صلاح الدين حافظ ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج» "٢من٣"، مرجع سابق، ص٩.

(٢) **الخليج**، ١٩٩١/٢/١٩م، العدد٤٣٠٦، ص١٠.

وقـد حاول «ليون دانييل» تقديم تشخيص، لا يخلو من سخرية، لتلك الحـال «التحكمية» على خلفية تعامل الصحافة الأميركية، مع أزمة فيتنام.. وأوضـح في مقاله الذي كتبه لصحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»: أنه في حـرب فيتـنام « كان الضباط في سايجون يقولون شيئاً، وكان الصحافيون يـروون أمـوراً أخرى. لكن شيئاً من المنافسة الصحية نشأ في الهند الصينية، وكان الجمهور هو الكاسب. وبرغم أن المنافسة تطورت إلى نوع من العراك والمهاترة في بعض الأحيان، لكن التراع على إطلاع الناس على الحقيقة خدم الحقيقة ... الصحافة الأميركية في تلك الحرب قامت من جانبها بتطوير أطر العمـل الصـحافي، بحيـث لا يؤدي نشر الحقيقة كما هي إلى التأثير على معنويات المقاتلين ولا يعرض حياة أحدٍ للخطر، أي أنها قامت بدور المراقب أو الرقيـب، دون أن تفرض عليها وزارة الدفاع ما يجب نشره أو حجبه... ومهمـا يكـن من أمر، فإن على الإدارة أن تدرك أن تقييد الصحافة ومنع المراسـلين من الحركة أمور تجعل الناس بالتالي يشكون في مصداقية الأخبار، وتدفعهـم إلى الظـن بأن ثمة أموراً تريد وزارة الدفاع أن تحجبها، وأن وراء الأكمة ما وراءها» (١).

**ب- القائم بالاتصال:**

لعله من الأهمية التأكيد ابتـداءً أن «القائم بالاتصال» من الإعـلاميين، لم يكن يمتلك في ظل «لائحة التحكم الإدراكي» المشار إليها سابقاً، ما يتحكم بـه، فهـو فـاقد بالأصل لمقومات العمل الإعلامي«الحر»، وفاقد كذلك

---

(١) ليون دانييل، حراس الإعلام، كريستيان ساينس مونيتور، مرجع سابق.

لـــلأدوات التي تدرب عليها والحواس التي تمرس على استخدامها في الحصول على المعلومة والتعامل معها من ثمّ وفق الأصول المهنية.. فهو متحكَّمٌ به.

لذلـــك فـــإن الدور الذي كان يضطلع به يتمثل، غالباً، في «التحكم» بـــالقـــدر القـــليل مما يُعطى من رســـائل جاهزة ومضامين محددة، يجود بـــهـــا «المصدر» العســـكري، الذي يشكل في ضوء ما سبقت الإشارة إليه «القـــائم بالاتصال» الحقيقي، ليعيد صياغتها ويعمل على بثها ونشرها على الـــرأي العـــام، بما يخدم أهداف الحرب «الحضارية» الذي يشكل هو أحد أركانها وأدواتها الرئيسة.

وممـــا يدعـــم هذا التوجه «التحكمي» بإعلام الأزمة، ويؤكد في الوقت نفســـه ما نقول به حول هوية الأزمة، التي تميزت بالتقاء الإعلامي والسياسي والعسكري الغربي عند «بعد فكري» واضح، يبصر غايته ويدرك وجهته، أن الحكومـــة البريطانية، التي كانت الشريك الأساس للولايات المتحدة الأميركية في حربها ضد «إنسان الحضارة العربية»، أرسلت في عنفوان الأزمة، إخطاراً إلى وســـائل الإعلام طلبت فيه من هذه الوسائل «أن تحجم عن نشر تقارير بشـــأن ســـرقة كمبيوتر يحتوي على أسرار عسكرية حساسة تتعلق بالقوات البريطانية في الخليج».

وقالـــت صحيفة «آيريش تايمز» الأيرلندية (١٩٩١/١/٣م) التي أوردت النـــبأ: «إن جمـــيع وسائل الإعلام التي تسلمت الإخطار من لجنة الصحافة والبـــث الـــتابعة لوزارة الدفاع قد امتثلت لـــ"الطلب" بعد نشر تقارير عن

الموضـــوع»!! والمعروف أن جهاز«كمبيوتر» وأوراق ينقلها ضابط مساعد لقائد القوات البريطانية في الخليج قد سرقت في ١٧ ديسمبر ١٩٩٠م، «وقد عثرت السلطات على الأوراق ولكنها لم تعلن شيئاً عن الكمبيوتر الذي كان يحوي معلومات عن استراتيجية القوات البريطانية وعملياتها في الخليج»[١].

و لم يخلو هذا النمط من «التحكم الإدراكي» من بعض المواقف الطريفة، الـــتي تنطوي على كثير من المعاني التي تحكي، في جانب منها، شيئاً عن حال «القـــائم بالاتصـــال» الراكض دوماً وراء المعلومة، حين يفتقد الهواء النقي «المعلومات» الذي يتنفسه.

فعـــلى سبيل المثال، كان فندق «إنتركونتننتال» في جنيف، الذي شهد اجتماعات وزيري خارجية العراق وأميركا، طارق عزيز حنا وجيمس بيكر، مسرحاً، كما تقول وكالة الأنباء الفرنسية، في تقرير لها بتاريخ ١٩٩١/١/٩م «لمشاهد فوضى عارمة، مرجعها توتر أعصاب المراسلين الذي حضروا بالمئات لتغطـــية لقـــاء وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر ونظيره العراقي طارق عزيـــز، والذين حرموا من أية معلومات حول المحادثات المطولة.. فبعد الظهر قامت حشود من مصوري التلفزيون والصحف بمطاردة حقيقية لأحد زبائن الفندق ، وهو أمريكي من أصل عربي اشتبهوا في أنه وزير الخارجية الجزائري سيد أحمد غزالي.. وعندما حاول الزبون الحائر في أمره الهرب جرى مصورو الـــتلفزيون وراءه صاعدين السلم الآلي في الاتجاه المعاكس ومسقطين كل من اعترضـــهم.. وقبل ذلك بدقائق تدافع الصحافيون أمام مدخل الفندق الذي تحاصـــره قوات الأمن السويسرية ..كان ذلك عندما ترك المصورون الأماكن

(١) ي.ب -أ.ب، عن الخليج ،٤٢٦١ العدد ،١٩٩١/١/٥ص،١٢.

التي كانوا بها في انتظار وزير الخارجية الجزائري، وبعضهم لا يعرف صورته، وتدافعوا فجأة إلى الداخل باتجاه صالون الأمم. أشخاص عديدون يسقطون أرضًا.. إنهما وزير الخارجية الأمريكي والعراقي يخرجان لاستراحة بربع ساعة بعد جولة المحادثات الثانية بينهما»[1].

## ٢- التحكم الإدراكي في الرسالة:

يراد «بالتحكم الإدراكي» في الرسالة، الدور الذي اضطلع به كل من المصدر، المنشئ الأصل للرسالة، و«القائم بالاتصال»، الناقل لها، في التعامل معها، ومعالجتها وعرضها بما يحقق الغاية من إعدادها والوصول بها إلى وجهتها.

وقد تجلى ذلك في ما يراه بعض الإعلاميين من أن الإدارة الأميركية كانت كثيراً ما تعتمد في تعاملها مع إعلام الأزمة، على ما يسمى بمبدأ تيلور[٢]، نسبة إلى «الجنرال – الراحل– ماكسويل تيلور»، الذي كان يبشر بأن «للناس الحق في أن يعلموا بما تقوم به قواتهم المسلحة تفصيلاً، ولكن ليس اليوم أو غداً بالضرورة وإنما في الوقت المناسب» وبالقدر المناسب بالضرورة.

غير أن الإدارة الأميركية ما كان لها، في ظل «لائحة التحكم الإدراكي» البغيضة، أن تأخذ بالجانب الآخر من «مبدأ تايلور» الذي يرى فيه «أن الإعلام بكل أجهزته يستفيد من المعلومات بشكل أفضل إذا قدمت له على شكل "كتل" منسقة»، وانتقاده الشديد لأسلوب «الصحافة والتلفزيون الذي يلجأ في العادة إلى تقديم المعلومات على شكل "نتف" إخبارية توقع الناس في

(١) انظر الخليج، ١٩٩١/١/١٠م، العدد ٤٢٦٦، ص١٣.

(٢) انظر ريتشارد كوين، نتف المعلومات والكتل المنسقة، كريستيان ساينس مونيتور، عن الشرق الأوسط، ١٩٩١/١/٢٦م، العدد ٤٤٤٢، ص١١.

حيرة وتجعلهم يلجأون إلى التكهنات المغلوطة في الغالب»، الأمر الذي جعل بعـــض الإعلاميين، ممن يرون أن الجيش الأمريكي كان يلجأ إلى الأخذ بهذا المبدأ، يؤكدون أن مجرد وجود الإحساس بأن السلطات تخفي بعض الحقائق، يـــؤدي إلى التشكك بمصداقية الأخبار، وتدفع «البعض» إلى مناطق الظنون والهواجس وحتى الذعر والخوف(١).

ولذلك كان طبيعياً، في ظل ما كان سائداً من «تحكم إدراكي» وإخفاء مقصود للمعلومات، أن يدرك الناس بدهشة، بعد أيام من التغطية التلفزيونية والمـــتابعة الواسعة في الصحف لتطورات الأزمة، أن « ما يعرفونه عن الحرب الدائرة في الخـــليج قليل جداً، لأنهم لا يعلمون ما الذي يحدث حقًا»، حيث لم يستطع الإعلام — كما يؤكد «مايكل شيتفر»، منسق برامج الأمن القومي في جامعـــة نيويورك، و«مايكل رينـــزلر»، مدير البرامج السوفيتية في معهد الحـــرب والسلام في الجامعة ذاتها - أن يقدم سوى القليل للقراء والمشاهدين بســـبب الضـــغوط والتشـــديدات الـــتي تفرضها وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون».. لذلك ونسبة لأن «مصادر المعلومات أصبحت قليلة ومقيدة، فـــإن الإعلامـــيين وقعوا في مطب الشائعات والأخبار المغلوطة. فقد نقلت شـــبكتا "ســـي. إن. إن" و "أي. بي. ســـي" تقريرين عن قصف "إسرائيل" بأســـلحة كـــيماوية، وأثارتـــا قلقًـــا وذعراً بين الكثيرين... وأن ما أرسله الصحافيون الموجودون في الجبهة يعاني من فراغ كبير، لأنه يقوم على ما سمحت لهـــم الحكومـــات بمعرفته... وأن الصحف أصبحت تكتفي بنشر ما لديها من

(١) انظر ريتشارد كوين، نتف المعلومات والكتل المنسقة،المرجع السابق.

أخبار حتى إذا كان مشكوكًا بصحتها، لأن قيود البنتاجون تمنعها من المتابعة للتأكد من صحة معلوماتها»[1].

وقد أكد هذا المعنى بوضوح أكثر «ديبورا أموس»، وهي إعلامية أميركية، من الإذاعة القومية العامة في الولايات المتحدة، قائلة: «إننا نرى الكثير من الحرب، لكننا لا نرى إلا القليل من محتوى هذه الحرب».

ولم تجد صحيفة «نيويورك تايمز» ذات النفوذ الواسع، أميركياً وعالمياً، و«البعد الفكري» الواضح، بداً من الاهتمام بالموضوع، فخصصت له افتتاحيتها ليوم ٢٥/١/١٩٩١م التي أكدت فيها أن الصحافيين في المواقع القريبة من الميدان يعانون من الرقابة الشديدة.. فالمعلومات التي لديهم قليلة ومقيدة، ويجب أن تعرض على الرقابة.. ويحدث كثيراً أن تصادر المعلومات من صحافي ليفاجأ أن الناطق العسكري يقوم بتصحيحها في وقت لاحق.

غير أنها حاولت أن تجد المبرر لهذا «التحكم الإدراكي» العسكري الأميركي في المعلومات والأخبار من خلال العقدة الفيتنامية، مشيرة إلى أن حصيلة حرب فيتنام هي التي تدفع القادة العسكريين إلى التشدد وهذه السرية. فلا يزال العديد من العسكريين يعتقدون أن التغطية الإخبارية غير المحابية لحرب فيتنام، جعلت أمريكا تخسرها[2].

إلا أن هذا التبرير لم يكن مقنعاً بالضرورة لكثير من الإعلاميين الأميركيين أنفسهم، حتى أن ثلاثة من مراسلي الصحف الأمريكية تقدموا

---

(١) جاء ذلك في مقال لهما نشرته صحيفة هيرالد تربيون (٢٦/١/١٩٩١م)، انظر المرجع السابق.

(٢) الإعلاميون ينتقدون التشدد الرسمي في الحصول على المعلومات ونشرها، الخليج، العدد ٤٢٨٣ ، ٢٧/١/١٩٩١م،ص١١.

بشكوى لمجلس الشيوخ اتهموا فيها وزارة الدفاع (البنتاجون) بأنها تحرم الشعب الأمريكي من أخبار حرب الخليج، وذلك بأساليب لم يسبق أن اتبعت في تاريخ الولايات المتحدة... وطالب أحد هؤلاء المراسلين وهو «والتركرونكيست» - الذي لم يستطع الانفكاك تماماً عن «البعد الفكري» الذي يلتقي عليه مع السياسي والعسكري، رغم انتقاده واستيائه من هذا الأسلوب التحكمي - بالسماح لأعداد كبيرة من الصحفيين بالتوجه إلى ساحة الحرب ثم عرض أعمالهم على رقابة عسكرية مشددة، وهو نفس الأسلوب الذي كان متبعًا خلال الحرب العالمية الثانية [(١)].

ولعل في ما عبر عنه بعض الباحثين من أن المعلومات والأخبار(الرسائل) كانت تخضع لنوع من التلوين، من قِبل «القائم بالاتصال»، لتكون دائماً في خدمة الاتجاه العام للمعسكر الذي تعبر عنه، ما يشير بوضوح إلى ما كان يضطلع به «القائم بالاتصال» من دور في عملية «التحكم الإدراكي» بالرسالة.. وذلك من خلال: إعادة طرح المعلومة أو الخبر أو التقرير بصياغة جديدة تبرز جوانب لم تكن مبرزة لو تركت المادة في صورتها المحايدة، أو تقوم الصياغة الجديدة بالقفز على جوانب كانت مبرزة في المادة الأصلية[(٢)].

وفضلاً عن التلوين، برز نمط آخر من «التحكم الإدراكي» بالرسالة، تجلى في ما وصف بـ : «تضارب الأنباء التي تبثها الجهات المسؤولة في قوات المتحالفة» في الحرب، وهو تضارب يكشف بقوة عن حقيقة «البعد

---

(١) «شكوى من مراسلي الصحف الأميركية: البنتاجون يحرم الشعب من أخبار الحرب»، الأهرام، ١٩٩١/٢/٢٢، ص٤.

(٢) محمد عبد الحكم دياب، مرجع سابق، ٩.

الفكري » لإعلام الأزمة الغربي، سـواء على مسـتوى المرسل أو الرسالة، ولم تـر فـيه كثير من المؤسسات الإعلامية سوى نوع من التحكم المقصود بالرسـالة لخدمـة أهـداف معينة، يدخل بعضها في نطاق الحرب النفسية، كوسيلة لإقلاق الخصم العراقي وإيقاعه في الحيرة.

وقالـت صحيفة «دي فيلت» الألمانية: إن «هذه الأنباء والتصريحات المتضـاربة لا تعـود إلى سوء التنسيق بين القوات المتحالفة، بل هي عملية محسوبة، ذلك أن الحرب لا تقتصر على القنابل والصواريخ والمدرعات، بل تشمل بث الأنباء المغلوطة والدعاية النفسية الهادفة، الأمر الذي يلمسه تمامًا حـوالي ٨٠٠ مراسـل أجـنبي في الجـبهة، والذي دعا أحد الصحافيين الأمريكـيين لأن يقول : "إن حرب الأعصاب قد شملتنا، ونحن نقوم بدور حقيقي فيها"».. وأشارت إلى أن «ثلاثة ناطقين عسكريين قد أعلنوا في يوم واحد تقديرات متضاربة حول معنويات الجنود العراقيين، بحيث يعتبر ذلك نموذجًا تقليديًا لعملية بث الأنباء المغلوطة والمتضاربة»[1] .

و لعلـه مـن نافلة القول: التأكيد أن «التحكم الإدراكي» لإعلام الأزمة الغربي، في الرسالة وناقلها، أياً كان شكله ونمطه، إنما كان لإخفاء كـثير ممـا يمكن أن يكشف عن هوية الحرب وما ينطوي عليه «إنسان الحضـارة الغربـية» من «بعد فكري»، كان هو أداة التحكم والسيطرة وبوصـلة التوجيه الحقيقية للعقل الغربي، بعامة، في صدامه الحضاري من «إنسان الحضارة العربية» على أرض «الأزمة».

(١) دي فيليت، عن الشرق الأوسط، ١٩٩١/٢/١٠م، ص٨.

## ٣- التحكم الإدراكي في الوسيلة:

تجسد «التحكم الإدراكي» في الوسيلة، في اعتماد النظام السياسي الغربي، لوسيلة إعلامية واحدة يبث من خلالها ما يريد، وهي شبكة «سي.إن.إن» الإخبارية، التي مُنحت حق احتكار الرسالة الإعلامية الخاصة بالأزمة، بل وحق تسجيل الحرب لحظة وقوعها بالصوت والصورة.. وكان الإعلام العالمي عالة عليها، والرأي العام العالمي يتشكل من خلالها، والقرار السياسي في كثير من الأنحاء يُتخذ في ضوء ما تبثه، من أخبار ومعلومات وتحليلات.

ولم يكن أمام أيٍّ من أصحاب القرار، السياسي أو الإعلامي أو الصحافي، داخل الولايات المتحدة أو خارجها، بد من متابعتها أو الإطلاع عليها بين الفينة والفينة[1].

## ٤- التحكم الإدراكي في المستقبِل:

المستقبِل، أو الرأي العام، العالمي والعربي، هو المستهدف الأساس بالرسالة الإعلامية.. والتحكم في الرسالة والوسيلة، تحكمٌ يراد به المستقبِل بالدرجة الأولى، لذلك فإن ما سبق إيراده من ملاحظات عن «التحكم الإدراكي» في الرسالة والوسيلة، ينطوي ضمناً على كثير من معاني «التحكم الإدراكي» في المستقبل، ويكشف عما يمكن أن يكون قد لحق به من فعل تحكمي مقصود لإعلام الأزمة.

(١) الشرق الأوسط، «الإعلام المسؤول في مواجهة الواقع»، العدد ٤٣٤٣، ١٩/١٠/١٩٩٠، ص١١.

# اضطراب «البعد الفكري» للإعلام العربي[1]
# (أنموذج التعامل مع الأزمة)

بينما تميز «إعلام الأزمة» الغربي بعامة، والأميركي بخاصة، بوضوح «البعد الفكري» المتحقق في رؤية شاملة انتظمت النظام الغربي كله، بمؤسساته وإنسانه، الثقافي والإعلامي والسياسي والعسكري... تجلت آثاره في إبصار الوجهة، وتحديد الهدف، وامتلاك الوسائل، وإحكام القبضة و«التحكم الإدراكي» بأركان العملية الاتصالية الأساس، كان «إعلام الأزمة» العربي بشكل عام يعاني حالة من اضطراب «البعد الفكري»، تجلت آثارها في التشتت والتبعثر وتعدد الرؤى، وبالتالي ضلال الوجهة، وضبابية الهدف، وفقدان البوصلة والمقدرة الحقيقية على ضبط الأمور وإحكام السيطرة على مقود المسير (!)

وتتعدد النوافذ، التي يمكن الإطلالة من خلالها على هذا الواقع المضطرب، إلا أن أبلغها ما صدر عن أهل الاختصاص، المشتغلين بالمسألة الإعلامية، من تصريحات وأقوال وما عبروا عنه من آراء تلتقي عند حدود الاعتراف بأن «إعلام الأزمة» العربي كان «هزيمة جديدة»[2]، للإعلام العربي، وتتقاطع عند كثير من السمات المشتركة لهذه «الهزيمة الجديدة»، تجسدت في:

---

(١) تتميز النماذج والشواهد الواردة بأنها مستقاة من صحف إعلام الأزمة العربي بشكل مباشر، وليس من كثير مما كُتب وأُلف من بعد ذلك.

(٢) عثمان العمير، «إعلام ما قبل الحرب وما بعدها!!»، الشرق الأوسط، ١٩٩١/٥/٦، العدد٤٥٤٢،ص١٥.

١- الفشل، في ما نجح فيه الإعلام الأميركي خصوصاً، والغربي عموماً.

٢- السقوط، أسيراً في سلسلة هائلة من الأخطاء والتناقضات، وذلك بغض النظر عن كونه مع هذا الطرف أو ذاك[١].

٣- الإصابة، بحالة من «الصلع الفكري»، و«التراخي في الاهتمام والانفصال عن القضايا الحية»[٢]، وكأن الأمر لا يعنيه كثيراً.

٤- العزوف، والإحجام عن خوض معركة إعلام الأزمة، حيث إن الصحافة العربية، بل الإعلام العربي، لم يكلف نفسه عناء خوض المعركة كما حاولت الصحافة الغربية. وإذا كانت هناك استثناءات قليلة فإن البقية كانت تنتظر ما تبعث به إليها وكالات الأنباء.. مئات الصحافيين الأجانب في الرياض وبغداد والظهران، فيما مئات الصحف العربية تقبع داخل مكاتبها تراقب الحرب بالنظارات الشمسية!![٣].

ولما كانت المظاهر التي تجلى فيها اضطراب «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي في تعامله مع الأزمة كثيرة ومتنوعة، فإن محاولة الكشف هنا عن هذا «الاضطراب» سوف تكون من خلال عنصري «الوجهة» و«التحكم»، مع التركيز على العنصر الأخير، بشكل خاص، باعتباره الأكثر وضوحاً تعبيراً عن حالة «الاضطراب».

(١) صلاح الدين حافظ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج»:٣ من"٣"، مرجع سابق، ص٩.

(٢) زين العابدين الركابي، «إعلام ما بعد الأزمة»، وهي عبارة عن محاضرة ألقاها بقاعة الملك فيصل بمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وطالب فيها بإعلام عربي «مبني على الحقائق والبرمجة الموضوعية في مخاطبة الرأي العام برؤية صادقة وواضحة»انظر الشرق الأوسط، ١٩٩١/٥/٣٠م، العدد٤٥٦٦، ص١٩.

(٣) عثمان العمير، «إعلام ما قبل الحرب وما بعدها!!»، مرجع سابق، ص١٥.

## * الوجهة:

حـــين يضطرب «البعد الفكري» تضطرب الرؤى وتهتز الثوابت، وتضيع الوجهة، أو تصاب، على الأقل، بحالة من الغبش والضبابية، وتخيم على الأبصار غشـــاوة تحجـــب إمكانـــية الإبصار السليم، فيضل السائر قبلته، وتختلط عليه الســـبل، ويقع في سوء التقدير، فيسير متخبطاً بين هذا وذاك، يسلك ما يظن توهمـــاً أنـــه موصله إلى حيث يريد، دون أن يضع في حسبانه ما قد يكون من مخاطر وعقبات.

وكانـــت هذه الحالة، على درجة من الوضوح بحيث يمكن حتى للمتابع العـــادي، ناهـــيك عن أهل الاختصاص والمهنة، أن يلحظها ويدرك آثارها. لذلك كان طبيعياً أن يرى فيها بعضهم نوعاً من غياب «الرؤية الاستراتيجية» لـــلموقف، الـــذي أدى إلى تداخـــل الخطـــوط والصور، واهتزاز الثوابت والبدهيات، وكانت النتيجة أن غُيبت المصالح العليا في حمأة الانفعال بالمصالح العارضة.. وهو انفعال تراوحت أسبابه بين سوء التقدير من ناحية، والمزايدة عـــلى المواقف الرسمية من ناحية ثانية، الأمر الذي جعل الإعلام يلعب «دورًا سلبيًا للغاية، مخزياً في الحقيقة، أسهم بدور أساسي في التغييب والتخليط، بل وفي الوقـــيعة والتحريض»[1] وفي ظل ذلك، تحول إلى أداة طيعة سلسة في يد الســـلطة الحاكمة، على جانبي الأمة... وإذا بالعداوة بين الحكام تنتقل- عبر أجهزة الإعلام العربي- إلى محاولة إثارة العداوة بين الشعوب[2].

(١) فهمي هويدي، «دور سلبي للإعلام العربي»، **الخليج**، ١٩٩١/٢/٥م،٤٢٩٢، ص٧.

(٢) صلاح الدين حافظ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج:٣ من٣»، مرجع سابق، ص٩.

ولعل في ما نشرته صحيفة «الأنباء» الكويتية، بعد عامين من انتهاء الحرب، ما فيه الكفاية للتعبير عن ذلك.. فقد كتبت في إحدى افتتاحيتها: «رأي الأنباء» مقالاً بعنوان: «اللهم لا تبق فيها حجراً على حجر»، جاء فيه: « ... وككويتيين لا نفرق بين "نظام" بغداد والعراق كله... وحين احتلت الكويت حقق صدام حسين لشعبه الأمنية الكبرى وأظهر حقيقة ذلك الشعب القذر لا حقيقة "النظام" فقط ... الكويتيون يا شعب – لا قائد– العراق العفن أرفع منكم وأطهر ... كأن آل الصباح حين استدعوا شرفاء العالم ووقعت معهم المعاهدات الأمنية ومعاهدة إعلان دمشق ...».

واختتمت الصحيفة افتتاحيتها بالعبارة الآتية: «نقول للعراق ولشعبه كله لا لنظامه – الحالي والمستقبلي– أنتم أسفل السافلين . فاللهم سلط على العراق غضبك واللهم لا تبق فيها حجراً على حجر»[1].

وإذا كان اضطراب الوجهة في «إعلام الأزمة» العربي، يمكن أن يلحظ في حالات عديدة، إلا أن أبرزها جميعاً وأعمقها خطراً، على حاضر الأمة ومستقبلها، الحملات الإعلامية المتبادلة، مما سنتناول بعضها لاحقاً في إطار «التحكم الاستبدادي».

---

(١) الأنباء، «رأي الأنباء»، بتاريخ ١٩٩٣/١/١٨م.. وكانت صحيفة « الحياة» قد نشرت الافتتاحية، مع تعقيب للكاتب حازم صاغية، جاء فيه: «... نزعم أن السيد "الأنباء" لا يعدو كونه تلميذاً صغيراً نجيباً لصدام حسين... وفي هذا الباب لا يفوتنا لفت نظر السيد " الأنباء" إلى أن "شرفاء العالم" ممن ساعدوا الكويت لم يساعدوها انطلاقاً من برنامج عنصري أو تعبيراً عنه. فتحت رايات الديموقراطية وحقوق الإنسان وحق الأمم في تقرير مصيرها اصطفت شعوب وجنسيات وألوان لا حصر لها... »؛ الحياة، ١٩٩٣/٢/١، العدد ١٠٩٤٨، ص١٤.

## * التحكم:

التحكم، في «إعلام الأزمة» العربي، إفراز طبيعي لاضطراب «البعد الفكري»، وليس لوضوحه، مثلما هو الحال بالنسبة لإعلام الأزمة الغربي.. كما أنه مؤشر ودال عليه، ومؤكد له، في الوقت نفسه.

### - من أنماط «التحكم»:

وبقليل من النظر والتأمل في العديد من النماذج الإعلامية المتنوعة، يمكن استنتاج ثلاثة أنماط من «التحكم» كانت تسيطر على «إعلام الأزمة» العربي، يمكن أن يطلق عليها: التحكم الاستبدادي؛ التحكم الخضوعي؛ التحكم الرغائبي.

### ١- التحكم الاستبدادي:

تنطوي كلمة «التحكم» في ذاتها، وفي معانيها ودلالتها اللغوية والاصطلاحية، على معنى الاستبداد، والتوهم بامتلاك المقدرة والإرادة وإمكانية الفعل، بغض النظر عن إيجابية هذا الفعل أو سلبيته، أو ما يمكن أن يترتب عليه آثار.

ويتجلى هذا النمط من التحكم، الذي يتصل بالرسالة أكثر مما يتصل بالقائم بالاتصال، الذي يعمل في مؤسسة هي بالأصل «بنت السلطة وربيبتها»، في مظهرين:

**الأول:** محاولة إلغاء (الآخر)، وإسكات صوته، وتغييب رأيه.. وهي محاولة بدأت مقدماتها مع إطلالة فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، حين أغلقت العواصم العربية، بالتبادل فيما بينها، الرأي (الآخر) المضاد[١].

---

(١) عثمان العمير، «إعلام ما قبل الحرب وما بعدها!! »، مرجع سابق، ص١٥.

**الثاني:** فرض « الرأي الواحد»، بغض النظر عن مدى قبول المستقبل أو رفضه له.

وإذا كان إلغاء الرأي (الآخر)، مما لا يفي هنا كثيراً بأغراض البحث - وإن كان يؤكد طروحاته - حيث لا صوت لمن لا وجود له، ولو إلى حين، فإن محاولة فرض الرأي الواحد، تكشف بوضوح أكثر عن ذلك النمط والأسلوب من «التحكم الاستبدادي» الذي كان سائداً في الساحة العربية، وبالتالي عن حالة من «الاضطراب» في «البعد الفكري»، التي كانت مهيمنة على إعلام الأزمة العربي.

وعلى الرغم من تنوع النماذج وتعدد الصور الدالة على هذا النمط من التحكم، إلا أن هناك أنموذجين يمكن اعتبارهما الأكثر بروزاً والأكبر خطرًا :

**الأول:** ما يمكن أن يطلق عليه: أنموذج «التحامل»، الذي ينطوي على معنى الحملات المتبادلة بين أطراف النظام السياسي العربي، على مستوى وسائل الإعلام.

**الثاني:** ما يمكن أن يطلق عليه: أنموذج «التكاذب»، أو«التكذيب التبادلي»، بمعنى نشر المعلومات والأخبار الكاذبة، أو التي يتم تكذيبها.

### النموذج الأول: التحامل:

حين ضل الإعلام العربي وجهته، انشق انشقاق السياسة العربية نفسها حول الأزمة[1]، فاشتعلت الحملات المتبادلة «التحامل»، واستُخدمت أساليب هابطة في التراشق الإعلامي، وتأجيج الخصومة بين الدول، وتجريح الأنظمة، والتطاول على رؤسائها.

(١) صلاح الدين حافظ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج، ٣من٣»، مرجع سابق، ص٩.

وبـــدل أن يحرص الإعلام العربي على مداواة الجراح أو رأب الصدوع، والإفـــادة من الأزمة في إعادة اللحمة والوصول إلى المشترك العربي، لجأ إلى «التصـــعيد وإذكاء الخصومة وتعميق الفجوات.. وتحول الانفعال إلى شطط استهدف قطع الوشائج»[1].

وتـــتعدد الأمـــثلة والنماذج، التي تعكس صوراً محزنة لحالة «التحامل» والحمـــلات الإعلامـــية الموجهـــة والمضادة، التي سادت النظام السياسي والإعلامي العربي، في ظل الأزمة.. ودون كثير استقصاء وعميق خوض في مضـــمون «خطاب الأزمة العربي»، فإن ثلاثة من النماذج تكفي للكشف عمـــا كان سائداً من مضمون استبدادي، واستبدادية «تحكمية» تجاوزت الرســـالة للهيمنة على الوسيلة، والمستقبل، والقائم بالاتصال، الذي لم يكن سوى خادم أمين لمخدوميه بالدرجة الأولى.

**أ- استنكار السعودية لحملات الآخرين ضدها:**

فقـــد بثت وكالة الأنباء السعودية بياناً «لمصدر سعودي مسؤول» تعليقاً عـــلى مـــا قيل: إنه «صدر ويصدر عبر وسائل إعلام بعض الدول العربية من مغالطات وادعاءات وقلب لحقائق الأمور»، مستنكراً «محاولات وسائل إعلام الأردن وتونـــس والجزائـــر وغيرهـــا، خداع شعوبها باختلاق الحجج الواهية والادعـــاءات الـــباطلة بشـــأن الوضـــع في الخلـــيج»، واصفاً هذه الوسائل «بالمـــأجورة».. مختتماً التصريح بالتوعد بحملات مضادة، قائلاً: «لقد صبرنا على الأذى طويلاً على أمل أن تصحح حكومات هذه الدول مسار إعلامها...

(١) فهمي هويدي، «دور سلبي للإعلام العربي»، مرجع سابق، ص٧.

ولقد طرحنا تساؤلنا اليوم، وننتظر الجواب.. وسوف لا ننتظر طويلاً.. ولدينا كتاب سنضطر إلى تقليب صفحاته ونعود إلى وثائقه عند اللزوم»[1].

**ب- اعتراف السعودية بحملاتها الإعلامية:**

يجئ اعتراف السعودية بما كانت تقوم به من حملات إعلامية ضد الآخرين ضمن توجيهات صدرت عن الملك فهد بن عبد العزيز.. ففي مناسبة قدوم شهر رمضان، والأزمة لما تنته بعد، أصدر الملك فهد بن عبد العزيز توجيهات بالعمل فوراً على وقف جميع الردود الإعلامية، في وسائل الإعلام السعودي، على ما يصدر من بعض وسائل الإعلام العربية. وعزا علي الشاعر وزير الإعلام السعودي، حملات الإعلام السعودي على الآخرين إلى «بعض الظروف»، التي «كانت تفرض علينا توضيح الحقائق التي يحاول البعض تشويهها»[2].

**ج- تحذير السعودية من إمكانية العودة لأسلوب الحملات:**

ولم تمض سوى أيام قلائل على إعلان السعودية وقف الحملات الإعلامية، حتى صدر تحذير يتضمن تهديداً بالعودة إلى أسلوب الحملات، في حال استمرار الآخرين في ذلك[3].

## النموذج الثاني: التكاذب (التكذيب التبادلي):

اتخذ «التكذيب التبادلي» شكلين مختلفين ولكنهما متجاوران: تكذيب لخبر مُختلَق «كاذب»، أو تكذيب لحدث وقع فعلاً.. وفي الحالين هناك كذب قد وقع، ابتداءً أو انتهاءً، وفي ذلك ما فيه من تضليل، من هذا الطرف أو ذاك، للرأي العام، المُتحكم فيه استبدادياً.. ويمكن الاكتفاء هنا بمثالين:

(١) صدر البيان بتاريخ ١٩٩١/١/٢٦م؛ الشرق الأوسط، ١٩٩١/١/٢٧م، ص١.

(٢) الشرق الأوسط، ١٩٩١/٣/٢٥م، ص١.

(٣) الشرق الأوسط، ١٩٩١/٤/٥م، ص١.

**أ- تكذيب لتصريحات لم يُدَل بها:**

يستمد التكذيب أهميته هنا من أن ما كُذّب يُنسب إلى رئيس دولة.. فقد «صرح مصدر إعلامي - مصري - على مستوى عال بأن كل ما نشرته جريدة "السفير" اللبنانية حول العلاقات المصرية السعودية، أو تصريحات للقيادات السياسية غير صحيح جملة وتفصيلاً. وقال: إنه عار تمامًا من الحقيقة.

وقال المصدر: إن القيادة السياسية في مصر لم تدل بأي تصريحات للجريدة المذكورة، أو لغيرها حول تلك الادعاءات التي تستهدف تضليل الرأي العام، مشيدًا بالعلاقات المتميزة بين مصر والمملكة العربية السعودية والاحترام والتقدير القائم بين البلدين.

وقد دأبت جريدة "السفير" اللبنانية في الفترة الأخيرة على نشر أخبار وتحليلات عن العلاقات المصرية السعودية، وعن أسباب كويتية سعودية وراء قرار سحب القوات المصرية.

كما دأبت أيضًا على أن تنسب أقوالاً غير صحيحة تمامًا إلى الرئيس مبارك وكبار المسؤولين في مصر إلى ما تسميه «مصادر مطلعة» (١).

**ب- نفي لحادث لم يقع:**

وهنا تتعدد الأمثلة.. من ذلك:

- نفى مصدر سعودي مسؤول، في تصريح أدلى به لوكالة الأنباء السعودية، لما أسماه: «خبراً مختلقاً» عن إطلاق الشرطة النار على «شيخ الجامع الكبير وشقيقه في الرياض..» بعد الانتهاء من خطبة الجمعة.. وأوضح

---

(١) الأهرام، «مصدر إعلامي كبير: تحليلات السفير "اللبنانية" عن العلاقات المصرية السعودية عارية تماماً عن الحقيقة»، ٢٢/٦/١٩٩١م، ص١.

المصـــدر أن الخبر، الذي نقلته كل من وكالتي الأنباء العراقية والجزائرية عن صحيفة أردنية، يأتي «في إطار الحملة الإعلامية الحاقدة» على السعودية[1].

– نفي تونس لما أسمته: «معلومات خاطئة» تتعلق بحالات تعذيب قيل: إنهـــا تقـــع في ســـجونها.. وقد ذهبت في ذلك إلى أبعد من الاكتفاء بالنفي والتكذيـــب، وإنما عملت على معاقبة الجهة مظنة «المعلومات الخاطئة»، من وجهـــة نظـــرها.. فقد سحبت اعتماد مراسل وكالة رويتر في تونس ومدير التحرير في الوكالة لشمال إفريقيا، بسبب نشره هذه المعلومات[2].

– نفي مصر لخبر ضبط تنظيم إرهابي، فقد صرح مصدر مطلع «لوكالة أنباء الشرق الأوسط» تعقيباً على ما نشر في صحيفة «العربي» لسان الحزب الناصـــري، وصحيفة «الخليج» الإماراتية، وما تناقلته بعض وكالات الأنباء حـــول ما ادعي من ضبط تنظيم إرهابي من ستة من العسكريين منذ أكثر من حـــوالي شـــهرين، وما احتواه النشر من نسج روايات مختلفة حول تخطيطهم للقيام بعملية إرهابية ضد القيادات العليا في مصر.

– نفـــي مصر على لسان رئيسها، حسني مبارك، لما أذاعه مكتب وكالة أنـــباء «رويـــتر» في القاهـــرة عـــن حادث تصادم بين ناقلتي بترول في قناة السويس، واشتعال النار في إحداهما. وعلى الرغم من أن مصر، لم تذهب إلى مـــا ذهبت إليه تونس من معاقبة مصدر المعلومات «الكاذبة»، إلا أنها طالبت – على لسان الرئيس – رئيس مكتب الوكالة «بضرورة تحري الدقة قبل نشر مـــثل هـــذه الأخبار».. غير أن صحيفة «الأهرام» التي بثت النفي، أشارت

(١) الشرق الأوسط، ١٩٩١/١/٣٠م، ص٤.

(٢) الشرق الأوسط، ١٩٩١/٤/١٣م، ص٤، نقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية.

إلى «أنه كان قد حـــدث احتكاك بسيط بين ناقلة إيرانية وأخرى سودانية، ولم يســـفر هذا الاحتكاك عن أية خسائر، ولم يعطل حركة الملاحة في قناة السويس»[1].

## ٢- التحكم الخضوعي:

الـــتحكم الخضوعي، مفهوم يراد به هنا، ذلك النمط من التحكم الذي يكـــون فـــيه المتحكِم خاضعاً، فيما يتحكم فيه، لتوجهات (الآخر) وإعلامه ومادتـــه الاتصالية.. ويمكن القول: إن هذا النمط من التحكم يعتبر من أبرز سمات إعلام الأزمة العربي، الذي كان خاضعاً مستسلماً لإعلام الأزمة الغربي، كلمة وصورة، تحليلاً وتعليقاً، موضوعات واهتمامات، بل وِجهة وغاية.

وقد تجسد «التحكم الخضوعي» في أبلغ صوره وحالاته، في تلك اللحظة الـــتي فُـــتح فـــيها المجـــال الفضـــائي العربي أمام البث المباشر لمحطة تلفزيون «سي.إن.إن»، الناطق الرسمي الوحيد باسم إعلام الأزمة الغربي، بكل ما تميزت بـــه من وضوح في «البعد الفكري»، وإدراك واعٍ لما تريد وتهدف إليه وتسعى لإيصاله من رسائل إلى المستقبل.. فقد أفرد لها النظام السياسي العربي مساحات وقـــنوات خاصة يلتقط من خلالها المُشاهد العربي إرسالها، ورسائلها الموجهة، على مدى ساعات اليوم كله.

وفي ضـــوء ذلك، يمكن القول: إن إعلام الأزمة العربي مارس «التحكم الخضوعي» بطريقتين: مباشرة وغير مباشرة.

أما المباشرة، وهي الأكثر أهمية هنا، فهي خضوعه لإعلام الأزمة الغربي، واعتماده في مادته الإعلامية على ما تبثه وسائل الإعلام الغربية، وبخاصة محطة

---

(١) الأهرام،٦/١٠/١٩٩٣م، ص١.

«سي.إن.إن».. فقد انساق إعلام الأزمة العربي «انسياقًا شبه أعمى وراء الإدارة الإعلامية الأمريكية للأزمة، ينقل عنها نقلاً حرفياً كل ما تذيعه من أحداث وصور وأفلام، ليثبت عمق التبعية، وسيطرة الاحتكار، ونجاح الهيمنة، ووصول الاختراق إلى القلب والعقل العربيين، تحت إيقاع سريع».. كما كان يلجأ غالباً إلى استيراد الحجج الأمريكية، جاهزة معلبة، تماماً، جرياً وراء العادة العربية في استيراد المعلبات الجاهزة من أميركا والغرب، باعتبارها الأفضل والأجود والأسهل، في وقت لايبذل فيه العربي جهدًا للتفكير أو التدبير[1].

ويشير بعض الإعلاميين إلى هذه الحقيقة بكثير من الاستخفاف، قائلاً: إن الإعلام العربي نجح في الدخول إلى دائرة الإعلام الغربي عمومًا والأمريكي خصوصًا، خلال الأزمة وبعدها، بإرادته الحرة... وقد تكون هذه إحدى المرات القلائل التي مارس فيها الإعلام العربي إرادته الحرة قولاً وفعلاً «... إلا أن الحقيقة هي أن الإعلام الأمريكي والأوروبي، قد نجح نجاحًا لا يقل عن النجاح العسكري لقوات التحالف، في اختراق الإعلام العربي - بل الرأي العام العربي - اختراقًا هائلاً، منذ ما قبل أزمة الخليج الأولى، وخلال حرب عاصفة الصحراء، وما بعدها، وربما لأجيال قادمة»[2].

وأما الطريقة غير المباشرة، فهي سوقه للإنسان العربي، الباحث عن الحقيقة، والذي فقد الثقة في إعلامه بعد أن أصبح إعلاماً بلا مصداقية،

---

(١) صلاح الدين حافظ، «الإدارة الإعلامية لأزمة الخليج، ٣ من٣»، مرجع سابق، ص٩.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٩.

والذهاب به إلى الإعلام الغربي، وخاصة محطة «سي.إن.إن»، لإشباع حاجته للمعرفة والمعلومة وإملاء أوعيته الإعلامية.

### ٣- التحكم الرغائبي:

التحكم الرغائبي، مفهوم يراد به: ذلك النمط من التحكم الذي يتجاوز فيه المُتحكّم حدود التحكم في ما يملك إلى الرغبة بالتحكم في ما لا يملك.

وهو من أكثر أنواع التحكم، المنظورة، دقة في التعبير عن اضطراب «السبعد الفكري» للإعلام العربي في تعامله مع الأزمة.. فالمرء حين يتجاوز حدود ما يملك ويتطلع إلى التحكم فيما لا يملك فهو بذلك إنما يؤكد، من بعض الوجوه، حالة عجزه عن السيطرة وحسن التعامل مع ما يملك، أو يؤكد حالة فقدانه لما لا يملك أصلاً، لأنه لو كان يملك وكان هو في مستوى ما يملك لأدرك كيف يتعامل مع ما يملك.

ويعتبر «التحكم الرغائبي» إفرازًا طبيعياً لحالة الضيق بالرأي (الآخر)، التي تصيب مؤسسات الرأي الواحد، سواء على مستوى الإعلام أو على مستوى النظام السياسي الذي يعبر عنه.

فكثيراً ما أبدى النظام السياسي العربي، من خلال نظامه الإعلامي، رغبته في أن يُلجِم إعلامُ الأزمة الغربي، الذي يبصر وجهته ويعرف ما يريد، الرأيَ (الآخر) عنده، ويحكم القبضة والحصار حوله، داعياً في الوقت نفسه لتأديب الخارجين على منظومة التحكم «العربية».

وتتعدد النماذج والنصوص الصحفية الدالة على محاولات «التحكم الرغائبي» في إعلام (الآخر)، ويمكن الاكتفاء بمثالين:

## أ- مطالبة الحكومة البريطانية «بتأديب» القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية:

فقد كتب أحد أبرز الصحافيين وكتّاب الأعمدة العرب في عموده اليومي تحت عنوان: «الحياد الصوتي» قائلاً:

«...لاحظت ولاحظ غيري أن ثمة نغمة نشاز في إذاعة الـ"بي.بي.سي" أو القسم العربي في الإذاعة البريطانية... فهي منحازة بدرجة أو بأخرى للموقف العراقي المعتدي، ومنحازة بدرجة أو بأخرى ضد موقف الدولة المعتدى عليها، وضد الدول التي وقفت بجانب الحق والعدل!... إنني أعرف أن الإذاعة البريطانية هيئة مستقلة، وإنها ليست خاضعة لإشراف مباشر من وزير أو وزارة، ولكن المؤكد أن هذه الإذاعة تراعي المصالح البريطانية العليا ولا يحق لها الخروج في وقت الأزمات عن سياسة الدولة التي تتبعها والتي تنفق عليها...ومن المؤسف أن تفقد هذه الإذاعة مصداقيتها في أزمة ضخمة مثل اعتداء العراق على الكويت، خاصة وأن السياسة الإنجليزية المعلنة هي إدانة العدوان، وضرورة عودة الحق إلى نصابه... ولست أتصور أن تسكت الحكومة البريطانية عن إذاعة ظننتُ أنها لا تذيع من لندن ولكن من بغداد!!»[1].

وليس بعيداً عن ذلك، مع شيء من التحفظ، الموقف السعودي، الذي عبرت عنه صحيفة «الشرق الأوسط» في افتتاحية لها بعنوان: «افتقاد

---

(١) عبد الله باجبير، «الحياد الصوتي»، الشرق الأوسط، ٤٣٠٦، ١٩٩٠/٩/١٢م، الصفحة الأخيرة.

الصحافة للدقة يعني فقدان المصداقية» حول ما نشرته بعض الصحف البريطانية عن دور سعودي في تمويل انتخابات حزب المحافظين(1).

**ب- التصدي لمحاولات (الآخر) الغربي الكشف عن «البعد الفكري» للأزمة:**

ومن أبرز ما يرد في هذا الجانب، الجهود التي كان يبذلها إعلام الأزمة العربي لمحاصرة ونفي وتكذيب أي محاولة للكشف عن «البعد الفكري» الحقيقي للأزمة على مستوياتها كلها، حتى ولو كان هذا الكشف صادراً عن صناع الأزمة أنفسهم، من القادة والزعماء الغربيين..

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك: الجهدَ الذي بذله «الإعلام العربي» لنفي وتكذيب التصريح، الذي سبقت الإشارة إليه، والمنسوب للجنرال «شوارتزكوف»، الذي أكد فيه أن الحرب كانت من أجل إسرائيل.

(1) قالت الصحيفة: « عدم توخي الدقة في ما تنشره بعض الصحف البريطانية قد تؤثر على مصداقيتها لفترة طويلة... إن بعض الصحف البريطانية سقطت مصداقيتها، وإن الوهج الذي كان لها بدأ يخبو... وكان هناك دائماً تمايز بين الصحافة الرصينة والصحافة الشعبية، لكننا اكتشفنا في الفترة الأخيرة أن الصحف الرصينة صارت أكثر إثارة من الصحف الشعبية ... الملاحظ بكل أسف، أن نمطًا جديدًا طرأ على بعض الصحف البريطانية وهي تعالج الشؤون العربية وبخاصة منها الشأن السعودي، وهذا النمط الجديد يقوم، وببساطة، على الخفة والجهل، فكثير من الصحف الرصينة صارت تعتمد في كتاباتها على معلومات واردة من أشخاص لا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن الحقيقة ... إن الاتهامات التي ساقتها صحيفة "الجارديان" عن دور سعودي في تمويل انتخابات حزب المحافظين الأخير لا يمكن اعتبارها خطأ سياسيًا فقط، بل خطأ مهنيا لا يليق بصحيفة مثلها... إن سبب الوقوع في هذه المطبات والمغالطات هو السماح لصحافيين غير ملمين تمام الإلمام بما يكتبون، بأن يغوصوا في أعماق قضايا كبرى ومشاكل حساسة ذات تأثير وخطورة»، الشرق الأوسط، ١٩٩٣/٦/٢٥م، العدد ٥٣٢٣، ص١١.

فقـــد كتبت صحيفة «الحياة» تقريراً من مكتبها في واشنطن، احتل نحو ربـــع صفحة في صفحتها الأولى، إضافة إلى بقية له في الصفحة الرابعة، تنفي وتكذب هذا التصريح، واصفة المقابلة «بالمزورة»، و«الملفقة»، و«المزعومة». وتكررت صفة «المزعومة» وحدها نحو عشرة مرات.

وحاولـــت الصـــحيفة أن تُدخل حديث الجنرال «شوارزكوف»، الذي وصـــفته أيضاً «بالحديث غير الموجود»، في خانة ما أسمته «الإعلام المضاد في إطار حرب الإعلام المضلل»، دون أن تضع في اعتبارها أنه قد ظهر حول هذا الحديـــث، كمـــا قالـــت هي نفسها، «عدد كبير من المقالات في الصحف الأمريكـــية، لا بـــل عمم وثيقة رسمية من وثائق مجلس الأمن بناء على طلب الوفـــد العـــراقي، وعممـــت في مقـــابل ذلك وثيقة رسمية أمريكية- وليس إسرائيلية- تنفي حصول المقابلة وتعتبرها عملاً ملفقًا»[1].

---

(١) كـــان ممـــا جـــاء بالصحيفة: « يتفق الجميع على أمر واحد في القضية التي تشبه المسلسلات البوليسية، ويختلفون على الباقي .. وما تتفق عليه الأطراف المختلفة، سواء في الولايات المتحدة أو في الأمم المتحدة أو في الشرق الأوسط، هو أن الجنرال نورمان شوارتزكوف رئيس القيادة المركزية لم يعط مراسلة إذاعة الجـــيش الإسرائيلي في واشنطن أي حديث، وعلى رغم ذلك ظهر حول هذا "الحديث غير الموجود" عدد كبير من المقالات في الصحف الأمريكية، لا بل عمم وثيقة رسمية من وثائق مجلس الأمن بناء على طلب الوفـــد العراقي، وعممت في مقابل ذلك وثيقة رسمية أمريكية تنفي حصول المقابلة وتعتبرها عملاً ملفقًا.. والقضية.. قضية المقابلة الملفقة للجنرال شوارزكوف تدخل في خانة ما يسمى "الإعلام المضاد" في إطار حرب الإعلام المضلل»، انظر: الحياة،العدد ١٠٣٨٥، ١٣/٧/١٩٩١م، ص١.

# التوليد التواصلي والعطاء الإعلامي

## نظريّة «صِدام الحضارات» أنموذجًا

# الأوعية التواصلية
# في نظرية «صدام الحضارات»

كـــان من الطبيعي أن يشهد مطلع الربع الثاني من حقبة تسعينيات القرن العشـــرين، بعـــد الإعلان عن انتهاء الحرب الباردة وتفكك منظومة الاتحاد الســـوفييتي، حراكاً ثقافياً وجدلاً فكرياً واسع النطاق على المستويات كافة، الإقليمـــية والعالمية، في محاولة للقراءة والفهم والاستيعاب والتفسير والإجابة عمـــا طرحته الأحداث من تساؤلات، ومن ثمّ محاولة إبصار صورة المستقبل واستشراف آفاقه المحتملة والممكنة.

ولعـــل مـــن أعلى إيقاعات هذا الحراك ذلك الأثر المباشر الذي أحدثته رؤيـــة- نظرية «صدام الحضارات The Clash of Civilizations»، للمفكر الاستراتيجي الأميركي «صمويل هنتنغتون»، التي ظهرت لأول مرة في مقال، بالعـــنوان نفسه، نشرته مجلة شؤون خارجية «Foreign Affairs» الأمريكية في عددهـــا الصـــادر في صـــيف ١٩٩٣م، أعقبته المجلة، في عدديها التاليين (ســـبتمبر/ أكـــتوبر ١٩٩٣، ونوفمبر/ديسمبر ١٩٩٣م)، بنشر مجموعة من الإســـهامات لنخـــبة من أبرز المفكرين والمحللين، المسلمين والغربيين، تناقش

جميعها النظرية، وتبدي حولها الكثير من الآراء والملاحظات، وترد بعض حيثياتها وتدفع شيئاً من استنتاجاتها[1].

يضاف إلى ذلك الأثر الواسع الذي أحدثته، وتردد صداه على مستوى وسائل الاتصال والإعلام المختلفة، خاصة في كثير من المجلات والصحف، العالمية والعربية وغيرها.

ويمكن اعتبار هذه النظرية، التي تزامن طرحها مع الإطار الزماني للبحث التطبيقي، في القسم الثاني من هذا الكتاب، أحد الأنماط وأبرز النماذج الفكرية الحديثة التي يتجلى في خطابها أثر «البعد الفكري» في ما يمكن أن يطلق عليه: «التوليد التواصلي» و«العطاء الاتصالي»، كما يتجسد فيه معاني «التوجيه والتحكم» التي يمكن أن تتحصل من مثل هذا الخطاب «الإعلامي»، الذي يحاول أن يبصر الحاضر بكل تفاعلاته وتداعياته، ويستشرف المستقبل ويستطلع آفاقه، ويسعى للمداخلة في السنن والقوانين الاجتماعية المحركة لعجلة سيره، سعياً للتحكم في الوجهة وضبط مساراتها، حتى تتحقق النتائج المبتغاة.

---

(١) من أبرز الذين اشتركوا في مناقشة طروحات هنتنغتون ممن نشرت آراؤهم في المجلة: كيشوري محبوبانسي وكيل وزارة الخارجية، وعميد كلية الخدمة المدنية في سنغافورة، والممثل الدائم لبلاده في الأمم المتحدة من١٩٨٤ إلى ١٩٨٩م؛ وفؤاد عجمي من معهد الدراسات الدولية في جامعة جونز هوبكنز الأميركية؛ وجين كيركباتريك، الأستاذة في علوم الدولة في جامعة جورجتاون والزميلة في معهد المشاريع الأمريكي؛ وروبرت بارتلي، محرر صحيفة «وول ستريت جورنال»؛ وليو بنيان مدير برنامج جامعة برنستون حول المبادرة الصينية؛ وغيرهم؛ المنتدى، «صراع الحضارات»، نشرة **منتدى الفكر العربي بعمان**، المجلد الثامن، العدد ٩٩، كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٣م، ص١٣-١٩.

فهـــذه الرؤية- النظرية، تعتبر، في ما أرى، خطاباً ثقافياً من العقل الغربي المتحكّم إلى العقل العالمي، وبخاصة العربي المسلم، المراد التحكّم به، ونمطاً من الـتفكير الاسـتراتيجي المرتكز إلى قيم العقيدة التي تشكل روح الحضارة، ومحاولـة جريئة لإعادة قراءة الواقع الحضاري على المستوى العالمي في ضوء المعطيات الجديدة، وطرح إطار نظري جديد وأنموذج حضاري متجدد، يراد لـه أن يسـود كـبديل عن أنموذج الحرب الباردة، الذي أصبح، كما يرى «هنتنغتون»، عاجزاً بصورة متزايدة عن تفسير الحقائق الجديدة أو التي برزت حديثاً. إذ لم يستطع، على مدى أربعين عاماً، كان الدارسون والممارسون في مجـال العلاقات الدولية يفكّرون ويتصرفون خلالها في إطار صورة للشؤون الدولية عالية التبسيط، أن يُفسر كل شيء يقع في مجال السـياسة العالمية[1]، ممـا دفـع للتفكير في معيار جديد ورؤية جديدة، تحل محل الأنموذج القديم، بحيـث يكـون قادراً على تفسير الحقائق بطريقة أكثر مدعاة للرضا، وأكثر بصارة بالمستقبل، في ضوء استشراف الماضي والإحاطة بمكونات الحاضر.

ويقـدم «هنتنغتون» خطاب العقل الغربي من خلال أنموذجه بكثير من الاعـتزاز والتباهي بأنه الأنموذج الذي «يوفر أفضل من أي بديل آخر، نقطة بدايـة نافعـة لفهم التغيرات الجارية في العالم ومواجهتها»، انطلاقاً من أن «الـنهج الحضـاري» هو القادر على أن «يُفسر الكثير وينظم الكثير» من التشـويش، الـذي له طنين مدوٍ «الناشئ في عالم ما بعد الحرب الباردة»..

(١) صمويل هنتنغتون، «إن لم تكن الحضارة، فماذا تكون؟» في: «صدام الحضارات»، مرجع سابق، ص٧٧.

ولذلك تميزت ردوده على منتقديه بمزيد من تأكيد هذا المعنى، الذي عبر عنه متسـائلاً: هل يستطيع أي نموذج آخر أن يحقق ما هو أفضل من ذلك ؟ إن لم تكن الحضارات، فماذا؟[1].

ويعـتقد «هنتنغـتون» أن السمة «الحضارية» لأنموذجه، هي السبب الكـامن وراء استحواذه على مثل هذا القدر من الاهتمام، الذي حظي به، وإثارتـه لمـثل هـذا القـدر من الجدل عبر العالم[2].. ويكتسب خطاب «هنتنغـتون»، إضافة إلى ما سبق، أهمية خاصة في هذا الكتاب- البحث، تتصل بموضوعه وأنموذجه.

فإن جاز لي القول: بأن هاجسي الثقافي الدائم وجهدي الفكري المستمر أصـبح يـتمحور، منذ فترة ليست بالقصيرة، حول االنظر في حقيقة وأبعاد «السـبعد الفكـري»، والجذر الحضاري «للإشكالية» الإنسانية بشكل عام و«إشـكاليات» المجتمع السوداني والعربي المسلم بشكل خاص، و«الإشكالية في جـنوبي السـودان» بشكل أخص، في محاولة للاقتراب من إمكانية إيجاد تفسـير «للإشـكاليات» بعامة، ولهذه «الإشكالية» بخاصة، وقد مضى على تفجـرها- في مظهـرها العسكري- أكثر من أربعين عاماً، فشلت خلالها مخـتلف التصـورات والرؤى والنماذج - ومن بينها أنموذج الحرب الباردة نفسه، الذي تطورت وتصاعدت في مناخه - في توفير تفسير مقبول أو طرح

---

(١) المرجع السابق، ص٨٧-٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص٨٣.

حـــل يعالج أسبابها وتداعياتها ويوقف حالة الاحتراب والدمار، يمكنني القول أيضـــاً: بأنه لم يكن من الممكن تجاوز هذا «الخطاب» الغربي وهذه «الرؤية» الحضـــارية، ووجدت نفسي أمام تساؤل أراه ينطوي على كثير من الأهمية، يرتكـــز في بعض جوانبه على ما قدمه «هنتنغتون» من فرضيات وحيثيات، لتأكيد وتدعيم وجهة نظره، وهو:

إذا كان التفسير الحضاري، أو «النهج الحضاري»، كما يؤكد صاحب الـــرؤية، هـــو القادر على أن «يُفسر الكثير وينظم الكثير» مما يقع في مجال السياســـة العالمية، فهل يمكن أن توفر المقاربة من هذا التفسير الحضاري قدراً مقـــبولاً من التفسير «للإشكالية»، التي تستند في كثير من جوانبها وتعقيداتها على خلفية غربية في الوقت نفسه الذي تعكس فيه رؤية «هنتنغتون» منظوراً غربياً، يستند على الخلفية نفسها التي صُنعت بها وفي إطارها «الإشكالية»؟

وبمعـــنى آخر، ما هي إمكانية أن يجد المرء في التفسير الحضاري، والنهج الحضـــاري، قدراً من التفسير لأسباب نشأة «الإشكالية» واستمراريتها على مدى السنين والعقود؟

وبمعنى ثالث: إلى أي مدى يمكن وضع «الإشكالية في جنوبي السودان» في إطـــار الســـياق الفكـــري لنظرية صدام الحضارات؟ وهل يمكن توظيف الـــنظرية، التي تعتبر ثمرة لبعد فكري ونهج حضاري، والإفادة منها في توليد رؤية فكرية خاصة تمكن من إبصار «الإشكالية» على هيئتها الحقيقية؟

وإذا كان ذلك مما أفردت له كتاباً خاصاً آخر[1]، إلا أن المقاربة هنا مع رؤية «صمويل هنتنغتون»، التي تجسدت في نظرية «صدام الحضارات» تكتسب أهميتها بالنظر إلى ما أراه من أنها تعتبر أنموذجاً للإنتاج والعطاء، أو ما يمكن أن يطلق عليه: «إمكان التوليد التواصلي والعطاء الإعلامي»، الذي يتأتى ثمرة طبيعية للتمكن من «البعد الفكري» المعطاء لكل من يتوفر عليه.. كما تكتسب أهميتها بالنظر إلى اعتبارات أخرى، تتصل بالرؤية ذاتها، وطبيعة الخطاب وموقعه من العملية الاتصالية، من ذلك:

- إنها تعتبر من أفضل أنماط الخطاب الإعلامي الغربي، تواصلاً واتصالاً، التي تجلى فيها «البعد الفكري»، بأبعاده وتأثيراته التوجيهية والتحكمية وغيرها.
- إنها من أحدث الرؤى الغربية، وأكثرها جدية، وأعمقها أثراً، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق، وانتهاء حقبة الحرب الباردة.
- إنها تعبير واضح لا لبس فيه عن فلسفة الصراع في الحضارة الغربية، وفكرة افتراض العدو الدائم، بحيث إذا لم يكن هناك عدو فالضرورة تقتضي صناعة عدو، لما لذلك من أثر في التعبئة والتوحد والحذر والإعداد.. ومن هنا صنع الغرب من الإسلام «العدو البديل» بعد سقوط منظومة الفكر الشيوعي.
- إنها امتداد لرؤية الصراع الحضاري التاريخي، الذي لم ينطفئ بعد بين الإسلام والصليبية، ولكن بمبررات جديدة، وصور وإخراج جديد.

---

(١) انظر: خلق المشكلات: جنوبي السودان أنموذجاً،الطبعة الأولى (بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤م).

## * التواصلية والاتصالية في نظرية «صدام الحضارات»:

ومـن هـنا، يتم التعامل مع نظرية «صدام الحضارات»، في واحد من أكثر أبعادهـا اقتراباً من الإطار النظري العام للبحث، في هذا الكتاب، باعتبارها أنموذجـاً يتجلى فيه المـدى الذي يمكن أن يبلغه من يتحقق برؤية شـاملة، أو «بعـد فكـري»، إنتاجاً وإبداعاً وتوليداً تواصلياً، وعطاءً فكرياً، يشكل مضموناً اتصالياً ومحتوى لوسائل الاتصال على مستوياتها كافة.

وفي ضـوء ذلـك، يمكن وصف النظرية بأنها: تواصلية الوسيلة، اتصالية الرسـالة، استناداً إلى كونها خطاباً عالمياً، من الحضارة المهيمنة المتحكمة إلى بقـية الحضارات ومختلف الثقافات، اختار له صاحبه «القائم بالاتصال» لغة «الأفكـار» وسـيلة اتصـال وأداة تبليغ، في إطار ما يمكن أن يُطلق عليه: «الأوعية التواصلية للنظرية.

### – تواصلية الوسيلة:

التواصلية، مفهوم يراد به هنا: معاني التفاعل مع (الآخر)، وقوة الفعالية، والمقـدرة عـلى التأثير.. وأما الوسيلة فهي الأدوات والأوعية والأقنية التي يـتحقق باسـتخدامها التواصل والتفاعل مع (الآخر).. وقد تجسدت هذه التواصلية في أمرين :

الأول: مـا تولـد عـن رؤية «هنتنغتون» من توليد تصورٍ لنمطية من التواصل المستقبلي بين الثقافات والحضارات المختلفة.. حيث افترض ابتداءً أن المستقبل سيشهد نوعاً من التواصل بين الشعوب والأمم على الخطوط الفاصلة بـين الحضـارات، التي سوف تكون خطوطاً لمعارك وصراعات ونزاعات،

مؤكـــداً أن المصدر الأساس للنـــزاعات لن يكون أيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول، كما كان في ظل أنموذج الحرب الباردة، وإنما ثقافياً(١).

الـــثاني: حالة الحراك الثقافي التي أحدثتها النظرية على كافة المستويات، فأثـــارت واستفزت واستنفرت وحركت جموع المفكرين والمحللين والباحثين والإعلاميين على مستوى العالم، فالتقوا على موائد الحوار الحضاري والجدال الفكري و التفاكر الثقافي، مباشرة أو من خلال وسائل الاتصال.

**- اتصالية الرسالة:**

الرســـالة، عند أهل الاختصاص، هي المعنى أو الأفكار المضمنة في قالب ووعاء يحتويها ويجسدها، ويريد المصدر نقلها إلى المستقبل، فهي نتاجه العقلي والسلوكي، الذي تتوقف عملية استجابة المتلقي له على مدى الكفاءة التي يتم بها إتقان الرسالة ومعالجة النتاج(٢).

أما الاتصالية المقصودة هنا، فهي البعد الذي تحقق بهذه النظرية، الرسالة، في مجال الاتصال. فقد شكلت، هي وصاحبها، مادة وحدثاً، وولدت محتوى شُغلت به وسائل الاتصال على اختلاف مستوياتها ونوعياتها وأيديولوجياتها، ســـواء في ذلـــك من ينقدها ومن يؤيدها، فقد بقيت هي المحور الذي دارت حولـــــه الحركة الثقافية.. فهي وإن بدت وكأنها تعبر عن نمط من الاتصال الـــثقافي والفكـــري، إلا أنها تعبر في جانب آخر منها عن شكل من أشكال الاتصال السياسي، الذي يعني، في بعض مفهوماته، استخدام الدول لأساليب الاتصـــال والإعـــلام اللازمـــة للتأثير على السلوك السياسي وردود الفعل

---

(١) صمويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) سعيد إسماعيل صيني، مرجع سابق، ص١٣٩؛ محمد سيد محمد، **المسؤولية الإعلامية في الإسلام**، ط ٢ (الجزائـــر:المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م) ص٢٦-٢٧؛ عمارة نجيب، **الإعلام في ضوء الإسلام** (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٠هـ) ص١٦٤.

للجماهير في الدول الأخرى[1]، فهي ترتبط من حيث الوجهة والمضمون بتوجهات الدولة.. إلا أنها، مع ذلك، استطاعت أن تحقق اتصالية رسالتها على مختلف المستويات، من غير تعارض أو تضاد.

غير أن هذه الاتصالية تبدو أكثر وضوحاً بوضع النظرية في السياق النظري للعملية الاتصالية، بعناصرها المعروفة، التي تدور حول الإجابة عن: من الذي يقول؟ وما الذي قيل؟ وبأي وسيلة؟ ولمن؟ وما هو تأثير ذلك؟[2] ومتى قيل؟.. فإذا تجاوزنا «ما الذي قيل»، باعتبار أنه هو مضمون «النظرية» الذي سيتم تناول جوانب من أبرز مرتكزاته في أكثر من موقع، فإن أركان العملية الاتصالية في النظرية تتجلى في ما يأتي:

### أ- مصدر الرسالة (القائم بالاتصال.. من؟):

يعتبر «صمويل هنتنغتون»، من خلال رؤيته التي تعاملت معها وسائل الاتصال كحدث يستحق التغطية الإعلامية، هو مصدر الرسالة، أو «القائم بالاتصال»، الذي قام بإرسال مجموعة من الأفكار والمعاني إلى الآخرين.

### ب- وسيلة الإعلام والنشر (بأي وسيلة؟):

تعتبر وسيلة النشر، بشكل عام، من أهم الأدوات التي يمكن من خلالها تقدير قيمة ومستوى المادة الاتصالية.. ويتجلى ذلك بوضوح في هذه النظرية، حيث كان لطبيعة الوسيلة التي طُرحت من خلالها أثرها في إبرازها وتسليط الأضواء عليها وتأكيد أهميتها.. فقد ظهرت النظرية لأول مرة، في مقال تولت أمر نشره مجلة اشتهرت بتوفرها على«بعد فكري» تميزت به على غيرها من مثيلاتها الغربيات عموماً، وهي مجلة «فورن أفيرز»، أو «شؤون

---

(١) أحمد بدر، الإعلام الدولي: دراسات في الاتصال والدعاية الدولية،ط٤ (القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م) ص٢٥.

(٢) فاطمة القليني وآخرون، مرجع سابق، ص٣١١-٣١٢؛ محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص٢٦.

خارجية»، الفصلية الأميركية النافذة، المعروفة على نطاق واسع بأنها مرآة تعكس التفكير السياسي الأمريكي الجاد.. لذلك نُظر إلى المقال على أنه ربما أعطى بهذا النشر من خلال هذه المجلة إشارات إلى التوجهات المستقبلية للسياسة الأمريكية.. فقد اعتادت المجلة أن تقدم أفكارًا جادة يجري تنفيذها بعد سنوات، أو على سنوات.. ولا يقلل من أهميتها أو يضيرها ما قد يراه بعض المراقبين من أن الأفكار التي تعرضها قد لا ترى النور كلها[1].

### ج- وجهة الخطاب (لمن؟):

طُرحت النظرية بالدرجة الأولى، كخطاب عالمي، من الحضارة المهيمنة «المتحكمة» إلى الحضارات الأخرى، وخاصة الحضارة الإسلامية التي اختيرت لتكون «العدو البديل»، بعد سقوط منظومة الفكر الشيوعي، بتفكك الاتحاد السوفييتي السابق والكتلة الاشتراكية.. لكنها في الوقت نفسه كانت خطاباً داخلياً، موجهاً «لإنسان الحضارة الغربية» وللعقل الغربي ذاته، لإدراك أسباب السقوط واستدراك عوامل الانهيار قبل أن يقع، بعد أن بدت بوادره تلوح في أكثر من أفق. وقد أكد «هنتنغتون» نفسه هذا المعنى، وهو يجيب عن تساؤلات بعض المثقفين حول أغراض النظرية، قائلاً:

«ما أود أن أحققه هو خلق وعي وإدراك بين جميع الناس، بأن هناك ميزات حضارية متعددة في العالم الذي سنعيش فيه في المستقبل. وهذه هي المرة الأولى بالفعل في التاريخ الإنساني سوف يكون فيه عالم له صفات حضارية مستعددة، ونجد فيه علاقات معقدة بين حضاراته الأساسية، عالم تصبح فيه القوة النسبية للحضارات متساوية إلى حد ما، لأن قوة الغرب

---

(١) جهاد الخازن، «عيون وآذان»، **الحياة**، العدد ١١٤١٥، ١٩٩٤/٥/١٩م، الصفحة الأخيرة.

بالمقارنـــة مـــع الحضـــارات الأخـــرى، تتقلص بالتأكيد، نظراً لأن شعوب الحضـــارات الأخـــرى تطور وتزيد من ثروتها الاقتصادية ووعيها الحضاري وتـــريد أن تلعب دورًا أكبر في الشؤون العالمية. وأنا أمل أيضًا أن تدفع هذه الـــتحولات في العـــالم، قادة الغرب والرأي العام في الغرب لأن يدركوا أن الحضـــارة الغربية ليست الحضارة الوحيدة في العالم، وبأن الجهود الرامية إلى جعل القيم والمؤسسات الغربية عالمية، قد تؤدي إلى تدمير الاستقرار العالمي، لأن شـــعوب الحضـــارات الأخـــرى تشـــعر بأنها في خطر من جراء هذه الطـــروحات الـــتي تعكس مشاعر الغطرسة في الغرب، وأنا أمل أن تساهم كتاباتي في خلق مثل هذا الوعي»[1].

فالـــنظرية خطاب على مستوى الذات و«الآخر» في آن واحد، وذلك لتلازم الأمرين في المعيار الحضاري.

**د- اختيار الوقت المناسب (توقيت النشر.. متى؟):**

يُردّ تأثير الاتصال، في جوانب عديدة منه، إلى الظروف والأحوال التي تتم في كـــنفها عملية الاتصال بعناصرها المختلفة[2]. ومن ذلك الوقت أو التوقيت الـــذي يختـــاره القائم بالاتصال.. والنظرية بنت بيئتها، ووليدة ظرفها والوقت الـــذي طرحت فيه، حيث كان للمُعْطَى الزماني دوره وأثره في إنضاج الرؤية ومـــنح الشـــجاعة على بثها، مما أضفى عليها قدراً من الأهمية والاهتمام الذي حظيت به على المستوى العالمي.. ويلمح ذلك في أمرين :

**الأول:** أن الـــنظرية طُرحت مع انتهاء حقبة الحرب الباردة، التي بدأت

(١) هشام ملحم، «صمويل هنتنغتون يتحدث لـــ: القبس عن كتابه الجديد- القديم»، **القبس الكويتية**، ١٩٩٦/١٢/٧م، العدد٨٤٢٨، ص٢٨.

(٢) أحمد بدر، **مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والإعلام الدولي**، مرجع سابق، ص٢٣٩.

عندما قسم الستار الحديدي أوروبا سياسياً وأيديولوجياً، وانتهت مع انتهاء هذا الستار[1]. وهو حدث كان كبيراً بكل المقاييس، مما استدعى إعادة القراءة للعالم وطرح أنموذج جديد.

وتتميز الحقبة الجديدة في سيرورة التاريخ الإنساني بأن الجماعات التي تجمع بينها ثقافة مشتركة أخذت تتغلب تدريجياً على الخلافات الإيديولوجية بينها، وأن خطوط الانقسام بين الحضارات أخذت تحل محل الحدود السياسية والأيديولوجية للحرب الباردة، باعتبارها نقاط تفجر الأزمات والمذابح. ومهد اختفاء الانقسام الأيديولوجي لأوروبا، السبيل لمعاودة الانقسام الثقافي بين المسيحية الغربية من ناحية، والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام، من ناحية أخرى، للظهور.. وحل بذلك الستار المخملي للثقافة محل الستار الحديدي للأيديولوجية، باعتباره أهم خط للتقسيم في أوروبا[2].

**الثاني**: أن النظرية طُرحت في وقت ساد فيه العواصمَ الغربية الأساس إحساسٌ عميق بالقلق تجاه المستقبل، بعد الزلزال السياسي والفكري الذي أحدثه السقوط الشيوعي والانبعاث الإسلامي، ذلك أن «الثقة بأن الغرب سيظل قوة مسيطرة في القرن الحادي والعشرين، مثلما حدث في القرون الأربعة أو الخمسة الماضية، تُخلي مكانها لإحساس بنُذُر الشر من أن قوى مثل الإسلام الأصولي المنبعث، ونهوض شرق آسيا وانهيار روسيا وأوروبا الشرقية، قد تشكل تهديداً حقيقياً للغرب»[3].

---

(١) صمويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، مرجع سابق، ص٢٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) كيشوري محبوباني، «أخطار التفسخ»، في: «صدام الحضارات»، المرجع السابق، ص٥٧.

وقـــد أدى الإدراك لهذا الإحساس الذي يسود العواصم الغربية، ببعض منتســـبي الحضـــارات الأخرى، إلى رؤية النظرية كنوع من «الدق لناقوس الخطر»، وتعبير عما ترمي إليه استراتيجية الفكر السياسي الغربي في مثل هذه الحـــالات، مشـــيرين إلى أن المفكرين السياسيين في الغرب اعتادوا أن يدقوا ناقوس الخطر كلما ازدادت مخاوفهم من بزوغ قوى جديدة تنافسهم، ليبرروا لأنفسهم ولشعوبهم أعمالاً تتنافى مع أخلاقيات وقيم الفكر الغربي(١).

والتاريخ منذ الحروب الصليبية مليئ بالأمثلة والمسوغات على الأطماع الغربية ومحاولات الهيمنة على الشعوب. وبعد زوال الخطر الشيوعي، شرع بناة السياسة الغربية في تجسيد مخاوف، تارة بحجة الأصولية الإسلامية، وتارة أخرى بحجة تحالف الحضارة الإسلامية والكونفوشية(٢). لذلك ساد اعتقاد بـــأن الغـــرض الرئيس من المقال، توعية الرأي العام الغربي بتصورات باقي العالم (٣) . فهو، كما أسلفت، خطاب إلى «إنسان الحضارة الغربية»، قبل أن يكون خطاباً إلى «إنسان الحضارات» الأخرى (٤).

**هـــ – تأثير الرسالة:**

يكفي للتعرف على التأثير الذي أحدثته الرسالة، النظرية، العودة إلى ما سبقت الإشارة إليه عن حـــالة الحراك الثقـــافي التي نشـــأت عنها، وما حظيت به من تغطية واسعة النطاق في مختلف وسائل الاتصال، على مستوى العالمي.

---

(١) المنتدى، «صراع الحضارات»، مرجع سابق، ص١٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) كيشوري محبوباني، «أخطار التفسخ»، مرجع سابق، ص٥٧.

(٤) انظر ما سبق عن وجهة الخطاب.

# ملامح «البعد الفكري»
# في نظرية «صدام الحضارات»

يتجلى«البعد الفكري» في نظرية «صدام الحضارات» في كل جزئية من جزئـياتها، وفي كل عنصر من مكوناتها، كما يتجلى في كل رد فعل حولها، سـلباً كـان أم إيجاباً.. إلا أن هناك مداخل ثلاثة، يمكن أن تشكل أكثر من غيرها نوافذ فكرية كاشفة، لكثير من الملامح والمؤشرات الدالة على ما تتوفر عليه النظرية من«بعد فكري».. وهي:

- الإمكانات والمنطلقات الفكرية لصاحب النظرية.
- المرتكزات الفكرية للنظرية.
- اضطراب «البعد الفكري» لدى «الآخر» الحضاري.

## *المدخل الأول:الإمكانات والمنطلقات الفكرية لصاحب النظرية:

«الـبعد الفكري»، كما سبقت الإشارة، إمكان، وملكة، واكتساب.. وصـاحب نظرية «صدام الحضارات» مفكر يتوفر على كثير من الإمكانات والملكـات، الموهوبـة والمكتسـبة، التي أهلته لتبوء مواقع أكاديمية وفكرية واستراتيجية تعتبر مرموقة عالمياً.

وقـد استطاع، بهذه الإمكانات والملكات، أن يوظف المواقع الأكاديمية التي يشغلها والمؤسسات الفكرية والاستراتيجية التي يتولى أمر قيادتها ويضطلع بمسـؤولية إدارتهـا وتوجيهها، لترجمة ما يؤمن به من منطلقات إلى أهداف

ووسائل، وما يعتقده من أفكار وقيم إلى أفعال وممارسات، وأن يصل بذلك إلى المستويات كافة.

فهو أستاذ للعلوم السياسية بجامعة «هارفارد» الأميركية، ومدير لمعهد الدراسات الاستراتيجية في الجامعة نفسها، ومدير لأكاديمية «هارفارد» للدراسات الدولية والإقليمية. وكان قبل التحاقه بجامعة «هارفارد»، يعمل في إدارة الرئيس الأسبق «جيمي كارتر» مسؤولاً عن التخطيط في مجلس الأمن القومي.. وهو من مؤسسي دورية «فورين بوليسي، أو السياسة الخارجية» ومن المشاركين في رئاسة تحريرها.. كما يرأس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية.. وله مؤلفات وكتب كثيرة، ودراسات في المجلات الدورية، ربما كان من أهمها على الإطلاق هذا المقال الذي كتبه في دورية «فورين أفيرز» عن «تصادم الحضارات»، وهي الدراسة التي جعلته مشهوراً، وزادت من اهتمام المفكرين به، وخاصة العرب والمسلمين، بسبب أن الدراسة وضعت المسلمين في قفص الاتهام[1].

وقد ساقه هذا الاهتمام، وهذا النجاح، إلى تحويل دراسته إلى كتاب بعنوان: «صدام الحضارات والنظام العالمي» نقله إلى العربية عدد من المترجمين العرب.

وترى دار «سايمون اندشوستر»، التي صدر عنها الكتاب عام ١٩٩٦م، في نيويورك، أن «هنتنغتون» أصبح في أهمية «جورج كنان»..فمثلما أكد

---

(١) محمد على صالح، «حديث خطير يكشف فيه هنتنجتون عن آرائه بصراحة»، المجلة٢، ١٣/٤/١٩٩٧م، العدد٨٩٦ ، ص٢.

«كيـــنان»[1] من قبل بأن العالم لن ينتهي بانتهاء النازية، يؤكد «هنتنغتون» الـــيوم بأن «التاريخ لم ينته»[2] بانتهاء الحرب الباردة واختفاء الشيوعية، وأن حضارات العالم الثالث ستشكل الخطر الجديد على الحضارة الغربية.

لذلـــك، ذهـــب كثير من المفكرين والباحثين إلى القول: بأن «صمويل هنتنغـــتون» بهذا الكتاب قد دشن الصراع بين الشرق والغرب، أو أنه جعل الغـــرب في مواجهة مع الإسلام بصورة خاصة والحضارات الشرقية العريقة كافة بصورة عامة[3].

## * المدخل الثاني: المرتكزات الفكرية للنظرية:

يعتبر هذا المدخل أهم المداخل، لأنه هو محل «التوليد التواصلي» المقصود الذي يكشف عن حقيقة «البعد الفكري» الذي أثمره وأنتجه. ويشتمل على أربعة مرتكزات أساس:

-الأول: الفرض الرئيس للنظرية.

- الثاني: البعد الثقافي للحضارة.

- الثالث: محددات الحضارة.

- الرابع: الدين في إطار النظرية.

---

(١) جورج كينان، الدبلوماسي والأستاذ الجامعي الأمريكي الذي وضع نظرية احتواء الشيوعية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وتنبأ فيها بأن القضاء على النازية ليس نهاية المشاكل العالمية، وأن الشيوعية ستصبح الخطر الجديد، وأنها ستهدد الغرب ولابد من احتوائها، بتأسيس أحـــلاف عسكرية تحيط بالاتحاد السوفييتي ووضع خطط لمنع انتشار الشيوعية في الدول الغربية ودول العـــالم الثالث،محمد على صـــالح، مرجع سابق، ص٢.

(٢) صمويل هنتنغتون،«إن لم تكن الحضارة، فماذا تكون؟»، في: «صدام الحضارات»، مرجع سابق، ص٨٧.

(٣) أميمة عبد اللطيف،«صمـــويل هنـــتنغتون في حوار خاص»،**الخـــليج**، ١٩٩٨/١/٢٢، العدد٦٨٢٢،ص٤٧.

## - المرتكز الأول: الفرض الرئيس للنظرية:

يعتـــبر الفرض الرئيس للنظرية من أبرز مكوناتها وأهم محاورها التي تعبر عن مضمونها الفكري، فهو الخلاصة، والعمود الفقري الذي قام عليه بنيانها، بكل جزئياتها وعناصرها.

ويتـــلخص الفرض، كما صاغه «هنتنغتون»، في أن: «المصدر الأساس للنـــزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدراً أيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول. فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنـــزاع سيكون مصدراً ثقافياً، وستظل الدول/ الأمم هي أقوى اللاعبين في الشـــؤون الدولية، لكن النـــزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بـــين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات عـــلى السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل»[(١)].

## - المرتكز الثاني: البعد الثقافي للحضارة:

تشكل الثقافة، على حد تعبير مالك بن نبي رحمه الله، المحيط الذي يعكس الحضارة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر[(٢)]. لذلك كان طبيعياً أن تحـــتل المســـألة الثقافـــية، والعلاقة بين الثقافة والحضارة، مساحة عريضة في

---

(١) صمويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) مـــالك بن نبي، **شروط النهضـــة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط ٣ (بيروت: دار الفكر، ١٩٦٩م) ص١٢٦.

حيثيات نظرية «صدام الحضارات»، وتشغل حيزاً ملحوظاً في تفكير «هنتنغتون»، وما انتهى إليه، كما تكشف عن جانب من المضمون الفكري لهذه النظرية.

فهو حين يتعامل مع الحضارة، يتعامل معها باعتبارها «كياناً ثقافياً»، و«أعلى تجمع ثقافي للناس، وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب»[1].. وحين يتأمل في الحضارات المختلفة يخلص إلى أنها كيانات هادفة.. دينامية.. تزدهر وتنهار، وتنقسم وتندمج.. تمتزج وتتداخل، وقد تتضمن حضارات فرعية.. كما أنها تختفي وتدفن في رمال الزمن[2] .

وتكتسب الهوية الثقافية أهمية متزايدة، عنده، بالتفاعل في المستقبل، الأمر الذي انتهى به إلى القول: بأن الشكل العام لعالم الغد سيكون مرتبطاً إلى حد كبير بالتفاعل بين سبع أو ثماني حضارات كبيرة تشمل الحضارات الغربية والكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية والسلافية الأرثوذكسية والأمريكية اللاتينية، وربما الإفريقية.. وإن أهم النزاعات في المستقبل ستحدث على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التي تفصل هذه الحضارات الواحدة عن الأخرى.. ذلك أن الخصائص والفروق الثقافية، بين الحضارات، أقل قابلية للتبديل، ثم أقل قابلية للحلول الوسط والتسويات، من نظيرتها السياسية والاقتصادية[3].

---

(١) صمويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢١،١٩.

## – المرتكز الثالث: محددات الحضارة:

تعتبر محددات الحضارة، من أهم مضمونات نظرية «صدام الحضارات».. ذلك أن العالم اليوم، كما يرى«هنتنغتون» أصبح عالم التجمعات المتداخلة من الدول التي يجمع بينها، بدرجات متباينة: التاريخ، والثقافة، والدين، واللغة، والموقع، والمؤسسات.. وأن هذه التجمعات – على المستوى الأعرض – هي حضارات، وأن إنكار وجودها إنكار للحقائق الأساسية للوجود الإنساني.. لذلك فإن الحضارات تتحدد بالعناصر الموضوعية المشتركة، مثل اللغة، والدين، والتاريخ، والعادات، والمؤسسات... [١].

هذا التصور لمحددات الحضارة هو الذي بنى عليه «هنتنغتون» رؤيته للفروق الحقيقية بين الحضارات، مؤكداً أنها ليست فروقاً حقيقية فحسب، بل هي فروق أساسية، وبدرجة أكبر من الاختلافات بين الإيديولوجيات السياسية والنظم السياسية، وأنها نتاج قرون، ولذلك لن تختفي سريعاً.

لكن، وعلى الرغم من تأكيده أن الاختلافات لا تعني بالضرورة النزاع، وأن النزاع لا يعني بالضرورة العنف، إلا أنه يرى أن الاختلافات بين الحضارات، على مر القرون، ولّدت أطول النزاعات وأكثرها عنفاً.. ومن هنا يأتي قوله: «بأن أهم النزاعات في المستقبل ستحدث على امتداد خطوط التقسيم الثقافية، التي تفصل بين الحضارات، وبخاصة الحضارات السبع أو الثماني الكبيرة»[٢].

---

(١) صمويل هنتنغتون، «الصدام بين الحضارات»، ص١٩، «إن لم تكن الحضارة، فماذا تكون؟»، ص٨٤.

(٢) «الصدام بين الحضارات»، "الصدام بين الحضارات"، نفس المرجع السابق، ص١٩ ،٢٠.

## - المرتكز الرابع: موقع الدين في إطار النظرية:

تكاد تتفق الكتابات التي نشرت حول الحضارة، على أن «الحضارة» مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين، أو العقيدة الدينية[1]. فالدين، كما في «النظرية»، هو أهم العناصر التي تتمايز بها الحضارات، الواحدة عن الأخرى، إضافة إلى التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، وأنه مركزي في العالم الحديث، وربما كان القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم[2].

ويرى «هنتنغتون»، أن الدين تُرك، في كثير من أنحاء العالم، ليملأ الفجوة الناشئة عن عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي، وغالباً في شكل حركات توصف بأنها «أصولية»، مشيراً إلى أن هذه العملية تفصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة والراسخة، كما تضعف الدولة/الأمة كمصدر للهوية.. ويذهب إلى القول: بأن الدين يفصل بين الناس بصورة أكثر حدة وحصراً حتى من العرق الإثني، فالمرء قد يكون نصف فرنسي أو نصف عربي، بل حتى مواطناً في بلدين في الوقت نفسه، لكن من الصعب أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم. مضيفاً أن الخلافات في الدين والثقافة تنشئ خلافات حول قضايا سياسية[3].

---

(١) محجوب عمر، «الصراع العربي – الإسرائيلي وصدام الحضارات»، في: «صدام الحضارات»، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٢) صمويل هنتنغتون،«الصدام بين الحضارات»،«إن لم تكن الحضارة،فماذا تكون؟»، مرجع سابق،ص٢٠،٨٤.

(٣) «الصدام بين الحضارات»، المرجع السابق، ص٢٠، ٢١، ٢٣.

ومن جانب آخر، يرى أن عجز الحكومات والمجموعات عن حشد الدعم وإقامة التحالفات على أسس إيديولوجية، سيدفعها بصورة متزايدة إلى محاولة حشد الدعم باستغلال دين مشترك وهوية حضارية مشتركة.. ويضرب مثلاً من سلوفينيا وكرواتيا، حيث احتشدت القوى القيادية في الحضارة الغربية خلف الأشقاء في الدين.. وآخر من الصراع الآذري – الأرمني، حيث أحلت الاعتبارات السياسية الساحة للاعتبارات الدينية، وحاربت القوات الروسية، بعد انتهاء الاتحاد السوفياتي، إلى جانب الأرمن، واهمت أذربيجان روسيا بأنها استدارت ١٨٠ درجة" نحو تأييد أرمينيا المسيحية.

ثم إنه «... في المراحل الأولى من انهيار يوغوسلافيا، حثت ألمانيا – في استعراض غير مألوف للمبادرة الدبلوماسية والعضلات – الأحد عشر عضواً الآخرين في الجماعة الأوروبية على اتباع خطاها في الاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا. ونتيجة لتصميم البابا الحازم على تقديم مساندة قوية للبلدين الكاثوليكيين، اعترف بهما الفاتيكان حتى قبل أن تفعل الجماعة الأوروبية ذلك.واتبعت الولايات المتحدة خطى أوروبا. وهكذا، احتشدت القوى القيادية في الحضارة الغربية خلف الأشقاء في الدين. وورد بعد ذلك أن كرواتيا حصلت على كميات ضخمة من الأسلحة من أوروبا الوسطى ومن البلدان الأوروبية الأخرى» (١).

(١) المرجع السابق، ص٢٣ ،٣٠.

## *المدخل الثالث: اضطراب البعد الفكري لدى«الآخر» الحضاري:

يقال في المثل: وبضدها تعرفُ الأشياء.. لذلك فإن من أهم المؤشرات على توفر وعمق «البعد الفكري» لنظرية «صدام الحضارات»، وصاحبها، حالة الاضطراب في «البعد الفكري» لدى «الآخر» الحضاري، وبخاصة العربي المسلم، في تعامله مع هذه النظرية.

ففي الوقت الذي كان فيه «البعد الفكري» للنظرية يزداد وضوحاً بازدياد الطرح والعرض والمحاورات والمناقشات والاستدراكات لفرضياتها وحيثياتها وما انتهت إليه، كان «الآخر» الحضاري يعاني اضطراباً في الرؤية وعجزاً عن الإبصار.. كشفت عن ذلك، من طرف خفي، مجموعة إسهامات وملاحظات وردود نخبة من المفكرين والمحللين، من المنتسبين للحضارة الإسلامية.

فقد انشغلت هذه النخبة بتفنيد النظرية ومحاولة ردها والبحث عن نقاط الضعف والخلل والقصور فيها، والتشكيك بالخلفيات الفكرية لصاحبها، أكثر مما انشغلت بدراستها دراسة جادة وفق منطوق العقل الغربي، ووضعها من ثم في موضعها من مسيرة الحضارة الغربية المهيمنة، والمتطلعة للمزيد، والتعامل معها كأنموذج للعقل الغربي، والتفكير الغربي، ولما ترمي إليه استراتيجية الفكر السياسي في الغرب[1]، أو طرح بديل لها يكون قادراً على الإقناع وحسن التوظيف، مما أكسب النظرية، التي تفتقد إلى المنافس والمنازع، أحد أسباب التمكين ومصادر القوة.

---

(١) المنتدى، «صراع الحضارات»، مرجع سابق، ص١٣.

وإذا تجاوزنا الآراء النقدية السالبة لمفكرين غربيين، من ذوي الميول الأيديولوجية المتناقضة، تجاه نظرية صدام الحضارات[1]، فسوف نجد أن بعض وجهة النظر العربية الإسلامية، التي عبرت عنها تعليقات وتصريحات النخبة، تكشف عن «حالة قصور منهجي»[2]، يعيشها الفكر العربي اليوم، أو بالأحرى حالة اضطراب في «البعد الفكري»، المتخلق في رحم الحضارة العربية الإسلامية، والذي يفترض، إن لم يكن في مستوى الإسلام، أن يكون في مستوى العصر، وفي مستوى «البعد الفكري» لحضارة العصر المهيمنة.

وإذا كان الاستقصاء الدقيق في الجزئيات، ليس مما تقتضيه طبيعة هذا الكتاب أو من متطلبات منهجيته، فإن الاكتفاء ببعض الملحوظات والآراء والنماذج، لعينة مختارة من فئة «النخبة»، خاصة أولئك الذين يعيشون في كنف الحضارة الغربية، قد يغني لإيضاح المراد.

١- فمنهم من رأى أن مقالة «صدام الحضارات» بشكل خاص، ومقالات «هنتنغتون» بشكل عام، لم تكن تستحق كل هذا الكم من الكتابات العربية، خاصة وأنها قد «كتبت بخلفيات ولأغراض معلومة بعيدة عن مجال البحث العلمي»[3].

---

(١) من أمثال بيار جوكس رئيس مركز الأبحاث الاستراتيجية" التابع للحكومة الفرنسية، ومؤلف كتاب «أميركا المرتزقة»، الذي وصف النظرية بأنها «خبيثة، شعوبية، وذات خبث مركب قائم على أيديولوجيا تجد صدى كبيراً عند الجماهير والجماعات»؛ نجاة حرب، «بيار جوكس الاستراتيجي والمثقف الفرنسي المشكك بأميركا وتدخلاتها في العالم»، **الحياة**، العدد ١١٥٦٩، ٢١/١٠/١٩٩٤م، ص١٨.

(٢) برهان غليون، «لا يوجد صراع حضاري..وإنما هو صراع ثقافي»، **القبس الكويتية**، العدد٧٨٨٨، تاريخ ٩/٦/١٩٩٥م، ص٣٠.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٣٠.

٢- ومـــنهم من ذهب إلى أن عناصر الصدام التي عددها «هنتنغتون» ليبني عليها فرضيته، لا تندرج في نسق ومفهوم «الحضارات»، وإنما هي تعبير عن أزمة نظام عـــالمي يمر في «النقطة الحرجة» التي تجعل منه - على حد ما يقوله الباحث الفرنسي في الاســـتراتيجيا، «بيار لولوش Lelloushe Pierre» - «فوضى الأمم؛ وأن ما يقترحه «هنتنغتون» بصيغة الدعوة إلى تعايش الحضارات واحتواء أسباب انفجارها، هو نوع من سياسة "إدارة الأزمات" في "كوكب الفقراء" الذي تنفجر فيه الديموغرافيا والثقافات" التي يمتزج فيها الديني والسياسي»(١).

٣- ومـــنهم مـــن شكك في إمكانية «صمويل هنتنغتون» وقدرته على التمييـــيز بين الثقافة والحضارة، فتحدث عن خلط شائع بين مفهومي الثقافة والحضارة، مشيراً إلى أن الحضارة، وليس الثقافة، ظاهرة عالمية. ومن طبيعتها تجـــاوز الـــثقافات والعمل على مزجها حتى ولو استوجب الأمر اللجوء إلى العـــنف، مؤكـــداً أن الحضارة واحدة «وبالتالي لا يصح الحديث عن صراع حضـــاري أو صراع بين الحضارات. إن الحضارة لا تصـــارع نفســـها لأنها لا تـــتعدد. ومن هذه الزاوية لا توجد حضارة عربية وأخرى أوروبية وثالثة هندية، إنما هناك حضارة كونية تتكون وتتركب من ثقافات مختلفة. وتختلف العلاقـــة بـــين الحضارة العالمية وبين الثقافات بحسب استعداد كل ثقافة على إدخال مقومات الحضارة في أنساقها المفاهيمية وقيمها الذاتية»(٢).

٤- ومـــنهم مـــن انشغل بالتشكيك في الأبعاد الحضارية لبعض الظواهر والشـــواهد المعاصـــرة التي استدعاها «هنتنغتون» لتدعيم نظريته وتقوية حجته،

---

(١) وجيه كوثراني، «صدام حضارات أم إدارة أزمات؟»، في: «صدام الحضارات»، مرجع سابق، ص١٠١.
(٢) برهان غليون، مرجع سابق، ص٣٠.

كظاهـــرة حـــرب الخليج، التي رأى فيها صورة من صور الصدام الحضاري.. فذهب أولئك [1] إلى تفنيد هذا الرأي، محتجين بعدة أمور، من أبرزها ثلاثة:

أ- أن الحشد الذي جمعه الأميركان، ضم «السعوديين والأتراك والمصريين والسوريين والفرنسيين والبريطانيين وغيرهم من الفرسان»[2].

ب- وأن أهـــل الحـــذر في النظام الاجتماعي والسياسي والعلماء قد أخلـــوا الطـــريق وأتاحوا لدولهم المجال الذي تحتاج إليه «لوقف السلاّب النهّاب عند الحدود الكويتية- السعودية. كانوا يعرفون أن تلـــك لحظة تنحني فيها الطهارة والنقاء أمام الضرورة.. فبعد عشـــرة أيـــام من اجتياح صدام حسين للكويت، أصدر المجلس الديـــني الأكـــثر سلطاناً في السعودية، وهو مجلس كبار العلماء، فتوى بتأييد وجود القوات العربية والإسلامية و«القوات الصديقة الأخـــرى». وقضـــى العـــلماء بأن كل وسائل الدفاع مشروعة ليضمن الشعب "سلامة دينه وثروته وشرفه ودمه وحماية ما يتمتع بـــه من أمان واستقرار". وفي الاتجاه نفسه، في مصر، دان الشيخ جـــاد الحق، شيخ الأزهر، صدام حسين باعتباره طاغية، وشجب ادعاءاته الإسلامية باعتبارها ستاراً للطغيان»[3].

---

(١) أنمـــوذج فؤاد عجمي.. وهو الرأي نفسه تقريباً الذي ذهبت إليه جين كيركباتريك، الأستاذة في علـــوم الدولـــة في جامعة جورجتاون والزميلة في معهد المشاريع الأمريكي، حين قالت: «لم تكن حرب تحرير الكويت صراعًا بين الحضارات، شأنها في ذلك شأن الحرب العالمية الثانية والحرب والكورية والفيتنامية.. وإنما تحالفت فيها الولايات المتحدة والحكومات الغربية لأسباب جيوسياسية تتجاوز الفوارق الحضارية»؛ المنتدى، «صراع الحضارات»، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) فؤاد عجمي، «الاستدعاء»، مرجع سابق، ص٥٢.

(٣) المرجع السابق.

ج- وأن «الوجـــود الأميركي حظي بموافقة حماسية من البلاد العربية في الخليج الفارسي. لقد جاء الغريب لكبح جماح القريب»[1].

٥- ومن الباحثين من جرد المقالة، التي أثارت كل هذا الجدل والنقاش، مـــن أيـــة إمكانية، واعتبرها نوعاً من إدارة للنقاش الفكري والثقافي ومحورته حـــول «مركزية الخطاب الاستراتيجي» الأمريكي، وأنها لا تعدوا أن تكون نوعاً من «إدارة الأزمة» من باب الفكر والثقافة[2].

إن مجموعة الملاحظات المنسوبة لبعض منتسبي الحضارة العربية الإسلامية، حول النظرية، مما يمكن تصنيفه في باب الذم والقدح، لتؤكد أمرين: أما الأول، فهو ما أشرت إليه من اضطراب «البعد الفكري» لدى النخبة العربية المسلمة، وإن عاشـــت في كـــنف الحضارة الغربية، وسُكِنت بعطائها وإبداعاتها، على المستويات كلها: وأما الثاني، فهو وضوح وعمق «البعد الفكري» الذي يتوفر علـــيه «إنســـان الحضارة الغربية» المتجسد في شخص «هنتنغتون» وإنتاجه التواصـــلي وعطائـــه الإعلامي، المتمثل في رؤيته-نظريته لكيفيات وأدوات وأســـباب وأنماط التفاعل بين الحضارات.. فقد كان من خلال ما توفر عليه من«بعد فكري» يبصر وجهته، ويعرف ما يريد، ونجح في صياغة «خطاب» مكـــنه، إلى حـــدٍ كـــبير، من الوصول إلى تحقيق كثير مما يريد، ويكفيه أنه اســـتطاع أن يدير و«يُحكم» مقود النقاش الفكري والثقافي، ويوجهه على المستوى العالمي، ويمحوره حول «مركزية الخطاب الاستراتيجي» الأمريكي.

---

(١) المرجع السابق، ص٥٣.

(٢) وجيه كوثراني، «صدام حضارات أم إدارة أزمات؟»، مرجع سابق، ص١٠١.

# القسم الثاني

# البعد الفكري للإعلام العربي

# اتجاهات الصحافة العربية
# إزاء الإشكالية في جنوبي السودان

(دراسة تطبيقية)

# مقدمات منهجية

## * المقدمة:

يشكل هذا القسم إطاراً تطبيقياً لما طرح من رؤى ومفاهيم في القسم الأول، فهو محاولة عملية للنظر والبحث والتحليل وإلقاء بعض الضوء على مسألة «البعد الفكري للإعلام السياسي العربي المعاصر»، من خلال دراسة في «اتجاهات الصحافة العربية المشرقية»، إزاء «الإشكالية في جنوبي السودان» بشكل خاص، والسودان بشكل عام، كما تتجلى في مضمون أخبار الصفحة الأولى، خلال فترة زمنية تمتد من الأول من شهر يناير ١٩٩٢م وحتى الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩٩٣م، متخذاً من أسلوب «تحليل المضمون» أداة لجمع البيانات وتصنيفها وتبويبها وتحليلها، نظراً لما يتوفر عليه من إمكانات، تجعل منه الأداة الأكثر استجابة للمتطلبات البحثية.

ويأتي البحث، ضمن إطار الزماني، في ظروف سياسية، محلية وإقليمية ودولية، كثيرة التداخل والتشابك والتعقيد والتأثير المتبادل بين ما يحدث في الداخل وما يطرأ في الخارج، وفي ظل طروحات فكرية غربية وتداعيات ثقافية متباينة، أريد لها أن تؤسس لفعل حضاري مهيمن ونظام سياسي عالمي متحكّم، وتحضر لحقبة من التصادم والتعارض والتضاد والتصارع المفترض بين الأفكار والثقافات والحضارات، وتشيع كثيراً من المفاهيم والمصطلحات

والـــرؤى، بكـــل ما تنطوي عليه من مضمون حضاري ومخزون ثقافي وإيحاء قيمي، بهدف إعادة تشكيل النفوس وصياغة العقول بما يهيئها لقبول ما يراد.

كما يأتي البحث في إطار مناخ بحثي أكاديمي محلي (سوداني) أولى كثيراً مـــن الاهـــتمام لمعالجات الصحافة المحلية لمشكلات الوطن، دون أن يسعى لإعطـــاء الصـــحافة العربـــية التي تصدر في الخارج ما تستحقه من الاهتمام والبحـــث والدراسة، التي تتناسب مع ما تتوفر عليه هذه الصحافة من فاعلية وتـــأثير في تشكيل الرأي العام العربي، والسوداني في الخارج، وصناعة القرار السياســـي العـــربي تجاه السودان، فضلاً عما يتوفر لديها من سعةٍ في التوزيع وإمكانـــية على الانتشار تمتد من المحيط إلى الخليج، بينما الإعلام السوداني، الذي يصدر في الداخل، يكاد يغرق في المحلية، اهتمامات ومضموناً وتوزيعاً، وقـــد لا يصل، في الفترة التي تم فيها إجراء هذه الدراسة على الأقل، إلى أبعد مـــن حـــدود العاصمة الخرطوم وعواصم بعض الولايات ومدنـــها الكبرى، وذلـــك في وقـــت أصـــبح الإعلام يشكل المرتكز الأساس و«المادة الأولية للمعرفة»، ومعين السلطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأداتها، على المستويين، الوطني والدولي[1].

فاقتضـــى ذلك تجاوز الأنموذج المحلي للإعلام والصحافة، على أهميته وقربه مـــن موقـــع الحـــدث، والـــتطلع إلى الأنموذج الخارجي، فوقع الاختيار على «الصـــحافة العربية المشرقية اليومية»، كأنموذج إعلامي يمكن إخضاع مضمونه

---

(١) المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل، ط ١(الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، ١٩٩١م) ص٥٦.

الإخباري، الأكثر بروزاً (خبر الصفحة الأولى)، للنظر والوصف والتحليل والتفسير، بما يمكن أن يكشف عن أنماط وأساليب المعالجة وبالتالي اتجاهات الصحافة العربية، عينة البحث، إزاء الحدث السياسي في السودان بعامة و«الإشكالية في جنوبي السودان» بخاصة، والتعرف من ثمّ على طبيعة «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي المعاصر، سواء في حالة التوفر والفاعلية أو في حالة الغياب أو الاضطراب، ذلك أن «البعد الفكري » هو المرتكز الأساس لكل عمل إعلامي يراد له أن يكون فاعلاً في عالم تتحكم فيه وتحكم مناشطه، على المستويات كافة، نظريات «الصراع بين الحضارات» والثقافات والأفكار.

وهو بذلك بحث في العلاقة بين «البعد الفكري» و«الاتجاهات»، بكل ما يحمله الاتجاه من معاني «التهيؤ للإدراك والتفكير والشعور والسلوك نحو شيء أو شخص أو مسألة بطريقة معينة»، وبما يؤكده هذا التهيؤ أو الميل للتفكير والشعور والسلوك، من علاقة بين المعتقدات والاتجاهات، علاقة العام والخاص، الأكثر ثباتاً والأقل ثباتاً، بحيث إذا تغير المعتقد، تتغير الاتجاهات النابعة منه، وإن كان العكس ليس صحيحاً[1].

يضاف إلى ذلك ما أكدته دراسات كثيرة من أن اتجاهات الفرد (القائم بالاتصال) نحو الأشياء أو الأشخاص المحيطين به ترتبط وظيفياً بالعقائد التي يتبناها نحوهم، وأنه يمكن التنبؤ باتجاهات الفرد مسبقاً من خلال التعرف على

(١) سعد الدين إبراهيم، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة: دراسة ميدانية، ط٤ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أغسطس ١٩٩٢م) ص٥٦-٥٧.

عقـــائده أو معتقداته(١)، مما يعني أن التعرف على اتجاهات الفرد يتيح إمكانية الـــتعرف عـــلى معتقداته – أو «بعده الفكري» – حيث يمكن التعرف على الاتجاه، في مثل هذه الحالة بخاصة، من خلال السلوك اللفظي– التعبير– للقائم بالاتصال، سواء كان ذلك بالكلام أو بالكتابة .. فالسلوك بأشكاله المختلفة، لفظياً كان أو حركياً، يبقى هو التعبير الظاهر الوحيد عن الاتجاه(٢).

ويعـــتمد البحث بشكل رئيس في عملية استخلاص «اتجاهات الصحافة العربـــية المشـــرقية اليومـــية»، محـــل الدراسة، على محاولة الإفادة من ثلاث نظـــريات، أو طـــروحات، هي من بين النظريات الأكثر استخداماً في مجال الدراسات الاتصالية.

أما الأولى فهي نظرية «وضع الأجندة»(٣):

ويطلق عليها كذلك: نظـــرية «جـــدولة الاهتمامات أو إعداد الخطة»، أو وضـــع جدول الأعمال، أو وظيفة الصحافة في ترتيب جدول الأعمال، التي توصل إليها «دونالد ل. شو» و«ماكسويل ماكومبز McCombs and Show»

(١) صـــلاح الديـــن جوهـــر، **علم الاتصال: مفاهيمه، نظرياته، مجالاته**، د.ط. (عين شمس: مكتبة عين شمس، د.ت.) ص٥١.

(٢) صلاح الدين جوهر، المرجع السابق.

(٣) ميخائـــيل و.ســـينجليتري وجيرالد ستون، **نظرية الاتصال والبحوث التطبيقية**، ترجمة عبد الله بن أهنية وســـعد هـــادي القحطانـــي، د.ط (الـــرياض: معهد الإدارة العامة، ١٤٢٠هـــ/١٩٩٩م) ص١٢٧؛ محمد الوفائـــي، **مـــناهج البحـــث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية**مرجع سابق، ص١٤٧؛ ملفين ل. ديفلير وساندرا بول. روكاخ،**نظريات وسائل الإعلام**، مرجع سابق،ص٣٥٩؛ محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهـــات التأثـــير**، ط١(القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م) ص٢٧٧؛ محمد مصالحة، **دراسات في الإعلام العربي**، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

وكانـــت النظرية الأكثر بحثاً واستخداماً في إطار نظريات الاتصال خلال حقبة السبعينيات من القرن العشرين.

وتعتبر نظرية «وضع الأجندة» من أبرز النظريات التي تعالج الكيفية التي تشكل بها وسائل الإعلام المعاني، والآثار التي تترتب على ذلك بالنسبة لسلوك الفرد. وتعني أن وسائل الإعلام لديها القدرة على ترتيب أولويات اهتمامات الجماهير، وتركيز انتباهها حول موضوعات واهتمامات عامة معينة، بمعنى بناء «أجـــندة» اهتمامات الجمهور بالقضايا والموضوعات المطروحة، حيث تعمل الصـــحافة، بإعطائها «أولوية» أو تركيزًا على مشكلة معينة، على وضعها في مقدمة قائمة المواضيع التي تجذب اهتمامات صانعي القرار السياسي.

ويـــنظر إلى وكـــالات الأنباء الغربية الكبرى، بشكل خاص، باعتبارها مسؤولة عن وضع جدول الأعمال، وتحديد قيم الأخبار، والأسلوب والشكل في صحافة وإعلام العالم الثالث[1].

وأما الثانية فهي «**نظرية الصراع**»[2]:

وتـــتمحور حـــول دور وســـائل الإعلام في تغطية الصراع والاتفاق (الإجماع)، والكيفية التي تؤثر بها هذه التغطية على الإدراكات والتصورات،

---

(١) منير ك.ناصر، "قيم الأخبار في مقابل الأيديولوجية: منظور العالم الثالث"، في: ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، **نظم الإعلام المقارنة**، مرجع سابق،ص٨٨.

(٢) كلاريــس ن.أوليبيــن وآخــرون، "الصـــراع والإجماع والرأي العام"، في: تشارلز سلمون، ثيودور جلاســر(تحريــر)، **الــرأي العــام والإعلام:صناعة الرضا الجماهيري**، ترجمة عثمان العربي، ط ١ (الرياض: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٧هـ) ص١٧٥.

حيث يُنسب لوسائل الإعلام عادة أحد أمرين، الأول: أنها تتجنب الصراع وتركز على الاتفاق، والثاني: أنها تعمل على تضخيم الصراع.

وأما الثالثة فهي ما يطلق عليه نظرية «الانحياز والتعميمات النمطية الوصفية»[1]:

وتنسب إلى «جون س. ميريل»، الذي قام بدراسة تابعة لمجلة (تايم) الأميركية، اعتمد فيها أسلوب تحليل المضمون، فبيّن أن الأسلوب الحي والخفيف للكتابة، قد يخفي عنصر الانحياز السياسي.. وحدد «ميريل» ستة أصناف للتحيز، هي: التحيز المنسوب أو الإيعازي؛ تحيز الحال؛ تحيز السياق؛ التحيز الصريح؛ التحيز التصويري؛ و«التحيز الوصفي»، الذي يتم اعتماده في هذا البحث، ويضم الكلمات والعبارات التي يتم استخدامها لوصف سلطة أو جماعة أو تيار معين.

ويتميز البحث بطرحه لمفهوم يكاد يكون جديداً، في ما أرى، في ساحة البحث الأكاديمي العربي، بأبعاده ومرتكزاته وتعريفه الإجرائي، وهو مفهوم «البعد الفكري» وما ينطوي عليه من معاني: «التحقق برؤية، شاملة، مفكرة، متفكرة، عاقلة، واعية، محيطة، مبصرة، مرتكزة إلى قيم العقيدة»، حيث يأتي استخدام المفهوم، كأداة ووسيلة للنظر والتعامل مع الاتصال السياسي، في محاولة لاستكشاف أثر «البعد الفكري» في الاتصال، استبصاراً وتعاملاً ومعالجة وتوليداً تواصلياً، وتلمساً من ثمّ لتأثير التوجيه والتحكم لهذا «البعد» في الاتصال السياسي من خلال أبرز الأزمات والمشكلات المعاصرة.

(١) ميخائيل و.سينجليتري وجيرالد ستون، مرجع سابق، ص٥٩.

ويتجسد الاتصال السياسي، تطبيقياً في هذا البحث، في أنموذج «الإعلام السياسي العربي»، من خلال «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، واتجاهاتها الكامنة في المضمون الإخباري للحدث السياسي في السودان بشكل عام وفي إطار«الإشكالية في جنوبي السودان» بشكل خاص، الأمر الذي يمكن أن يكشف عما إذا كان هذا الإعلام السياسي العربي ينطلق في معالجته للحدث السياسي العربي والمشكلات الكبرى في الأمة، خاصة تلك التي تعبر عن حالة من حالات الصراع والصدام الحضاري، من «بعد فكري» واضح ومحدد، أم أنه يعاني حالة من التخبط والاضطراب في هذا «البعد».

ومن هنا، فهو بحث أيضاً - وإن لم يجعل ذلك من أهدافه الأساس- في مشكلة الثقافة في الوطن العربي، كما تتجلى في العقل المثقف العربي، من خلال توجهات حملة الأقلام من الإعلاميين والصحافيين العرب، الذين يسهمون أكثر من غيرهم، بحكم المهنة، في تشكيل الرأي العام العربي، وصناعة المواقف، الرسمية والشعبية، تجاه قضايا الأمة ومشكلاتها الكبرى.. فالإعلام اليوم، يعتبر المشكّل والمكوِّن الأساس للثقافة.

ويضع البحث في اعتباره أن «الخبر الصحفي»، يمكن أن يكون من أكثر قوالب العمل الصحفي دقة في التعبير عن «اتجاهات الصحافة العربية المشرقية اليومية »، ومن ثمّ عن « البعد الفكري للإعلام السياسي العربي المعاصر»، لذلك يأتي اختياره كمادة مختبرية، يتم إخضاع مضموناتها للتحليل والتفسير الموصل للإجابة عن تساؤلات البحث.

## * المنطلقات:

ويتميز البحث كذلك، بما يستند إليه من «منطلقات»، تشكل الإطار النظري والمرتكز الفكري، الذي يحدد الوجهة، ويضبط السيرورة، ويحكم الصيرورة، ويوجه البحث صوب غاياته القاصدة وأهدافه المرتجاة، بإذن الله..

وهذه المنطلقات هي:

١- إن السير في الأرض، والتوغل في أعماق التاريخ القديم والحديث والمعاصر، والإطلاع على أحوال الأمم والشعوب، والتعرف على التيارات والثقافات المختلفة، دعوة قرآنية وأمر رباني، يمكّن المسلم بشكل عام، والباحث بشكل خاص، من استيعاب السنن وإدراك القوانين التي تحكم الحركة الاجتماعية وتنتظم مؤسساتها، للإفادة منها وحسن توظيفها في التعامل مع الحاضر المشهود والتخطيط للمستقبل المنشود، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧) ويقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦).

٢- إنه ما من فرد أو جماعة أو مؤسسة إلاّ ولها وجهة تتجه إليها: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ (البقرة:١٤٨)، وشاكلة تعمل عليها وتسير في ضوئها: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء:٨٤)، تشكل لها إطاراً معرفياً وضابطاً منهجياً، ومركزاً للرؤية يحكم سعيها ويرسم مساراتها، ويوجه

أنشطتها، ويتحكم في ما يصدر عنها.. وإن السلوك في حقيقته لا يخرج عن أن يكون مظهراً بيِّناً وتعبيراً عملياً عن الأفكار التي يؤمن بها الفرد أو الجماعة، وتجسيداً لها.

٣- إن حركة المجتمع، وصناعة أحداثه، وتحديد إصاباته، وصياغة الحلول لمواجهة مشكلاته، مرهونة إلى حدٍّ كبير بمدى صواب وفاعلية الأفكار، التي تسود حقبه وتتحكم في مراحل تطوره.. وإن الفكرة المستمدة من إيمان أو عقيدة دينية «الفكرة الدينية»، هي الأكثر فاعلية والأعمق تأثيراً في دفع حركة المجتمع وصياغة منطلقاته.

٤- إن ثمة طروحات فكرية شكلت مكوناً مهماً من مكونات الثقافة السياسية للعقد الأخير من القرن العشرين ، بدءاً من نهاية التاريخ «لفوكوياما»، مروراً بصدام الحضارات «لهنتينغتون»، وانتهاءً بمشروع الشرق أوسطية «لشيمون بيريز»، وما ترافق مع ذلك من متغيرات سياسية متسارعة على المستويات كافة، المحلية والإقليمية والعالمية.. وهي لتؤكد أن الفكر الإبداعي لم ينشأ من فراغ وفي فراغ، ويبقى هو القوة الفاعلة في التحكم بالحاضر واستشراف آفاق المستقبل، بغض النظر عن مدى صحته والآثار المترتبة عليه.

٥- إن «الإشكالية في جنوبي السودان»، في عمقها الحقيقي وبعدها الجغرافي والإقليمي، لا تخرج عن أن تكون صراعاً عميقاً بين فكرتين أساس: الفكرة العربية المستمدة من العقيدة الإسلامية، والفكرة الغربية المنحدرة من خلفية دينية، ذات جذور توراتية نصرانية.

٦- إن الإعلام، بمختلف أشكاله وألوانه، هو الوسيلة الأكثر تعبيراً وفاعلية في تشكيل الرأي العام، وتكوين المواقف والاتجاهات، وتحضير القابليات، وصياغة القوالب الذهنية، وتكوين الصور في العقول، مما يكسب الإعلام أهميته ويؤكد خطورته.

٧- إن التعبير، بمختلف صوره وأدواته، هو الشكل المنظور للتفكير.. فالكلمة، والمصطلح، وما ينطوي عليه ويرمز إليه من مخزون ثقافي وإيحاء فكري، هي الوسائل«الروائز» الأدق، قياساً وتقويماً، والأكثر ملاءمة للكشف عن الاتجاه، وتحديد الوجهة، والدلالة من ثمّ على «البعد الفكري».. والمرء،كما في المثل العربي، مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر.

## * أهداف البحث:

وفي ضوء ذلك، خاصة ما تم اتخاذه من منطلقات[1]، يهدف البحث بشكل أساس إلى: «الوصف الموضوعي لمضمون أخبار الصفحة الأولى المتصلة بالشأن السوداني، في ثلاث صحف عربية مشرقية يومية مختارة، هي الأهرام والحياة والخليج، تشكل مجتمع البحث؛ والكشف من خلال ذلك عن مراكز الاهتمام، وتحديد نوعية وحجم المشكلات الأكثر إثارة للصحافة العربية المشرقية اليومية، في ما يتصل بالشأن السياسي في السودان، على مستوياته كلها، ومحاولة الكشف من خلال ذلك عن الاتجاهات ومن ثمّ عن البعد الفكري للإعلام السياسي العربي المعاصر».

(١) يسهم تحديد المنطلقات، إسهاماً كبيراً في إبصار الأهداف، وبلورتها في مجموعة من الأفكار، التي يجري ترجمتها من ثمّ إلى واقع عملي.

فهـــو يهـــدف إلى: تحديـــد الاتجاهات الأكثر بروزاً في مضمون أخبار الصـــحافة العربـــية نحـــو السودان بعامة، و«الإشكالية» في جنوبيه بخاصة، والـــتعرف عـــلى التغيرات التي يمكن أن تكون قد حدثت في هذه الاتجاهات خـــلال فـــترة البحث الممتدة على مدى عامين، وتحديد اتجاه وموقف كل صـــحيفة مـــن الصـــحف محل الدراسة، في محاولة لاستيعاب دوافع الموقف ودواعي الاتجاه، وإدراك «البعد الفكري» الكامن وراءه.

كما يهدف البحث من خلال ذلك إلى:

١- التعرف على «أجندة» الصحافة العربية عند تغطيتها لأخبار السودان بعامة و«الإشكالية» بخاصة.

٢- الـــتعرف على الدور الذي تضطلع به الصحافة العربية عند تغطيتها للصراع في السودان على مستوياته المختلفة: الصراع السياسي حول السلطة «المشـــكل السياسي الداخلي»، الصراع حول الوطن «الإشكالية»، الصراع حول السيادة والنفوذ «العلاقات الخارجية».

٣- محاولـــة الـــتعرف على دور القائمين بالاتصال (محررين ومراسلين ونحوهم)، في تشكيل اتجاهات الصحافة العربية إزاء الظاهرة محل البحث.

٤- الـــتعرف عـــلى المصـــادر التي تحصل من خلالها الصحافة العربية على معلوماتهـــا عن الحدث السياسي في السودان، الأكثر أهمية، والدور الذي يمكن أن تضطلع به من خلال ذلك، في تشكيل «البعد الفكري » للإعلام السياسي العربي.

٥- الكشـــف عن منشأ معلومات الصحافة العربية عن الحدث السياسي في السودان، وطبيعة «البعد الفكري » الذي يمكن أن يكشف عنه المنشأ.

## * أهمية البحث:

وفي ضوء ما تحدد من منطلقات وأهداف، يستمد البحث أهميته.. فهو:

١- شكل من أشكال السير الفكري في الأرض، والإطلاع على التيارات والثقافات المختلفة، ومحاولة فقه الواقع، والنظر في أبعاده، والتأمل في متغيراته.

٢- نمـــط من الدراسات الاستطلاعية، التي تستطلع الماضي، وتنقب في صـــفحاته، باعتـــبار ذلـــك أمراً لازماً لفهم أبعاد الحاضر واستشراف آفاق المســـتقبل، ومـــن ثمّ تحديـــد الكيفيات الملائمة للتعامل، و الأدوات المناسبة لـــلمداخلة، والحاجـــة لاستصـــحاب سنن المدافعة الحضارية، لتقويم المسار وإحداث التأثير المطلوب.

٣- من الدراسات الأكاديمية القليلة،أو النادرة،فيما يحسب الباحث، التي اهتمـــت بالبحـــث في مسألة «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي، من خـــلال استقراء المضمون الإخباري للصحافة العربية المشرقية، باعتباره العمق الثقافي والجذر الحضاري الحقيقي، الذي يشكل إطاراً معرفياً وضابطاً منهجياً للعملـــية الإعلامية، يوفر قدراً مطلوباً من التحقق برؤية شاملة تتيح إمكانية القـــراءة الدقـــيقة للخبر وما وراءه من أحداث، وتمنح دليل العمل وبوصلة المسير، التي تحدد الوجهة، وتحكم سبل الوصول القاصدة.

٤- يـــتخذ مـــن الخبر، الذي يوصف عادة، أو تشترط فيه، الموضوعية والحيدة وعدم التحيز، حقلاً تجريبياً ومادة مختبرية، يستكنه من خلاله ما يمكن

إبصاره من «بعد فكري» يكمن في «الاتجاهات»، التي تغلب عليها، في معظمها، الذاتية والانحياز.

٥- في مقدمة البحوث التي تحاول، من خلال دراسة التغطية الإخبارية، التأكيد على أن «الإشكالية في جنوبي السودان » تعبر، في عمقها الحقيقي وبعدها الجغرافي المحلي والإقليمي، عن صراع عميق ممتد الجذور بين فكرتين: «الفكرة العربية» المستمدة من العقيدة الإسلامية، و«الفكرة الغربية» المنحدرة من خلفية دينية ذات أصول توراتية نصرانية.

٦- يعتبر البحث، فيما أحسب، من خلال ما ولّد وطرح من رؤى ومفهومات ومصطلحات، إضافة جديدة للمجتمع الإعلامي العربي.. فهو يتخذ، مثلاً، من مفهوم «البعد الفكري» مدخلاً ومحاولة للاقتراب من ظاهرة الإعلام السياسي العربي في علاقته بالنظام السياسي العربي، من خلال إحدى مكوناته ، التي تتجسد في نظام سياسي يتبنى هوية سياسية ووجهة فكرية يتميز بها في إطار هذا النظام السياسي العام، والتعرف من ثم على نمط من الصراع الذي يتجاوز الداخل إلى الخارج.

## * مشكلة البحث ودوافع اختياره:

تعود البدايات الحقيقية، والإرهاصات المبكرة، لمشكلة البحث إلى عقد الثمانينيات، من خلال متابعة يومية، شبه منتظمة، لعدد كبير نسبياً من الصحف العربية المشرقية، والمغربية إلى حدٍ ما.. حيث كانت «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، كما هو ملاحظ، تولي، في تغطياتها ومعالجاتها الإخبارية

بخاصة، الشأن السياسي في السودان، قدراً كبيراً من الاهتمام، وتتناول أحداثه ومشكلاته، وصانعي الأحداث فيه، أياً كانت مواقعهم على خارطة العمل السياسي، سيما المتنفذين وشاغلي المناصب الدستورية والتنفيذية والسياسية الرسمية، بكثير من الجرأة والوضوح والصراحة والحرية في المعالجة الصحفية، وهو أمر قلّ أن يُلحَظ له مثيل في تغطيات ومعالجات «الصحافة العربية المشرقية اليومية» نفسها للحدث السياسي وصانعيه في كثير من البلاد العربية الأخرى!

ثم تبلورت المشكلة بشكل أكثر وضوحاً مع نهاية الثمانينيات وبدايات عقد التسعينيات، حين تغير نظام الحكم في السودان، وتولت السلطة السياسية فئة كشفت عن عزمها على إحداث تغييرٍ في الوجهة، وتحولٍ في الهوية، واستبدالٍ لأدوات العمل ووسائل الفعل، الثقافي والسياسي والاجتماعي ... وأصبحت «الفكرة» المستمدة من العقيدة الدينية، منهجاً ومشروعاً ومشروعية سياسية.. فتحولت «الصحافة العربية المشرقية اليومية» من ثمّ من الجرأة في التناول، والوضوح في التعبير والتعليق، والصراحة في إبداء الرأي والإعراب عن الموقف، والحرية في المعالجة، إلى نوع من التشهير والتجريح والهجوم والاستعداء، والانحياز (المعارض) (*)، حتى بدت في بعض الأحيان، وكأنها صحافة سودانية معارضة تصدر في الخارج لمواجهة السلطة السياسية الحاكمة في الداخل.

ثم ازدادت المشكلة وضوحاً من خلال متابعة منتظمة لأشكال وأنماط التغطية والمعالجات الإخبارية بخاصة التي تضطلع بها «الصحافة العربية المشرقية

(*) يراد بالانحياز المعارض هنا: اتخاذ «الصحافة العربية المشرقية اليومية» موقفاً منحازاً،غير موضوعي، من السلطة السياسية الحاكمة، ضمن الإطار الزماني للبحث.

اليومية» لما يقع من أحداث في إطار «الإشكالية في جنوبي السودان»، وهي «إشكالية» ذات هوية حضارية و«بعد فكري»، صُنعت بداياتها في القرن التاسع عشر الميلادي على يد «إنسان الحضارة الغربية»، الذي ما فتئ يرعاها، ثقافياً وسياسياً وعسكرياً، ويغذيها حضارياً، ويطور من أساليبه في التعامل معها كل حين، ليتخذ منها أداة في ساحة الصدام الحضاري، الذي يدور على بقعة من الأرض العربية المسلمة، ووسيلة احتواء يتجاوز خطره المدى الجغرافي للسودان إلى ما سواه في العمق العربي الإسلامي، بحيث لم تعد «الإشكالية»، من حيث النشأة، والهوية، وعوامل وأدوات الاستمرارية، والتمويل، ومشروعات الحل، وتداعياتها، مشكلة سودانية خالصة، وإن كانت تُجرى على أرض سودانية.

فالأمر لم يقتصر على التغطيات والمعالجات الإخبارية للحدث السياسي المتصل بمشكلة الصراع حول السلطة، بين القوى والتيارات السياسية المختلفة، وفي مقدمتها النظام السياسي الحاكم، وإنما امتد ليشمل أيضاً المعالجات الإخبارية للحدث المتصل بالصراع حول الوطن، أو«الإشكالية في جنوبي السودان»، بكل ما تنطوي عليه من مهددات، على مختلف المستويات.

وعلى الرغم من خطورة هذا النمط من التغطية والمعالجة الصحفية الإخبارية، وآثاره السلبية على الحاضر، وعواقبه غير المأمونة على المستقبل، خاصة في إطار «الإشكالية»، إلا أنه لم يحظ، فيما أرى، بجهد بحثي لائق، يتناسب ومثل هذا الدور الخطير الذي يمكن أن تكون قد اضطلعت به «الصحافة العربية المشرقية اليومية» إزاء «الإشكالية» بخاصة، بل إني لم أجد، فيما اطلعت عليه، دراسة أولت اهتماماً بحثياً «للإشكالية»، من خلال

صحف العينة، التي تخضع للتحليل العلمي في هذا البحث، على الرغم من كل مـــا يتوفر لها، مجتمعة، من إمكانات على التأثير في عملية تشكيل الرأي العام العربي، الرسمي والشعبي.

هـــذه المستابعات والملاحظات، شكلت البدايات الحقيقية والمقدمات الضرورية لمشكلة البحث، واستدعت مزيداً من التأمل والتفكر في أبعاد هذه الظاهـــرة: المعالجة الإخبارية في «الصحافة العربية المشرقية اليومية» للحدث السياسي في السودان بعامة و«الإشكالية » بخاصة؛ كما استدعت مزيداً من الحاجة لبذلِ الجهد الموصل إلى كشف النقاب عن كنهها وحقيقتها، وإيجاد تفسير لها، والبحث عما يمكن أن يكون من علاقة بين القَدْر من الاهتمام، الذي توليه «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، للشأن السياسي في السودان بشـــكل عام، والقدر الذي توليه «للإشكالية» وتطوراتها ومتغيراتها بشكل خاص، وما يمكن أن يكشف عنه ذلك من اتجاهات وتوجهات وبعد فكري لدى مؤسسات «الإعلام السياسي العربي المعاصر».

فأصـــبحت الظاهـــرة من ثمَّ المحور الأساس الذي يدور حوله: «الموقف المشكل»[1] للبحث.

وعلى خلفية ذلك، يسعى البحث للوصف الموضوعي، الكمي والكيفي، لواقع المعالجة الإخبارية في «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث،

---

(١) الموقـــف المشكل هو: «موقف غير محدد أو غير محقق مع غموض المتغيرات المرتبطة به والمؤثرة فـــيه»؛ ســـمير محمـــد حسين، بحوث الإعلام:دراسات في مناهج البحث العلمي، ط ٣ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٩م) ص٧٥.

للشأن السياسي في السودان بشكل عام، ولما يقع في إطار «الإشكالية» بشكل خاص؛ بما يتيح إمكانية التعرف على «اتجاهات» هذه الصحافة إزاء كلٍ من النظام السياسي الحاكم في السودان و«الإشكالية في جنوبي السودان»، ضمن الحدود الزمانية للبحث؛ وما يمكن أن تكشف عنه «الاتجاهات» من ملامح لما ينطوي عليه «الإعلام السياسي العربي المعاصر»، ممثلاً في «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث، من «بعد فكري».

## * التساؤلات البحثية:

وفي ضوء ذلك، يأتي البحث في إطار محاولة علمية للإجابة عن التساؤلات الآتية:

### التساؤل الأول:

ما حجم ونوعية التغطية الصحفية التي أولتها صحف العينة للشأن السياسي في السودان، بشكل عام، و«الإشكالية في جنوبي السودان»، بشكل خاص، خلال الفترة الزمنية المختارة ؟ وما الدور الذي اضطلعت به صحف العينة، من خلال ذلك، إزاء الصراع[1] في السودان على مستوياته المختلفة: الصراع السياسي حول السلطة «المشكل السياسي»، الصراع حول الوطن «الإشكالية»، الصراع حول السيادة والنفوذ «العلاقات الخارجية»؟ بمعنى: هل عملت «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث، خلال الفترة الزمنية المحددة، على:

---

(١) تم الاعتماد في صياغة التساؤل على دراسة كلاريس ن. أولين وجورج أ. دوناهيو وفيليب ج. تيتشز: "الصراع والإجماع والرأي العام"، في: تشارلز سلمون، ثيودور جلاسر (تحرير)، مرجع سابق.

أ- تجنب الخوض في الصراع، وبالتلو التركيز على جوانب الاتفاق والوفاق؟

ب- إبراز وتضخيم الصراع؟

ج- الاكتفاء بالإشارة إلى الصراع والتأكيد على وجوده؟

## التساؤل الثاني:

مـــا «الأجندة» التي تطرحها «الصحـــافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث، عند تغطيتها لأخبار السودان بعامة و«الإشكالية» بخاصة؟

## التساؤل الثالث:

ما مصدر ومنشأ معلومات «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث، عن الحدث السياسي في السودان بشكل عام و«الإشكالية» بشكل خاص؟

## التساؤل الرابع:

ما اتجاهات «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث، إزاء السلطة السياسية الحاكمة في السودان،خلال الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء البحث؟

## التساؤل الخامس:

مـــا اتجاهـــات «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة البحث، إزاء «الإشكالية»، خلال الفترة نفسها ؟

## التساؤل السادس:

ما طبيعة «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي المعاصر، كما يتجلى في «اتجاهات الصحافة العربية المشرقية اليومية»، التي تمثلها العينة المختارة؟

## * التعريفات الإجرائية للمفاهيم:

يُنظر إلى التعريفات أو التصريفات الإجرائية، على أنها همزة الوصل بين النظرية والواقع، التي تُمكن الباحث من إخضاع النظرية للقياس والاختبار(١).

وقد تمت صياغة التعريفات الإجرائية الآتية لأبرز المفهومات الواردة:

### ١- مفهوم البعد الفكري:

«البعد الفكري»، مفهوم يراد به: «التحقق برؤية، شاملة، مفكرة، متفكرة، عاقلة، واعية، محيطة، مبصرة، مرتكزة إلى قيم العقيدة».. فهو إمكان، وملكة، واكتساب، يتحصلها المرء بقدر من الاستعداد النفسي، والتهيؤ الذهني، والاجتهاد العقلي، والكسب المعرفي.. وهو حصيلةٌ لمجموعةِ معارفِ الحواسِّ، التي يستخدمُها الإنسانُ جميعاً ليتولى العقلُ النظرَ والتحليلَ والمقارنةَ والترشيدَ والتوليد.

### ٢- الإعلام السياسي العربي المعاصر:

الإعلام السياسي العربي المعاصر، لأغراض البحث، مفهوم يراد به: «مخرجات وسائل الإعلام المكتوب، التي تُعنى بالخبر السياسي بشكل أساس، وتتخذ من اللغة العربية أداة لإيصال رسائل معينة إلى القراء، تُعبّر من خلالها

(١) هناك نوعان من التعريفات اللازمة لكل مفهوم يتم استخدامه في مجال البحث العلمي: الأول وهو ما يسمى بالتعريف النظري، وهو تعريف للمفهوم كبنية فكرية، أو المعنى الفكري لهذا المفهوم كما يسراه الباحث أو المفكر أو العالم، بصرف النظر عن وجوده المادي في الواقع ... وليس المفهوم كالظاهرة ذاتها وإنما هو تعبير عنها. ولكن الباحث يحاول قياس هذه الظاهرة، ولذلك لا بد له من تقديم تعريف آخر يخبر بواسطته عن الكيفية التي تم بها قياس هذا المفهوم، وهو ما يعرف باسم التعريف الإجرائي؛ محمد الوفائي، مرجع سابق ص٢٥-٢٦.

عن خيارات وقوى وتيارات سياسية عربية مختلفة، خلال الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء البحث».

## ٣- اتجاهات الصحافة العربية المشرقية:

مفهوم يراد به: «المحصلة الكلية لتوجه واستعداد الصحافة العربية المشرقية اليومية، عينة البحث، للاستجابة، وميلها للتصرف والمعالجة الصحفية للحدث السياسي، الذي يعكس حالة من حالات الصراع السياسي في السودان، سواء علـى مستوى: الصراع حول السلطة، أو الصراع حول الوطن، أو الصراع حول السيادة والنفوذ، ورموزه الأكثر فاعلية وتأثيراً، كما تتجلى في السلطة السياسـية الحاكمـة وحـركة التمرد، باعتبارها أكثر الأدوات تعبيراً عن الإشـكالية في صورهما المتفجرة، في الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء البحث، بطـريقة وشاكلة تكشف عما يمكن أن ينطوي عليه الإعلام السياسي العربي المعاصر من بعد فكري».

ويـتخذ الميل أشكالاً ثلاثة، فهو إما :ميل إيجابي، أو ميل سلبي، أو ميل متوازن، وذلك على النحو الذي يناقش في القسم الثاني (التطبيقي).

## ٤ - الإشكالية في جنوبي السودان:

مفهوم يراد به: «ما يطلق عليه، في كثير من الأدبيات السياسية والإعلامية العربـية:"مشـكلة جـنوب السودان"[١]، ويشير إلى مجموعة من التكوينات الثقافية- بالمعنى العام للثقافة- والسياسية المعقدة في جنوبي السودان».

---

(١) اصـطلاح «الإشكالية في جنوبي السودان»، أكثر دقة ودلالة من اصطلاح «مشكلة جنوب السودان» لوصف ما يحدث في هذا الإطار، ذلك أن الجنوب بحد ذاته لا يشكل مشكلة للسودان، وإنما المشكلة هي في ما يحدث فيه.

## ٥- فئات الموضوع:

تم تقسيم فئات الموضوع، في ضوء نظرية الصراع، كما جسدها «كلاريس ن.أولين» وزملاؤه، في بحثهم حول «الصراع والإجماع والرأي العام»[(١)]، وتعريف بعض الباحثين للصراع بأنه: « التصادم والتعارض بين طرفين أو أكثر بينهما اختلافات قيمية ومصلحية، وينخرطان في سلسلة من الأفعال وردود الأفعال الإرغامية التي تهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالطرف، أو الأطراف الأخرى، مع سعي كل طرف إلى تعظيم مكاسبه على حساب الآخرين وتأمين مصادر قوته»[(٢)] .. فقسم الموضوع إلى ثلاث فئات رئيسة هي: الصراع حول السلطة؛ الصراع حول الوطن «الإشكالية في جنوبي السودان»؛ الصراع حول السيادة والنفوذ «علاقات السودان الخارجية».

## * نوع البحث ومنهجه وأداته:

يعتمد البحث بشكل أساس «منهج المسح»، بشقيه الوصفي والتحليلي، باعتباره المنهج المتميز، الذي يمكن الاعتماد عليه في قياس الاتجاهات نحو مختلف القضايا[(٣)]، إضافة إلى أنه يساعد في تحديد قسمات الظاهرة محل البحث، وفي تحديد شكلها العام، من خلال تجميع المعلومات عن خصائصها

(١) كلاريس ن.أولين وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٥ وما بعدها.

(٢) حسنين توفيق إبراهيم، **ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية**، ط ١، سلسلة أطروحات الدكتوراه "١٧" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني-يناير ١٩٩٢م) ص٥٥.

(٣) عواطف عبد الرحمن،**صورة أفريقيا في الصحافة العربية**،ط ٢(القاهرة:دار الفكر العربي،١٩٨٦م) ص١٢.

وجزئياها بصورة كمية أو كيفية، ثم تبويب وتصنيف هذه المعلومات، للوصول إلى الحقائق عن الظروف القائمة كما هي في الواقع المعاصر[1].

فهو منهج يساعد على تجميع الحقائق، التي تعتبر أحجار البناء الأساس، في المجال السياسي والإعلامي محل الدراسة، ويشجع على التعبير الكمي عن الظواهر، وتناولها إحصائياً، وبالتالي إمكانية اختبار الفروض، في حالة وجودها، والوصول إلى نتائج موضوعية[2].

وإلى جانب هذا المنهج، وما يمنحه للباحث وما يحققه للبحث، فإن الإجابة عن التساؤلات البحثية تستدعي قدراً من الإطلاع والإفادة، بمستويات متفاوتة، من بعض المناهج الأخرى، التي تندرج في الإطار الشامل للمنهج الاستقرائي، مثل:المنهج التاريخي، الذي يساعد على «إدراك وفهم وتفسير كثير من الظواهر، التي يموج بها بحر الحياة السياسية»[3]؛ والمنهج السلوكي، الذي يفيد عادة في تفسير الدوافع الأساسية للسلوك بشكل عام، وسلوك المؤسسات بشكل خاص، حيث يعبر السلوك هنا عن تشابك وتفاعل تصورات الأشخاص المكونين للمؤسسة المعنية[4]؛ والمنهج المقارن، الذي أصبح يشكل حاسة مهمة من الحواس المطلوبة في مجال الدراسات الإنسانية، حيث اتجهت إليه معظم الدراسات الحديثة، التي تسعى لإثبات النظريات والوصول إلى القواعد العامة التي يمكن أن تكون صالحة لتفسير الظواهر الإنسانية في كل زمان ومكان[5].

---

(١) نظام محمود بركات،**مقدمة في الفكر السياسي**، د.ط(الرياض: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص٢٠.
(٢) أحمد بدر، **مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والإعلام الدولي**، مرجع سابق، ص١١٨-١١٩.
(٣) إبراهيم أحمد شلبي، **علم السياسة، دراسة في قواعده الأصولية وضوابطه النظرية**، (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٥م) ص١١٨.
(٤) نظام محمود بركات، مرجع سابق، ص٢١.
(٥) المرجع نفسه، ص٢٢.

غير أن من أهم ما يتميز به البحث في هذا المجال، محاولة المزج بين المنهج الاستنتاجي (الاستدلالي) الذي يُعنى بالنظر في المقدمات التي أدت إلى حصول النتائج المنظورة في الواقع، والمنهج الاستقرائي الذي يُعنى بقراءة الواقع في جزئياته المتناثرة، والوصول من خلال ذلك إلى الأطر والمقدمات التي تولد عنها هذا الواقع، ومحاولة استخدامهما من ثمّ وتوظيفهما لخدمة أغراض البحث.

فمفهوم «البعد الفكري»، الذي بذلت جهدي في بلورة ملامحه وتحديد مرتكزاته، من خلال سلسلة متصلة من العمليات الاستقرائية والاستنتاجية معاً، الممتدة على مدى سنوات، خارج نطاق هذا البحث ابتداءً، يتم استخدامه كأداة منهجية لاستقراء واقع الإعلام بشكل عام، والإعلام العربي بشكل خاص، ومحاولة الخروج من ذلك ببعض الرؤى والقواعد والأطر التي تنتظمه وتُحكم وجهته.

يتخذ البحث من «تحليل المضمون»[1]، أداة وأسلوباً، أساساً لجمع البيانات والمعلومات، وتصنيفها، وتبويبها، وتحليلها، للوصول إلى حالة يمكن معها تقديم وصف وتفسير دقيق للظاهرة محل البحث.

---

(١) تم اعتماد الرأي القائل: بأن « تحليل المضمون» أسلوب وأداة للتحليل وليس منهجاً، لمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع مثلاً إلى: رشدي طعيمة، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه، أسسه، استخداماته**، د.ط ( القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧) ص٤١.. كما يمكن الإفادة من أبرز المؤلفات الأجنبية الأساس في مجال تحليل المضمون مثل: كتاب برلسون "تحليل المضمون في بحوث الإعلام" الذي نشر عام ١٩٥٢، وصدرت منه أكثر من طبعة؛ وكتاب ريتشارد بد وروبرت ثورب "تحليل مضمون الإعلام" الذي نشر عام ١٩٦٧؛ وكتاب هولستي "تحليل المضمون في الدراسات الاجتماعية والإنسانية" الذي نشر عام ١٩٦٩؛وكتاب "جيربنر، هولستي، كربندوروف، بيسلي، ستون": "تحليل المضمون الإعلامي" والذي نشر أيضاً عام ١٩٦٩؛ وكتاب كربندروف "تحليل المضمون: مقدمة منهجية" الذي نشر عام ١٩٨٠؛ سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص١٥.

ويجيء هذا الاختيار بالنظر إلى ما يتوفر عليه «تحليل المضمون» من إمكانات، تجعل منه الأداة الأفضل استجابة للمتطلبات البحثية لهذا البحث بشكل خاص.. فهو:

أ- أسلوب للبحث العلمي، وأداة منهجية للدراسة الكمية والكيفية لمضمون وسيلة الاتصال.. وهو كذلك أداة للملاحظة والوصف والتنبؤ(١).

ب- أسلوب يسعى إلى وصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها - من حيث الشكل والمضمون - تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضه، بهدف وصف المواد الإعلامية التي تعكس السلوك الاتصالي العلني للقائمين بالاتصال، أو الكشف عن الخلفية الفكرية والثقافية أو السياسية أو العقائدية التي تنبع منها الرسالة الإعلامية، أو التعرف على مقاصد القائمين بالاتصال، من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية - شكلاً ومضموناً - والتي يعبر بها القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم(٢).

ج- أسلوب يقوم على أساس نظرية تتلخص في أن: «لكل إنسان بصمة فكرية على النحو الذي له بصمة إبهامية، وأن البصمات الفكرية تميِّز شخصية الفرد، وتكشف عن هويته على النحو الذي تميزه بصمات أصابعه، وكما أن للشخص طباعاً خاصة لا يستطيع إخفاءها، مهما كان بارعاً أو ذكياً، فإن سلوكه

---

(١) نادية سالم،"المدرسة الأميركية في تحليل المضمون"، في:عواطف عبد الرحمن، نادية سالم، ليلى عبد المجيد،**تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية**،د.ط.(القاهرة:العربي للنشر والتوزيع،د.ت)،ص١٩.

(٢) سمير محمد حسين، **الرأي العام: الأسس النظرية والجوانب المنهجية**، ط ١(القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م) ص ١٤٥-١٤٦؛ سمير محمد حسين، **بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٢٣٣-٢٣٤.

اللغـــوي لا يمكن إلا أن يفصح عن حقيقة شخصيته ويفضح اتجاهاته ومعتقداته. فضـــلاً عن أن السلوك اللغوي للإنسان، شفوياً كان أو تحريرياً، يعتبر – في رأي كثير من الباحثين – أدق تعبير عن هوية الشخص وميوله واتجاهاته، فإذا استطعنا الحصـــول على عينة كافية من أداء الفرد اللغوي أو التعبيري بوجه عام، وأخضعنا هـــذه العيـــنة لتحليل علمي منهجي، فإننا نستطيع أن نتوصل بسهولة إلى معرفة اتجاهاته السياسية أو العقائدية»[1].. وهذا من أهم متطلبات البحث وأهدافه.

د- أسلوب يسمح بتحليل روح المرسل، والكشف عن «الأيديولوجية» غير المعلنة للصحيفة، من خلال تحديد موقفها إزاء قضية معينة[2].

هـــ- أسلوب يساعد على ملاحظة ودراسة الاتجاهات التي ينطوي عليها المضـــمون الإعلامـــي، والتغـــييرات التي تطرأ عليها، وهذه تعتبر من أفضل استخداماته وأكثرها فائدة، حيث تساعد دراسة اتجاهات المضمون الإعلامي في توفـــير مـــنظور تاريخي قيِّم يمكن في ضوئه فهم المضمون الحالي لوسائل الإعلام فهماً متكاملاً[3].

و- أســـلوب يستخدم في التعرف على مصدر المعلومات، حيث تؤدي معرفة المصدر إلى اكتشاف مدى تحيز أو موضوعية وسائل الإعلام[4].

---

(١) إبراهـــيم إمـــام، "بحوث تحليل المضمون وتطبيقاتها في الإعلام"، **مجلة الإذاعات العربية**، العدد ٧٠، إبريل ١٩٧٧م، ص٦.

(٢) عواطف عبد الرحمن، نادية سالم، ليلى عبد المجيد، **تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية**، مرجع سابق، ص٨٧.

(٣) سمير محمد حسين، **بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٢٤٤.

(٤) محمد الوفائي، مرجع سابق، ص١٤٥.

س- أسلوب يستخدم في دراسات وضع «الأجندة»، التي تعني قدرة وسائل الإعلام على تركيز انتباه الجماهير حول موضوعات واهتمامات عامة معينة(١).

وبالإضافة إلى ذلك، هناك أسباب تتصل بالمحاور الأساس للبحث، ساهمت أيضاً في اعتماد هذا الأسلوب.. منها :

أ- أن من أوائل الدراسات التي أجريت باستخدام «تحليل المضمون» كانت حول المادة الإخبارية، كما هو الحال بالنسبة لهذا البحث، وهي تلك الدراسة التي قام بها في أواسط العقد الثاني من القرن العشرين الباحثان «ليبمان» و«تشارلز ميزر»، فقد قاما «بتحليل مضمون عينة من المادة الإخبارية المنشورة بجريدة "النيويورك تايمز" عن الثورة البلشفية في الفترة من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٢٠م»(٢).

ب- أن «هارولد لازويل»، الذي يعتبر من الرواد الذين أسهموا في تطوير أسلوب «تحليل المضمون» ومناهجه واستخداماته، قام بذلك من خلال مؤلفه الشهير «لغة السياسة» الذي نشر في عام ١٩٤٩م(٣)، فهو عمل يتخذ من المادة السياسية، كما هو الحال في هذا البحث مادة مختبرية يتم تحليلها باستخدام «تحليل المضمون».

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٧.

(٢) سمير محمد حسين، تحليل المضمون، مرجع سابق، ص١٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٤.

# الخطوات الإجرائية

## أولاً: تحديد مجتمع البحث واختيار عيناته:

يـأخذ البحث في اعتباره مضمون أخبار الصفحة الأولى المتصلة بالشأن السياســي في السودان، في ثلاث صحف عربية مشرقية يومية، هي: الأهرام، الحياة، والخليج، خلال الفترة الزمنية الممتدة من الأول من يناير ١٩٩٢م إلى الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٩٩٣م.

وتم اختيار العينة على خمسة مستويات:

- مستوى العينة الميدانية (مجتمع البحث).
- مستوى العينة الزمانية (الإطار الزماني).
- مستوى العينة القالَبِيّة (القالب الصحفي المختار، الإطار التحليلي).
- مستوى العينة المكانية (الإطار المكاني، مكان النشر من الصحيفة).
- مستوى عينة المضمون.

### – المستوى الأول: مستوى العينة الميدانية(مجتمع البحث):

قد يكون من المطلوب الإشارة هنا ابتداءً إلى أهمية التمييز بين مستويين، أو مجـــتمعين، مـــن مســـتويات ومجتمعات العينة الميدانية: «المجتمع الأصلي للبحـــث»، الـــــذي يطلـــق عليه في بعض الأدبيات الأكاديمـــية اصطلاح

«السكان population»[1].. والمجتمع الميداني للبحث «مجتمع البحث»[2]، وهو عبارة عن عينة «sample»[3] مختارة بحيث تكون ممثلة للمجتمع الأصلي.

وفي ضـــوء ذلك، تشكل «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، التي تصدر في مشرق الوطن العربي، أو تلك التي تصدر في خارجه ولكنها تعتبر محكومة بـــالعقل العربي المشرقي، سياسة وإدارة، تحريراً وموضوعاً واهتماماً، «المجتمع الأصـــلي» للبحث، بينما تشكل صحف: الأهرام والحياة والخليج، الصادرة خـــلال الفـــترة الممتدة من الأول من يناير ١٩٩٢م إلى الحادي والثلاثين من ديســـمبر ١٩٩٣م «مجتمع البحث».. وتم اختيار صحف العينة عمديًا[4]، في ضوء اعتبارات ستة، هي:

- التنوع في مكان الصدور (العامل الجغرافي).
- الاختلاف في ظروف النشأة (العامل التاريخي).
- التنوع الفكري (الأيديولوجي).

---

(١) روجر ويمر ودومينيك، **مقدمة في أسس البحث العلمي: مناهج البحث الإعلامي**، ترجمة صالح خليل أبو إصبع، ط ٢(عمّان: دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٧٧م) ص٩٦.

(٢) المجتمع: هو جميع الوحدات التي يرغب الباحث في دراستها. وفي مجال تحليل المضمون، هو جميع الأعداد التي صدرت من الصحيفة أو مجموعة الصحف التي تم اختيارها خلال الفترة المحددة للدراسة، سمير محمد حسين، تحليل المضمون، مرجع سابق، ص١١٦.

(٣) العيـــنة هـــي مجموعـــة فرعية أو شريحة فرعية من السكان أخذت كي تكون ممثلة لأفراد المجتمع "السكان"؛ روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص٩٦.

(٤) توصـــف العينة العمدية، بأنها: تلك العينة" التي تتم عن طريق الاختيار العمدي أو التحكمي، أي الاختيار المقصود من جانب الباحث لعدد من وحدات المعاينة يرى الباحث - طبقاً لمعرفته التامة بمجتمع البحث - أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً صحيحاً"؛ سمير محمد حسين، تحليل المضمون، مرجع سابق، ص١٢٣.

- التنوع في سياسات التحرير.

- سعة الانتشار.

- تمثيل مراكز الثقل السياسي في المنطقة العربية.

## أ- التنوع في مكان الصدور (العامل الجغرافي):

فبعض صحف العينة يصدر في داخل الوطن العربي «الأهرام» و«الخليج»، وبعضها يصدر في خارجه، في مجتمع الاغتراب «الحياة».

## ب- الاختلاف في ظروف النشأة (العامل التاريخي):

فقد صدرت «الأهرام» في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر (السبت، ٥أغسطس سنة ١٨٧٦م) في الإسكندرية.. وواصلت صدورها من هناك حتى سنة ١٨٩٢م، حيث انتقلت إدارتها إلى القاهرة[١].

وأما «الحياة»، فقد صدرت لأول مرة في منتصف القرن العشرين (١٩٤٦م)، في بيروت[٢]، ومرت بمرحلتي صدور: الأولى بدأت مع صدور العدد الأول (الاثنين، ٢٨كانون الثاني "يناير" ١٩٤٦م/٢٥صفر١٣٦٥هـ)، وامتدت

---

(١) صدر العدد الأول من الأهرام في أربع صفحات من القطع الصغير (٢٨×٤٥سم)، ويتوسط رأس صفحتها الأولى هرمان وفي منتصفها أبو الهول رابض تحت اسمها، ويعلو اسمها هلال تتوسطه نجمة ظاهرة ويتصدر نهرها الأيمن افتتاحية العدد الأول.. ولم يذكر فيه اسم صاحب الجريدة ولا رئيس تحريرها؛ إبراهيم عبده، **جريدة الأهرام: تاريخ وفن ١٨٧٥-١٩٦٤م**، د.ط (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤) ص٣١-٣٢؛ نجدة فتحي صفوة، "هذا اليوم في التاريخ: صدور الأهرام"، **الشرق الأوسط**، العدد ٥٧٢٩، ١٩٩٤/٨/٥م، ص١٧.

(٢) صدرت «الحياة» لأول مرة في أربع صفحات، وكانت تباع بخمسة عشر قرشاً لبنانيًا؛ «التاريخ يعيد نفسه بعد ٤٥ عاماً على صدور الحياة»، **الحياة**، العدد١٠٢٢١، ١٩٩١/١/٢٨م، ص١.

حتى ١٩٧٦م، حيث توقفت في أتون الحرب الأهلية في لبنان.. وأما المرحلة الثانية، فبدأت بمعاودها الصدور من لندن، في الأيام الأولى من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨م، ولا تزال ممتدة حتى اليوم.

أما «الخليج»، فصدرت بعد قرن تقريباً على صدور «الأهرام»، إذ صدر العدد الأول منها يوم الاثنين،١٩أكتوبر ١٩٧٠م (١٩ شعبان١٣٩٠ هـ) كأول صحيفة أهلية يومية في إمارة الشارقة، قبل قيام دولة الاتحاد بنحو عام تقريباً. وكانت تحرر في الشارقة وتطبع – في مرحلتها الأولى – في الكويت، حيث لم يكن في الإمارات مطابع قادرة على طباعة صحف يومية. ولم يكتب لها، بادئ الأمر، الاستمرار طويلاً، فتوقفت عن الصدور، وصدر آخر أعدادها في مرحلتها الأولى في ١٨ فبراير ١٩٧٢م،ثم استأنفت الصدور في الخامس من أبريل ١٩٨٠م[1].

## ج – التنوع الفكري (الأيديولوجي):

صدرت «الأهرام» على يدي سليم و بشارة تقلا، وهما من نصارى الشام، بميدان القناصل بالإسكندرية، وكان الميدان وقتها مركز التجمع الأوروبي في المدينة، حيث بدأ الأجانب يقيمون حول هذا الميدان، بدءًا من عصر محمد علي، فنادقهم ومقاهيهم ومحلات طعامهم وشرابهم فضلاً عن غالبية قنصلياتهم[2].. ويوصف بشارة، الذي استغل «بالأهرام» بعد وفاة

---

(١) عزت علي عزت، عزت علي عزت، **الصحافة في دول الخليج العربي**، الجزء الأول، د.ط (بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ص٣٨٢.

(٢) طلعت المغربي، «الأهرام جريدة لكل العصور من الخديو إسماعيل إلى الرئيس مبارك»، **مجلة المجلسة**، العدد ٨٢٤، ١٩٩٥/١١/٢٦م، ص٦٧-٦٨.. والمقال عرض لكتاب د.يونان لبيب رزق: «الأهرام.. ديوان الحياة المعاصرة – الجزء الأول ١٨٧٦-١٩٨٢».

سليم تقلا في سنة ١٨٩٢م، بأنه كان رجلاً « له بالفرنسيين صلة خاصة، إضافة إلى صلاته ومعرفته بأكثر بلاد أوربا التي كان له فيها أصدقاء بين حكامها ورجالاتها البارزين، وقد نال أوسمة عديدة من الدولة العثمانية وفرنسة وتونس وغيرها من الدول»[١]. فهي صحيفة نشأت قريباً من «إنسان الحضارة الغربية»، بفكره ورؤيته، وقريباً من الدولة بمؤسساتها وسلطتها وجبروتها. ومما يلفت الانتباه أن «الأهرام»، تاريخياً، اتخذت موقفاً سلبياً من ثورة عرابي، حيث امتنع بشارة تقلا عن مناصرتها[٢]!

أما «الحياة»، فهي في مرحلتها الثانية(الحالية)، وإن كانت قريبة من التوجهات السياسية للمملكة العربية السعودية، بحكم التمويل وامتلاك رخصة الإصدار، تبذل جهدها لاتخاذ نهج مهني موضوعي متوازن يبتعد بها، كما تدعي، عن مربعات التصنيف الأيديولوجي وتيارات الصراع السياسي السائد في الساحة العربية.. فهي تسعى لتأكيد كونها « جريدة عربية خالصة، مستقلة ما أمكن الاستقلال، موضوعية ما أمكن الجهد، وهي ليست محسوبة على دولة بعينها أو شخص بعينه. وستظل عربية مستقلة أو لا تكون»، وأنها «عربية مستقلة تصدر من لندن»...«إنكليزية بقدر ماجريدة "هيرالد تريبيون" الأمريكية التي تصدر من باريس فرنسية»[٣].

---

(١) نجدة فتحي صفوة، «هذا اليوم في التاريخ: رحيل بشارة تقلا باشا أحد مؤسسي الأهرام»، الشرق الأوسط، العدد٦٤٠٩، ١٥/٦/١٩٩٦م، ص٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رأي "الحياة"، الحياة، العدد ١١٠٠٨، ٣/٤/١٩٩٣م، ص١.

وأمـــا «الخلـــيج»، فهـــي تعتبر على نطاق واسع لسان حال تيار الفكر القومـــي في المـــنطقة العربية، والمنبر الإعلامي اليومي الذي يعبر عن توجهاته ومواقفه إزاء القضايا العربية والعالمية. إذ يرى كثير من الباحثين أن صدورها كان «محاولة جديرة بالاهتمام، نظراً لما انطوت عليه من فكر قومي معبر عن آمال شباب هذه الأمة»[١]. وقد أكد هذا التوجه، رئيس مجلس إدارتها "تريم عمران" في مناسبة إضاءة شمعتها الخامسة عشرة، بقوله: «نحن منذ البداية كنا واضـــحين .. نحن أصحاب رسالة، ولولا هذه الرسالة لما تكبدنا عناء إصدار "الخليج" و"الشروق" في ظروف بالغة الصعوبة ... »[٢].

## د – التنوع في سياسات التحرير:

وفي ضـــوء الاعتـــبارين السابقين، فمن الطبيعي أن يكون لكل صحيفة رؤيـــتها ونظرتها الخاصة ومنهجها الذي تتميز به عن مثيلاتها العربيات، ويعبر عن سياستها التحريرية، وهو أمر يدركه قراؤها المواظبون على قراءتها.. وتنبع سياســـتها التحريرية بالضرورة من مرجعيتها الفكرية، أو «بعدها الفكري»، متوفراً كان أو مضطرباً.

أمـــا «الأهـــرام» فقد تميزت طوال عهودها – كما يصفها أحد المشتغلين بتحريرها[٣] – «بالعراقة والرحابة والتقاليد وعدم التورط في الصراعات السياسية

---

(١) عزت علي عزت، مرجع سابق، ص٣٨٢.

(٢) جـاء ذلـك خلال مقابلة أجرتها مع تريم عمران مجلة "الرافد" الفصلية الثقافية التي تصدرها دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة" وأعادت نشرها جريدة الخليج في عددها رقم ٥٤٤١، الصادر في ١٩٩٤/٤/٦م،ص١١.

(٣) د. يونان لبيب رزق.

الداخلية خاصة إذا ما كانت صراعات حزبية، فقد حرص الأهرام على أن يفسح في ديوانـــه مكانًا لكل الفرقاء، يدلي كل منهم برأيه فيه، حتى ولو كان هؤلاء الفرقاء ينتمون إلى حزب واحد»[1].

وأما صحيفة «الحياة»، فإذا تجاوزنا مرحلتها الأولى وما كتبه كامل مروة، المؤســـس ورئيس التحرير، في افتتاحية العدد الأول، تحت عنوان: «قل كلمتك وامـــش»، الـــتي حدد فيها أبعاد سياستها العامة، في تلك الحقبة، والهدف من إصـــدارها[2]، فـــإن من أبرز ملامح المرحلة الثانية (الحالية)، أن مالك رخصة

---

(١) خصصـــت الأهـــرام في يوليو ١٩٩٣م صفحة أسبوعية باسم "الأهرام ديوان الحياة المعاصرة"، تتابع تطـــور الـــتاريخ المصري والعالمي من خلال الأهرام، يشرف على تحريرها المؤرخ د. يونان لبيب رزق. وقـــد جمع د.يونان حصيلة هذه الصفحة، وأعدها للنشر، لتصدر عن مركز تاريخ الأهرام، في كتاب من عدة أجزاء، يحمل اسم الصفحة نفسه، صدر الأول منها عام ١٩٩٥بعنوان: "الأهرام..ديوان الحـــياة المعاصـــرة..الجزء الأول ١٨٧٦-١٩٨٢"، في٢٦٠ صفحة، الأهرام، ١٩٩٣/٧/١٤م، ص١؛ طلعت المغربي، مرجع سابق، ص٦٧-٦٨.

(٢) قـــال كامل مروة: «... هذه الجريدة تهدف في سياستها الداخلية إلى حركة إصلاحية جريئة تنسف الأوضـــاع الـــنفلاء التي لا يزال يقوم عليها البنيان الاستقلالي، فلن يستقيم أمر الاستقلال ما دمنا نحـــتفظ بميراث العهد الماضي (...) ولابد لنا في الوقت نفسه من الإقدام على تعديل جرئ عادل في أنظمتنا الاجتماعية والاقتصادية إذا كنا نريد البقاء بمأمن من العواصف الثورية الكاسحة التي تهـــب علـــى قـــاب قوســـين منا أو أدنى !أما في سياستنا الخارجية فإننا لانعترف لا بالصداقات الموروثـــة والتقلـــيدية ولا بالصـــداقات المســـتحدثة والموهوبة، نحن نعتقد اعتقادًا جازمًا عززته الـــتجارب بسأن العلاقـــات الودية بين الدول، ونحن قد أصبحنا منها، لا يمكن أن يقوم على غير المصـــلحة المتبادلة والفائدة المشتركة، وأن البحث في العواطف والمبادئ في هذا الصعيد إنما هو ضـــرب من الخبل، وعلى هذا فإن موقفنا من الأجنبي يختلف باختلاف مصلحة بلادنا في كل قضية مـــن القضـــايا العارضة وباختلاف مكانها وزمانها.. نحن لا نجهل تبرم الناس من فيض الصحف اليومـــية في هذه الأيام ولكننا نرجو أن نثبت للقراء أن هذه الجريدة لن تكون عالة جديدة عليهم بل عوناً لهم على ما يريدون وينشدون»؛ «التاريخ يعيد نفسه بعد ٤٥ عاماً على صدور الحياة»، **الحياة**، العدد ١٠٢٢١، ١٩٩١/١/٢٨م، ص١.

إصـــدارها، في هـــذه المرحلة، الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز آل السعود، حـــدد «السياســـات والاســـتراتيجيات والأهـــداف» العامة التي يفترض أن تعمل«الحياة» على وفقها، وذلك في خطاب وجهه، في ١٩٩٠/١١/٢٤م، إلى رئيس التحرير، حيث جعل في مقدمة تلك السياسات: نقل المعلومة الصحيحة الصادقة إلى القارئ في أسرع وقت ممكن، مع تقديم التحليل العلمي الذي يشبع حاجات الأفراد طبقًا لمستواهم الثقافي، وعدم الانحياز إلى طرف من دون طرف لئلا يؤثر هذا الانحياز في مصداقية الجريدة ومصداقية التحليل.

يقول الأمير خالد في رسالته: «إن الأحداث التي تمر بها أمتنا العربية حاليًا في أحلك أيامها سوادًا، وما يتم الآن على أرض الواقع من تمزق وفرقة وعداء بين الدول العربية، وبين شعوبها،وحتى تظل جريدة "الحياة" في المستوى الذي نأمله لـــتؤدي رســـالتها نحـــو الهدف الذي حددناه لكم من قبل،محتفظة باســـتقلاليتها ومصداقيتها في بحر الأحداث المتلاطم الأمواج،أود أن أذكركم بالنقاط الآتية للاهتداء بها في عملكم:

١- إن مفهومنا للصحافة ورسالتها أنها نقل للمعلومة الصحيحة الصادقة إلى القـــارئ في أســـرع وقـــت ممكن، مع تقديم التحليل العلمي الذي يشبع حاجـــات الأفراد طبقًا لمستواهم الثقافي، وعدم الانحياز إلى طرف من دون طرف لئلا يؤثر هـــذا الانحياز في مصداقية الجريدة ومصداقية التحليل، أي أننا نريد أن نقرأ الخبر الصريح الصادق المحايد في نشره وتحليله.

٢- حتى يمكن تطبيق هذا المفهوم، وحتى تحتل الجريدة مكانة مرموقة وفريدة بين وسائل الإعلام عليكم باختيار الكاتب الأفضل والمحرر الأفضل وعليكم

بمراجعة المقالة والخبر، ونحن لا نرحب بالشتائم، أو بالتشنج والانفعالات، ولا نرحب بالتحقير والازدراء، أو بالغمز واللمز، حتى وإن كان كل ذلك موجهًا إلى من يناصبوننا العداء.

٣- وحتى تستمر هذه الجريدة عربية حرة مستقلة يجب ألا تقبلوا بمقالة تفرض عليكم أو هبة أو معونة مالية،لئلا تكون الجريدة أسيرة لمعروف أو مساعدة. وعليكم ألا تتغاضوا عن المبادئ التي حددناها لكم عند إنشاء الجريدة أو تحيدوا عن الأهداف والسياسات التي أوضحتها لكم منذ البداية فنحن نريد جريدة يحترمها الناس، كل الناس، الأعداء والأصدقاء.. جريدة تحترم نفسها، قبل كل شيء، لما يشيع بين أعضاء تحريرها من احترام وقيم ومبادئ وأخلاق وعلم وصدق ووضوح.

٤- إن من مسؤولياتكم نشر الجو العلمي،وحب البحث، والسعي وراء التحليل الهادف بين أسرة التحرير.. إننا لا نجامل أحدًا على حساب المبادئ والقيم، ولا نغض البصر عن أخطاء أحد خشية غضب أو مصادرة، ولا ننافق أحدًا طمعًا برضا أو مساعدة. هذا ما يجب أن ينتشر بين جدران جريدتكم.

٥- بعدما ذكرت لكم الخطوط العريضة للسياسة التي يجب أن تتبعها "الحياة" ولئلا تقع الجريدة في أي خطأ نتيجة لضغوط خارجية فإنني أحملكم مسؤولية تنفيذ هذه السياسة وتنفيذ هذه الأهداف وتنفيذ ما يتفق مع المبادئ والقيم. وحتى أجنبكم أي حرج في تعاملكم مع المسؤولين في أي بلد عربي أو إسلامي أو صديق أو عدو، عليكم بإحالة ما يطلبونه منكم علينا وإبلاغهم بأسلوب ذكي أن ليس مفوضًا إليكم الخروج عن الخطوط العريضة التي أوضحتها لكم».

وقـــال الأمير خالد بن سلطان في ختام رسالته: «عليكم إضافة خطابنا هذا إلى ملف: السياسات والاستراتيجيات والأهداف، حتى يكون إضافة إلى ما سبق أن تبادلنا» (١).

وأمـــا «الخلـــيج»، فقـــد تضمن عددها الأول الخطوط العريضة لنهجها والطموحات التي تسعى لتحقيقها، مشيرة في افتتاحيته:«من أجل الخليج.. كان (الخلـــيج) » إلى أنهـــا «حنين للعودة للمخاض المشترك والميلاد المشترك.. هذه الجريدة تطبع في الكويت وتأتيها موادها من كل بقعة من هذا الشاطئ ممتدًا من مســـقط والمهرة جنوبًا وحتى الكويت شمالاً،وتصدر ليقرأها عرب الخليج على نفس الامتداد في نفس اللحظة»(٢).. واتخذت من عبارة: «للحقيقة دون خوف وللواقـــع دون زيف»، شعاراً لها، ووعدت القراء في مناسبة دخول عامها الرابع عشر بمزيد من الاستمساك به، مشيرة إلى أنها منذ أن عادت للصدور في الخامس مـــن أبـــريل ١٩٨٠، وهي تعمل « ما وسعها الجهد لتحويله إلى دستور عمل يجسد إيمانها الثابت بأن الصحافة موقف ورسالة مستمرة ما استمرت الحياة»(٣).

### هـــ — سعة الانتشار:

تعتـــبر الصـــحف الثلاث، الأهرام والحياة والخليج، من أكثر الصحف العربية انتشاراً وتوزيعاً في العالم العربي.. «فالأهرام» على سبيل المثال، تصدر

---

(١) رأي "الحياة"، الحياة، العدد ١١٠٠٨، ١٩٩٣/٤/٣م، ص١.

(٢) عـــزت علـــي عزت، مرجع سابق، ص٣٨٢؛ "الصحيفة اليومية الأولى في الإمارات"، الخليج، العدد ٧٤٥٧، ١٩٩٩/١٠/١٩م، ص٢٩.

(٣) الخليج، العدد ٥٠٧٧، ١٩٩٣/٤/٥م، ص١.

في عــدة طــبعات، في عدد من العواصم والمدن الغربية مثل لندن ونيويورك وفــرانكفورت.. وقــد ذكرت مجلة «ذي ميدل إيست» الشهرية، في أحد أعدادهــا الصادرة في عام ١٩٩٠م، أن صحيفة «الأهرام» توزع نحو ١,٢ مليون نسخة(١).

## و – تمثيل مراكز الثقل السياسي في المنطقة العربية:

تشــكل كلٌ من مصر والسعودية ودول الخليج العربية بعامة، في الفترة الزمنــية الــتي تم فيها إجراء البحث، أبرز مراكز الثقل السياسي والثقافي في المــنطقة العربية، فضلاً عن تأثيرها على واقع الصراع السياسي في السودان، على مستوياته المختلفة: الصراع حول السلطة، الصراع حول الوطن، الصراع حول السيادة والنفوذ، سواء كان ذلك بشكل مباشر،أو غير مباشر من خلال الأعــداد الكبيرة من المغتربين والمهاجرين والدارسين والمعارضين السودانيين المقيمين على أراضيها.

«فالأهرام» تعبر عن وجهة نظر السياسة المصرية بكل ما تحمل من توجهات ورؤى إزاء السودان بشكل خاص. كما تعبر «الحياة»، وإن قالت بالاستقلالية والموضوعية، عن وجهة النظر السعودية في كثير من الأمور، ومن بينها بالضرورة الشأن السوداني.. وأما «الخليج»، فهي وإن عبرت عن وجهة نظر التيار القومي العــربي في المــنطقة العربية، إلا أنها تظل صحيفة خليجية محكومة بالسياسات والتوجهات العامة للدولة التي تصدر عنها وتنفق عليها مالياً.

---

(١) محمــد الحــناوي، "مجلة ذي ميدل إيست البريطانية: الأهرام أكثر الصحف العربية احتراماً وتأثيراً"، الأهرام، العدد ٣٧٩٩٣، ١٩٩٠/١٢/١٥، ص١.

## المستوى الثاني: مستوى العينة الزمانية (الإطار الزماني):

تمتد الفترة الزمنية التي تم اختيارها ابتداءً، من مطلع عام ١٩٩٠م إلى أواخر عام ١٩٩٣م، فهي تشمل عامي ١٩٩١،١٩٩٠م، وهي الأعوام التي شهدت أزمة الخليج الثانية، وغزو العراق الكويتَ، وما ترافق من عودة معلنة «لإنسان الحضارة الغربية» للمنطقة، بعسكره وثقافته وقيمه،وتصدع في النظام العربي بشكل عام، وانهيار في مظهره السياسي بشكل خاص، وبروز حقبة جديدة في إطار الصراع اليهودي – الإسلامي (الإسرائيلي– العربي)، بدأت ملامحها تلوح مع تداعيات الغزو، ثم تبلورت من خلال مؤتمر مدريد، وذلك على المستوى الإقليمي، أما على المستوى العالمي، فقد لاحت في أفق تلك الأزمة إرهاصات ميلاد نظام عالمي جديد، ثقافي، إعلامي، سياسي، اقتصادي...

وعلى الرغم من أهمية هاتين السنتين، لما لهما من تأثير وانعكاسات وتداعيات ملحوظة على ما بعدهما، إلا أنه تم استبعادهما ظناً أن ذلك يجنب البحث احتمالية تصنيفه في خانة ما يعرف بدراسة الحالة (case study)، مما قد يؤدي إلى الحيلولة دون تعميم نتائجه، أو الإفادة منها في كيفية التعامل المأمول مع الإعلام السياسي العربي، في غير حالات الأزمات.

وعلى ذلك، فقد تم حصر العينة الزمانية، واختيارها عمدياً، في الفترة الممتدة من ١٩٩٢/١/١م إلى ١٩٩٣/١٢/٣١م.

## المستوى الثالث: مستوى العينة القالَبيّة (القالب الصحفي):

ويشير إلى القالب الصحفي الذي تم اختياره كأنموذج يخضع للتحليل، ومن ثم الكشف عن اتجاهات الصحافة، وما تنطوي عليه من بعد فكري، حيث وقع الاختيار، عمدياً، على (الخبر الصحفي) بناءً على الاعتبارات الآتية:

أ- الخـــبر الصحفي، من خلال عمليات الانتقاء والمعالجة الصحفية التي يتعرض لها، يعتبر من أكثر قوالب العمل الصحفي دقة في التعبير والكشف عن اتجاهـــات الصحافة إزاء الناس والمشكلات والقضايا والأحداث، على الرغم مـــن كـــل ما يوصف به، أو يشترط فيه، من الموضوعية والبعد عن الذاتية والانحـــياز، ومـــا يقال عن: إن بلوغ حد الكمال في رواية الأخبار، يقتضي الحـــرص الدائم على موضوعية النبأ، التي تعني البعد الكامل عن إغراق الخبر بالرأي – وهو تعبير عن الاتجاه- انطلاقاً من أن الخبر هو تقرير لحقائق وقعت فعلاً، منسوبة إلى مصادرها، دون تعقيب، أو تعليق، أو إيحاء بالرأي(١).

ب- الخبر الصحفي، مادة من أهم مواد الصحيفة، بل هو المادة الرئيسة والعنصر الأساس فيها، الذي تستمد جميع المواد الأخرى أهميتها منه، إشارةً، أو تفســـيراً، أو تعليقاً عليه بالرأي(٢)، ويؤثر أي خطأ في روايته، أو إهمال في صياغته، على مكانة الصحيفة وتقدير القراء لها(٣)، ذلك أن شخصية الجريدة إنما تتمثل في اختيارها للروايات الإخبارية وفي كيفية معالجتها(٤).

---

(١) إحسان عسكر، **الخبر ومصادره**، د.ط (القاهرة: عالم الكتب، د.ت) ص٩٩-١٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٨.

(٣) عـــبد اللطيف حمزة، **المدخل في فن التحرير الصحفي**، ط ١ (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) ص٤٤-٤٦؛ إحسان عسكر، **الخبر ومصادره**، مرجع سابق، ص٤٨-٥١، ١٠٨.

(٤) أدوين واكين،**مقدمة إلى وسائل الاتصال**،ترجمة وديع فلسطين، د.ط(القاهرة: مطابع الأهرام،١٩٨١م) ص٤٨.

ج- الخـــبر الصحفي، يعتبر بمثابة العمود الفقري للخدمة الإعلامية.. وفي عالم اليوم، أصبح أساس المعرفة، الذي بدونه لا يستطيع المرء أن يفهم ما يجري من حوله.. وأصبح البحث عن الأخبار، والتقاطها، والسبق إليها، ونشرها، يشكل جوهر صناعة الإعلام المعاصر(١).

د- الأخـــبار، تعتـــبر «المظهـــر الرئـــيس في العلاقة بين الإعلام والبيئة السياسية»(٢).

يضـــاف إلى ذلـــك كلـــه ما تشكو منه الساحة الأكاديمية من ندرة في الدراســـات الـــتي تجرى في مجال الخبر الصحفي، مقارنة بالمجالات الأخرى (المقال، الحديث، الحوار وغيرها...)، وهذا مما يضفي على البحث نوعاً من التميز والتفرد المطلوب في مجال الدراسات الأكاديمية.

## المستوى الرابع: مستوى العينة المكانية (الإطار المكاني):

ويشير إلى مكان نشر الخبر من الصحيفة، لما ينطوي عليه ذلك من أهمية في الكشـــف عن المستوى من الاهتمام الذي توليه الصحافة للموضوع-الحدث، حيـــث تم الاقتصار، والاختيار عمدياً، على الأخبار المنشورة بالصفحة الأولى، مما يتصل بالشأن السوداني، بناءً على الاعتبارات الآتية:

أ- أن الدراســـة التحليلـــية للصـــفحة الأولى لـــلجريدة تصلح لدراسة الاتجاهات العامة للأخبار(٣).

---

(١) محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ص ٣١.

(٢) وليم أيه. روو، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص٢١٥.

ب- الصفحة الأولى، هي عنوان الصحيفة، منه تقرأ، وبه تعرف، وهي واجهتها التي «تبرز فيها شخصيتها أكثر من غيرها من الصفحات»(١).

ج- الصفحة الأولى، أهم صفحات الجريدة، فهي تحوي دائماً أهم الأنباء، وتحتل المرتبة الأولى عند تنسيق المواد(٢)، لذلك فإن النشر فيها يحمل الكثير من الدلالات على موقف الصحيفة من الحدث.

د- الصفحة الأولى، صفحة الخبر السياسي بالدرجة الأولى، وذلك أمر له أهميته، فالأخبار السياسية هي التي «ترفع من قدر الصحيفة، وتدفع إلى الثقة بها، لأنها إنما تؤكد بها دورها في تكوين الرأي العام، واهتمامها بمصالح الوطن ومتابعتها الجادة لأخباره المصيرية»(٣).

يضاف إلى ذلك أن الصحافة العربية محل الدراسة ليست صحافة سودانية، لا من حيث النشأة ولا من حيث سياسات التحرير وأدوات تنفيذها- وإن شارك في تحرير بعضها عدد من السودانيين - وأن الخبر الذي تنشره عن السودان يعتبر بالنسبة لها خبراً خارجياً(٤)، مما يعني، افتراضاً، أن هناك اعتبارات معينة تدخلت في اختياره وصياغته ونشره في هذا المكان المتميز من الصحيفة، من أهمها اتجاه الصحيفة إزاء الحدث وما وراءه.

---

(١) فاروق أبو زيد،فن الخبر الصحفي:دراسة مقارنة بين الصحف في المجتمعات المتقدمة والنامية،ط ١ (جدة: مكتبة العلم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص١٧.

(٢) إحسان عسكر، الخبر ومصادره، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٣) محمود أدهم، فن الخبر: فنون التحرير الصحفي، ط ١ (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٩م) ص٢٤٧.

(٤) الخبر الخارجي هو الخبر "الذي يتناول الأحداث والوقائع والقضايا والأفكار الهامة،التي تقع في الدول الأجنبية في أغلب الأحوال، ولا تمت بصلة إلى أنباء أو منشآت الدولة التي تصدر منها الصحيفة..."، محمود أدهم، المرجع السابق، ص٣٣٧.

## المستوى الخامس: مستوى عينة المضمون:

وفي ضـــوء ما تم اختياره من عينات، على المستويات الأربع السابقة، يأتي اختـــيار عينة المضمون، التي تعني ضمناً عينة الأعداد (التواريخ) التي يقع عليها الاختيار للتحليل.. وقد روعي في اختيارها أن البحث يأخذ في اعتباره مضمون أخـــبار الصفحة الأولى من صحف: الأهرام، والحياة، والخليج، المتصلة بالشأن السياســـي في الســـودان بشكل عام و«الإشكالية في جنوبي السودان» بشكل خاص، خلال الفترة الزمنية الممتدة من ١٩٩٢/١/١م إلى ١٩٩٣/١٢/٣١م.. وعـــلى خلفية ذلك، تشكل الأخبار المنشورة عن الشأن السياسي في السودان مـــن خلال الصفحات الأولى من هذه الصحف الثلاث، خلال الفترة الزمنية المحددة «المجتمع الكلي»(١) الفعلي للبحث.

**- حجم العينة:**

يمكن اعتبار إشكالية تحديد الحجم المناسب للعينة التي تخضع للتحليل، من أبرز المشكلات التي واجهت العملية الإجرائية للبحث.. وهي كثيراً ما تواجه الباحـــثين باستخدام «تحليل المضمون». فليس هناك، كما يقال، تحديد مانع جـــامع للحجم الأمثل للعينة، وليس هناك معادلة أو طريقة واحدة، لتحديد الحجـــم يمكـــن اعتمادها لكل منهج بحثي، ولا يستطيع باحث الجزم بذلك، وكل ما هناك أحجام مقترحة للعينة لمختلف الإجراءات الإحصائية(٢).

---

(١) عـــبد الرحمن بن حمود العناد، "أنباء الصفحة الأولى في الصحف اليومية السعودية"، **مجلة الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير**، العدد ٧٤، يناير-مارس ١٩٩٤م، ص٦٣.

(٢) محمـــد عـــبد الحمـــيد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٩٦-٩٧؛ روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص١٠٩.

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يميل إلى القول: إن العينة الأكبر هي الأفضل، إذا كان لها سببها[1]، استناداً إلى أنه كلما زاد حجم العينة قل الخطأ وزادت دقة النتائج[2]، إلا أنهم في الوقت نفسه يحذرون من أن العينة الكبيرة إذا كانت غير ممثلة فإنها تصبح بلا معنى، مثلها في ذلك مثل العينة الصغيرة غير الممثلة، مما يلقي على الباحثين مسؤولية عدم أخذ العدد في الاعتبار، حيث تبقى النوعية دائماً أكثر أهمية في اختيار العينة من مجرد الحجم[3].

وفي هذا البحث، تم الأخذ بمبدأ «ستمبل Stampel» القائل بالاكتفاء باثني عشرة عدداً (١٢) للسنة الواحدة[4].. ومما رجح ذلك ما تتميز به العينة التي تخضع للتحليل من تجانس[5] بين مفرداتها، فهي عبارة عن: خبر صحفي،

---

(١) روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص٢١٥.

(٢) محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص١٠٦؛ محمد وفائي، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٣) روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص١١١.

(٤) خلص«ستمبل»، في دراسته التي أجراها لتحديد حجم العينة، إلى القول بتفضيل استخدام العينات الصغيرة، حيث قارن نتائج خمس عينات أحجامها:٦، ١٢، ١٨،٢٤، ٤٨ عددًا من صحيفة، وقارن نتائجها بمتوسط موضوع واحد في جريدة واحدة على مدار العام لتحديد الحجم الأمثل للعينة، ووجد أن العينات الخمس متفقة النتائج مع متوسط للعام، وأن زيادة العينة عن (١٢) عددًا لا تقدم تفاوتاً ملموسًا في النتائج. ومنذ أن نشرت تلك الدراسة، استخدم عدد من الباحثين العينات الصغيرة في دراسات تحليل المضمون.. وقد عضد نتائج دراسة "ستمبل" هذه «هاتشن Hachen» الذي درس صحف الأحد خلال الفترة من ١٩٣٩-١٩٥٩م واكتفى بثلاثة أعداد لكل سنة من سنوات الدراسة، متعللاً بأنه إذا كان اختيار(١٢) عددًا يعتبر كافيًا بالنسبة إلى(٣١٢) عددًا في السنة فإن ثلاثة أعداد تعتبر كافية لاثنين وخمسين عدداً أسبوعيًا؛ محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٩٦؛ روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص٢١٤-٢١٥.

(٥) كلما كانت الإصدارات متجانسة إلى حد بعيد في جوانب كثيرة مثل دورية الصدور، واتجاهات السياسة التحريرية، وأساليب الممارسة الفنية مثلاً، فإن اختيار عينة صغيرة يكون مقبولاً؛ محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٩٦-٩٧؛ محمد الوفائي، مرجع سابق، ص١٣٠.

سياســـي، في صحيفة عربية يومية، يتصل بالشأن السياسي في السودان، تتم معالجته صحفياً في ضوء سياسات تحريرية متجانسة إلى حد كبير.

يضـــاف إلى ذلك ما يُلحظ من تكرار حدوث الظاهرة محل الدراسة، وهـــو أمر له دلالته وأهميته في تقدير الحجم، ذلك أن حجم العينة يتناسب عكســـياً - كمـــا يرى بعض الباحثين - مع حدوث الظاهرة، فكلما كان حـــدوث الظاهرة أقل كانت التواريخ المطلوبة للعينة أكثر[1]، وبالتالي كلما كان حدوث الظاهرة أكثر كانت مفردات العينة المطلوبة للتحليل أقل.

## - أسلوب الاختيار:

تم اختـــيار عينة المضمون (الأعداد) التي تخضع عملياً للتحليل من صحف العينة: الأهرام، الحياة، والخليج، على خطوات ومراحل،كما هو الحال في معظم تحلـــيلات المضمون لوسائل الإعلام، التي تتضمن «التعيين» متعدد المراحل[2]، اعـــتماداً عـــلى أسلوب يجمع بين عينتين: «العشوائية البسيطة»، لاختيار اليوم الأول مـــن كل سنة، و« العشوائية المنتظمة»[3] لاختيار بقية الأعداد من السنة، مـــع الأخـــذ بعين الاعتبار أن الاختيار يقع على عينة شديدة التجانس، لظاهرة كثيرة الحدوث، تمتد لفترة زمنية طويلة نسبياً، وذلك في ضوء الخطوات الآتية:

---

(١) روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) العيـــنة العشـــوائية البســـيطة simple random sample يـــتم الاختيار فيها بالقرعة مثلاً.. أما العينة العشوائية المنتظمة systematic sample فهي عينة يتبع فيها نظام ثابت يجمع بين العشوائية والانتظام؛ محمد الوفائي، مرجع سابق، ص١٤٠.

أ- اختيار (١٢) عدداً من كل صحيفة من صحف العينة، لكل سنة من سنوات الإطار الزماني، اعتماداً على مبدأ «ستمبل» القائل بالاكتفاء ب (١٢) عدداً للسنة، حيث تم اختيار عدد واحد من كل شهر .. وعلى ذلك، يتكون حجم العينة من (٧٢) وحدة (معاينة)[1]، من الأعداد الصادرة من الصحف الثلاث: الأهرام، الحياة، الخليج، خلال أشهر عامي ١٩٩٢-١٩٩٣م .

ب- اختيار العينة، في ضوء ذلك، وفقاً لما يأتي:

- اختيار عدد واحد فقط من كل شهر، عدا الحالات التي يتعذر فيها الحصول على أي من أعداد شهر بعينه، كما هو الحال بالنسبة لشهر أكتوبر ١٩٩٢م، حيث تعذر الحصول على أعداد صحيفة «الأهرام»، حيث تم اختيار عدد بديل من شهر مايو، كما هو مبين لاحقاً في «أسلوب الاستبدال».

- استخدام نظام «العينة العشوائية البسيطة» لاختيار وتحديد العدد (التاريخ) الأول من السنة الأولى (١٩٩٢م).. حيث وقع الاختيار عشوائياً على يوم السبت، الثامن عشر من يناير ١٩٩٢م، الواقع في الأسبوع الرابع من الشهر.

- استخدام نظام «العينة العشوائية المنتظمة» لاختيار بقية الأعداد (التواريخ).

- روعي في الاختيار نمط من الترتيب التصاعدي المنتظم، ضمن «العينة العشوائية المنتظمة»، يُمكن من خلاله تحقيق قدرٍ أفضل من الشمولية المطلوبة، وإن لم تكن هنا ذات دلالة تذكر على موضوع «الاتجاه»، بحيث تشتمل

---

(١) وحدة العينة (المعاينة) هي جميع الوحدات التي يتكون منها مجتمع البحث. فكل عدد من كل صحيفة تم اختيارها... خاضع للتحليل هو وحدة معاينة؛سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق،ص١١٧.

العينة على مختلف أيام الأسبوع وأسابيع الشهر، في ترتيبها ضمن كل شهر.. ويقوم ذلك النمط على أساس: أن يأتي العدد (التاريخ) الثاني من الشهر الثاني مـــن العينة، في الأسبوع التالي للأسبوع الذي وقع ضمنه اختيار العدد الأول عشوائياً، مع الأخذ بالاعتبار أن كل شهر يتكون من أربعة أسابيع، وأن يوم الســـبت هو اليوم الأول من الأسبوع، وأن يوم الجمعة هو اليوم الأخير منه، وأن الشــــهر إذا كانت بدايته تقع ضمن النصف الأول من الأسبوع، أي بين يومـــي السبت والثلاثاء، اعتبر ذلك الأسبوع بمثابة الأسبوع الأول من الشهر المعـــني، إما إذا كانت بدايته ضمن النصف الثاني من الأسبوع، أي بين يومي الأربعاء والجمعة، أسقط ذلك الأسبوع، واعتبر الأسبوع التالي بمثابة الأسبوع الأول من الشهر المعني.

– روعـــي النمط نفسه في اختيار الأيام المطلوبة من كل أسبوع، بحيث إذا وقـــع الاختيار عشوائياً على يوم السبت مثلاً، الذي يقع في الأسبوع الرابع من شـــهر يناير، فإن اليوم الذي يتم اختياره من بعد هو يوم الأحد، الذي يقع في الأسبوع الأول من شهر فبراير؛ وأن اليوم الذي يلي هو يوم الإثنين الذي يقع في الأســـبوع الثاني من شهر مارس؛ يليه يوم الثلاثاء الذي يقع في الأسبوع الثالث من شهر إبريل... وهكذا حتى اليوم الثاني عشر من السنة (الجدول رقم ١).

– استخدام الأسلوب نفسه لاختيار عينة المضمون(التواريخ) لعام ١٩٩٣م.. حيـــث وقـــع الاختـــيار عشوائياً على يوم الجمعة (١٩٩٣/١/٢٢م)، الواقع في الأســـبوع الثالـــث من شهر يناير.. وتم اختيار يوم السبت (٢٠ فبراير) الواقع في الأسبوع الرابع من الشهر... وهكذا حتى نهاية أشهر السنة (الجدول رقم ٢).

## - أسلوب الاستبدال:

من المشكلات الرئيسة التي واجهت العملية الإجرائية: كيفية توفير الأعداد كلها التي صدرت من صحف العينة على مدى العامين ١٩٩٢، ١٩٩٣م.. ولم يكن من سبل للحصول على المطلوب، في ظل الظروف الخاصة التي تم فيها إجراء البحث، سوى ثلاث: أرشيفي الخاص، أرشيف «دار الكتب القطرية»، وهي الدار المركزية للوثائق في دولة قطر، وأرشيف مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر.. وعلى الرغم من ذلك، كانت هناك صعوبة كبيرة في توفير الأعداد كلها، من الصحف الثلاث، خاصة أعداد عام ١٩٩٢م، مما استدعى وضع قاعدة «أسلوب» للاستبدال، يتم استخدامها في حالة تعذر الحصول على أي من أعداد العينة.

وتتلخص القاعدة في ما يأتي:

أ- النظر إلى أقرب يوم يلي اليوم الذي تم اختياره، فإن توفر العدد الصادر في ذلك اليوم و إلا نُظر في اليوم الذي سبق، فإن توفر وإلا نُظر في اليوم نفسه من الأسبوع التالي، بحيث إذا كان العدد المفقود هو عدد يوم الثلاثاء مثلاً نُظر في يوم الثلاثاء من الأسبوع التالي، فإن لم يتوفر نُظر في الأسبوع الذي يلي.

ب- أما إذا تعذر الحصول على العدد المطلوب وفقاً للقاعدة في إطارها السابق، تم اختيار أقرب عدد متوفر من الصحف الثلاث ضمن الشهر نفسه، دون أن يؤدي ذلك إلى التأثير في الترتيب الأسبوعي للأشهر، كما هو مبين في أسلوب الاختيار.

ج - وإذا تعذر الحصول على أي عدد من صحيفة معينة لشهر معين، تم الاستبدال بعدد من شهر آخر، كما حدث مع شهر أكتوبر ١٩٩٢م، حيث لم يتيسر توفير أي من أعداد «الأهرام» لهذا الشهر.. وتم اختيار اليوم وفق قاعدة المتوسط الحسابي كما يلي: ٣٦٦÷٣=١٢٢، حيث ٣٦٦ هي عدد أيام السنة، وهي سنة كبيسة، و(٣) عدد صحف العينة.. ويقع الرقم (١٢٢) ضمن شهر مايو، فهو بذلك الشهر الذي يتم اختيار اليوم المطلوب منه.. أما اليوم نفسه فقد تم تحديده وفق قاعدة المتوسط الحسابي أيضاً، حيث تم تقسيم ٣١ (عدد أيام الشهر) ÷ ٣ (عدد صحف العينة) = ١٠ تقريباً.. فكان اليوم المطلوب هو يوم العاشر من شهر مايو.. غير أنه لم يتيسر توفير العدد الصادر في هذا اليوم من «الخليج»؛ لذلك تم النظر إلى اليوم الذي يلي، ثم إلى اليوم المقابل من الأسبوع التالي، وهو يوم ١٧ مايو، فتم اعتماده؛ لتوفره على مستوى الصحف الثلاث.

وقد تم تطبيق القاعدة على نطاق واسع نسبياً في عينة عام ١٩٩٢م، حيث لم يكن من اليسير توفير المطلوب كله، فتم استبدال بعض الأيام بأخرى، كما يتضح من الجدول رقم (٣).. أما بالنسبة لعام ١٩٩٣م فإن القاعدة لم يتم تطبيقها إلا في شهر إبريل حيث لم يكن من اليسير توفير العدد الصادر في يوم (١٢) من صحيفة «الحياة»، وهو اليوم الذي وقع عليه الاختيار، فتم استبداله باليوم السابق (١١).

## ثانياً: فئات التصنيف[1]:

تعتبر عملية تحديد فئات تصنيف وتحليل المضمون من أهم خطوات التحليل، وأكـــثرها صعوبة واستهلاكاً للوقت والجهد العملي، والعقلي في الوقت نفسه، عـــلى الرغم مما قد يتبادر إلى الذهن في الوهلة الأولى من سهولة الأمر ويسره؛ ذلك أن الإعداد الجيد الواضح للفئات يؤدي، في الغالب، إلى التوصل إلى نتائج علمية وبحثية مثمرة[2]، مما استدعى مزيداً من بذل الجهد لاستخلاص وتشكيل مجموعة من فئات التصنيف، بحيث تعبر عن هوية البحث وتوجهه، وتتجسد فيها منطلقاته، وتستجيب في الوقت ذاته بقدر كبير من الإيجابية، لمحاولة الإجابة عن تســـاؤلاته، استصحاباً لما انتهت إليه بحوث سابقة استخدمت أسلوب «تحليل المضـــمون» دون التقـــيد بنمطـــية معيســـنة، قد لا تكون متوفرة أصلاً في مجال الدراسات الإعلامية والاجتماعية والإنسانية بشكل عام، وإن قيل غير ذلك.

إلا أن البحث لم يخرج بالضرورة عن الإطار العام للتصنيف الأساس المعمول بـــه في مجال «تحليل المضمون»، حيث تم تقسيم المحتوى إلى فئتين، أو قسمين، رئيســـين همـــا: فئة المضمون (ماذا قيل؟)، وفئة الشكل الذي قدمت فيه المادة الإخبارية (كيف قيل؟).

---

(١) تعـــرّف الفـــئات بأنها: «العناصر الرئيسة أو الثانوية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها... والتي يمكـــن وضـــع كـــل صفة من صفات المحتوى فيها، وتصنف على أساسها»، أو هي «مجموعة من التصسنيفات أو الفصائل يقوم الباحث بإعدادها طبقاً لنوعية المضمون ومحتواه وهدف التحليل، لكي يستخدمها في وصف هذا المضمون وتصنيفه بأعلى نسبة ممكنة من الموضوعية والشمول، وبما يتيح إمكانية التحليل واستخراج النتائج بأسلوب سهل وميسور» رشدي طعيمة،مرجع سابق،ص٦٢؛ سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٨٨.

(٢) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، المرجع السابق، ص٨٧-٨٨.

## جدول رقم (١)

### عينة المضمون المختارة وفقاً لترتيب الأسابيع والأيام (السنة الأولى - ١٩٩٢م)

| الشهر | يناير | فبراير | مارس | إبريل | مايو | يونيو | يوليو | أغسطس | سبتمبر | أكتوبر | نوفمبر | ديسمبر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| اليوم من الأسبوع | السبت | الأحد | الاثنين | الثلاثاء | الأربعاء | الخميس | الجمعة | السبت | الأحد | الاثنين | الثلاثاء | الأربعاء |
| ترتيب الأسبوع من الشهر | ٤ | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ١ | ٢ | ٣ |
| التاريخ | ١٨ | ٢ | ٩ | ٢١ | ٢٧ | ٤ | ١٧ | ١٥ | ٢٠ | ٥ | ١٠ | ١٦ |

## جدول رقم (٢)

### عينة المضمون المختارة وفقاً لترتيب الأسابيع والأيام (السنة الثانية -١٩٩٣م)

| الشهر | يناير | فبراير | مارس | إبريل | مايو | يونيو | يوليو | أغسطس | سبتمبر | أكتوبر | نوفمبر | ديسمبر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| اليوم من الأسبوع | الجمعة | السبت | الأحد | الاثنين | الثلاثاء | الأربعاء | الخميس | الجمعة | السبت | الأحد | الاثنين | الثلاثاء |
| ترتيب الأسبوع من الشهر | ٣ | ٤ | ٢ | ٢ | ٣ | ٤ | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ١ | ٢ |
| التاريخ | ٢٢ | ٢٠ | ٧ | ١٢ | ١٨ | ٢٣ | ٨ | ١٣ | ١٨ | ٢٤ | ١ | ١٤ |

## جدول رقم (٣)

### عينة المضمون المختارة للسنة الأولى (١٩٩٢م) بعد تطبيق قاعدة الاستبدال

| الشهر | يناير | فبراير | مارس | إبريل | مايو | يونيو | يوليو | أغسطس | سبتمبر | أكتوبر | نوفمبر | ديسمبر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| اليوم من الأسبوع | السبت | الأحد | الأربعاء | الأربعاء | الأربعاء | الأحد | الجمعة | الأحد | الخميس | الأحد | السبت | الإثنين |
| ترتيب الأسبوع من الشهر | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ | ٤ | ٢ | ٢ | ٣ | ٢ | ٣ | ٤(٥) | ٣ |
| التاريخ | ١٨ | ١٦ | ١٨ | ٢٢ | ٢٧ | ٧ | ١٧ | ١٦ | ١٠ | ١٧مايو | ٢٨ | ١٤ |

**القسم الأول:** فئات المضمون:

وتم تحديدها في ضوء اعتبارات ستة، هي:

١- موضــوع المادة الإخبارية (الصراع حول السلطة؛ الصراع حول الوطن؛ الصراع حول السيادة والنفوذ).

٢- السمات السياسية-الفكرية (السلطة السياسية الحاكمة؛ حركة التمرد).

٣- مصدر المادة الإخبارية (مصادر ذاتية؛ مصادر غيرية).

٤- منشــأ المادة الإخبارية (السودان، جنوبي السودان، دول الجوار العربي، دول الجوار الإفريقي، دول مصالح، وغيرها).

٥- أجندة الصحافة العربية المشرقية إزاء الإشكالية (وحدة؛ وحدة مشروطة «سودان حديث»؛ انفصال؛ حكم ذاتي؛ أخرى).

٦- اتجاه مضمون المادة الإخبارية (مؤيد؛ معارض؛ متوازن).

**القسم الثاني:** فئات الشكل:

وتم تحديدها في ضوء اعتبارات أربعة، هي:

١- موقع المادة الإخبارية في الصفحة الأولى (رئيس أول«مانشيت١»؛ رئيس ثاني«مانشيت٢»؛ خبر أولى).

٢- مساحة المادة الإخبارية (عدد الأعمدة التي تشغلها المادة الإخبارية).

٣- مساحة العنوان (عدد الأعمدة التي يشغلها عنوان المادة الإخبارية).

٤-حجم العنوان (عدد الخطوط العرضية التي يتكون منها العنوان).

## - فئات المضمون:

تحــتل فئات المضمون الحيز الأكبر في فئات التصنيف، مقارنة مع فئات الشــكل؛ فهــي من أهم المرتكزات التي تكشف عن جانب من إمكانيات الباحــث ومــدى استيعابه لموضوع بحثه ومشكلته الأساس، والأهداف التي يسعى لتحقيقها، والتساؤلات التي يجتهد في التوصل إلى الإجابة عنها.

### الفئة الأولى: فئة الموضوع:

تعتــبر فئة الموضوع، الفئة الرئيسة الأكثر أهمية، حيث يقوم عليها، بشكل أساس، التصنيف والتحليل، بهدف الكشف عن مراكز ومستويات الاهتمام في المضــمون، والمقارنة الكمية بين هذه المستويات، والدور الذي يمكن أن تكون «الصــحافة العربــية المشرقية اليومية» قد اضطلعت به في تغطية الصراع، على مســتوياته المختلفة، ومن ثم الكشف عن السياسات التحريرية للصحف، محل البحــث، التي تكشف بدورها عما يكمن وراءها من توجهات واتجاهات إزاء الموضــوع؛ ذلــك أن الوســيلة الإعلامــية، أيــاً كان نوعها، تعطي اهتماماً للموضوعات والأخبار التي تتفق مع سياستها التحريرية، فما ينشر منها يعتبر أهم بكثير مما لا ينشر، وما ينشر بتوسع يعتبر أهم أيضاً مما ينشر في مجالات محددة[1].

وتم تصــنيف الموضــوع وفقــاً لما يفترضه البحث من أن مشكلات الســودان،على المستوى الداخلي، تتمحور حول مشكلتين رئيستين: الأولى هي مشكلة الصراع بين القوى والتيارات السياسية المختلفة حول السلطة،

(١) محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى**، مرجع سابق، ص١٢٠.

أو الحكم .. والثانية هي ما يمكن أن يُطلق عليه: مشكلة الصراع حول الوطن، الذي يتجسد بشكل أساس في «الإشكالية في جنوبي السودان».

ثم إنه في عالم اليوم، الذي طوت فيه وسائل الاتصال وأدوات التواصل الحديثة المسافات والأزمان بين الأمم والشعوب، وتجاوزت بالإنسان السدود، وتخطت به الحدود والقيود، لم يعد هناك ما يمكن أن يسمى «مشكلات داخلية» وأخرى «خارجية»، إذ أصبح لكل مشكلة داخلية بعدها الخارجي، ولكل حدث خارجي آثاره على الداخل وانعكاساته على متغيراته.. ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في كثير من المشكلات التي يعاني منها السودان، على أكثر من مستوى، ويتجلى بشكل خاص في محاولات «البعد الخارجي»، ممثلاً في عدد من دول الجوار العربي والإفريقي وغيرها من الدول ذات المصلحة في أن يكون لها وجود وحضور ما في السودان، اختراق السيادة الوطنية، وفرض نوع من النفوذ السياسي والثقافي والاقتصادي والعسكري الأجنبي على البلاد، وما نشأ عن ذلك مما يمكن أن يطلق عليه «الصراع حول السيادة والنفوذ».

وعلى خلفية ذلك، تم تصنيف الموضوع وتقسيمه إلى فئات رئيسة ثلاث، هي: الصراع حول السلطة، والصراع حول الوطن، والصراع حول السيادة والنفوذ.. وتفرعت عن كلٍ منها فئات فرعية، على النحو الآتي:

### ١ – فئة «الصراع حول السلطة»:

وتتمحور أساساً حول الصراع السياسي بين القوى السياسية السودانية المختلفة حول السلطة، بكل ما يعنيه مفهوم الصراع السياسي من« التصادم

والتعارض بين طرفين أو أكثر بينهما اختلافات قيمية ومصلحية، وينخرطان في سلسلة من الأفعال وردود الأفعال الإرغامية التي تهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالطرف، أو الأطراف الأخرى، مع سعي كل طرف إلى تعظيم مكاسبه على حساب الآخرين وتأمين مصادر قوته»[١]. ويتفرع عنها فئات ثلاث:

أ- **محاولات التغيير سياسياً**: ويراد بها المحاولات التي تبذل على مستوى الداخل، من قِبل القوى والتيارات السياسية المختلفة لتغيير السلطة السياسية الحاكمة باستخدام أدوات العمل السياسي السلمي، بعيداً عن أدوات وأعمال العنف السياسي.. وتتمثل أهم عناصر ذلك في: الحوار والمجادلة بالحسنى، وطرح مشروعات بديلة (لمشروعات السلطة)، والإضرابات، والاعتصامات، والاستقالات الجماعية، وإصدار المنشورات والبيانات ذات الصلة، والتظاهرات التي لا يترتب عليها، أو ينتج عنها أي نوع من أعمال التخريب والتدمير للممتلكات العامة أو الخاصة، ونحو ذلك.. ويدخل في إطارها أيضاً الدعوات السياسية لانتفاضة شعبية، ولما يسمى «الجهاد المدني»[٢].

ب - **محاولات التغيير بالعنف**: ويراد بها المحاولات التي تبذل من القوى والتيارات السياسية المختلفة لتغيير السلطة السياسية الحاكمة بالقوة واستخدام أدوات العنف السياسي، التي تتجسد في «كافة الممارسات التي تتضمن استخدامًا فعلياً للقوة أو تهديدًا باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية تتعلق

---

(١) حسنين توفيق إبراهيم، مرجع سابق، ص٥٥.

(٢) يشير ذلك إلى الدعوة التي أطلقها الصادق المهدي.

بشكل نظام الحكم وتوجهاته الأيديولوجية أو بسياساته الاقتصادية»[1].. وتتمثل أهم عناصر ذلك في: اعتماد العمل المسلح، بكل أشكاله، وسيلة للتغيير، كما في حالة: القيام بعمل عسكري داخلي (انقلاب عسكري)، أو عمل عسكري خارجي تأتي طلائعه من الخارج (أنموذج يوليو ١٩٧٦م)، أو عمل سياسي عسكري (انتفاضة شعبية تساندها فصائل من القوات المسلحة).. كما تتمثل في: عمليات التخريب والحرق والتدمير للمنشآت والممتلكات العامة والخاصة، ومحاولات الاغتيال لرموز السلطة الحاكمة، ونحو ذلك.

ج- **محاولات الإصلاح السياسي:** يراد بها محاولات الإصلاح، والجهود التي تبذلها السلطة السياسية الحاكمة لتغيير الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي القائم، على مستوى الإنسان والدولة والمجتمع.. وتتمثل أهم عناصر ذلك في: محاولات الارتقاء بوسائل إعداد وصياغة الإنسان السوداني، على المستويات كافة، باعتباره محل التنمية، بمفهومها الشامل، وأداتها ؛ وما يتم اتخاذه من قرارات وإجراءات، وما يعقد من مؤتمرات وندوات، ونحو ذلك.. كما تتمثل في: ما يدور حول «المشروع الحضاري» المطروح من قِبل السلطة، والتأكيد على أهمية الاعتصام «بالفكرة»، ورفض هيمنة (الآخر)، أياً كان، ومحاولات تحقيق التنمية الشاملة، والسعي لتحقيق الاكتفاء الذاتي، من المأكل والملبس.. وغير ذلك.

(١) حسنين توفيق إبراهيم، المرجع السابق، ص٥٢.

## ٢- فئة الصراع حول الوطن «الإشكالية في جنوبي السودان»:

تعتبر «الإشكالية في جنوبي السودان» أمُّ المشكلات وأس البلايا، في السودان، على المستويات كافة، الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، سواء كان ذلك بسبب عمرها المتطاول؛ أو بداياتها التي ترافقت مع مرحلة التحرر الوطني والاستقلال السياسي؛ أو بسبب استمرارها واستنزافها لإمكانات البلاد الاقتصادية وطاقاتها البشرية ومواردها الطبيعية، وعجز الحكومات السودانية المتعاقبة، مدنية كانت أو عسكرية، عن التوصل إلى إيجاد حل يعالج أسبابها وينهي مظاهرها (العسكرية بخاصة)؛ أو بسبب ما ترتب عليها، ونتج عنها من آثار ثقافية فكرية، وأخطار سياسية، وتدخلات أجنبية، وتداعيات إنسانية واجتماعية وبيئية، وغير ذلك.

وساهمت هذه العوامل جميعاً في ترجيح اتخاذها أنموذجاً للبحث، بحيث يمكن من خلال إخضاع أسلوب المعالجة الإخبارية لأحداثها وتطوراتها للتحليل، الكشف عن « اتجاهات» الصحافة العربية المشرقية، ومن ثمّ التعرف على ملامح «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي.. فهي إشكالية «حضارية الصنع» ذات جذور ثقافية وأبعاد فكرية، بحيث يمكن اعتبارها من أخطر المشكلات القائمة اليوم، ليس على مستوى السودان وحسب، وإنما على مستوى العالم الثالث بعامة والوطن العربي الإسلامي بخاصة..فهي تعبير، أو يراد لها أن تكون تعبيراً، عن صراع كامن، أو متفجر، بين فكرتين، وربما بين حضارتين، يَفْتَرِض فيهما «إنسان الحضارة الغربية» التصادم والتصارع.. ولأغراض البحث، يتفرع عنها هنا فئات ثلاث:

أ- **العمل العسكري (لصالح السلطة):** يمكن النظر إلى العمل العسكري بشكل عام، في جنوبي السودان، كمظهر من أبرز مظاهر «الإشكالية» وأسباب استمراريتها، وفي الوقت نفسه أداة من أهم الأدوات المعتمدة لحلها.. وتتمثل أهم عناصر هذه الفئة في: ما ينشر عن ما يحققه الجيش الحكومي من نجاحات وانتصارات في ساحات الوغى، واسترداد وتحرير لبعض المواقع والمدن من سيطرة حركة التمرد، وما يحظى به من تأييد ومساندة شعبية على المستوى الداخلي. كما تتمثل في: ما ينشر عن إخفاقات الحركة، وفقدانها لمواقع ومدن وجنود، بين قتيل وأسير وجريح، ونحو ذلك.

ب- **العمل العسكري (لصالح الحركة):** وتتمثل أهم عناصر ذلك في: ما ينشر عن ما تحققه حركة التمرد من نجاحات وانتصارات عسكرية، وماتعلنه عن مقتل وجرح وأسر جنود تابعين للجيش الحكومي أو لقوات الدفاع الشعبي المناصرة له، واحتلالها لمدن ومواقع جديدة، واستيلائها على غنائم من الجيش، وانضمام مزيد من المحاربين والمناصرين إليها...كما تتمثل في:ما ينشر عن إخفاقات الجيش الحكومي وفقدانه لمواقع ومدن وجنود، ونحو ذلك.

ج- **مشروعات الحل السياسي:** تعتبر مشروعات«الحل السياسي» المطروحة الوجه المقابل لمشروع «الحل العسكري».. وتتمثل أهم عناصر ذلك في: الدعوات المتنوعة المصادر «للتفاوض»[1] وما يعقد فعلياً من جولات وجلسات تفاوضية بين الحكومة وحركة التمرد، وإجراءات التحضير

(1) التفاوض أداة ووسيلة، غير أنه في ظل أجواء الحرب المسيطرة على الإشكالية، أصبح غاية بحد ذاته يشير تحققها إلى سير الأطراف على طريق قد ينهي حالة الحرب ويحقق الأمن والسلام، لذلك أدرجه الباحث ضمن مشروعات الحل السياسي.

وجلسات تفاوضية بين الحكومة وحركة التمرد، وإجراءات التحضير والترتيب لها، وما يكون من اتفاقات لوقف إطلاق النار، أو المطالبة بوقف إطلاق النار.. كما تتمثل أيضاً في: الدعوات المختلفة «للتدويل»[1]، واستدعاء (الآخر) غير السوداني، دولاً أومنظمات إقليمية ودولية، للتدخل في «الإشكالية» والإسهام في إيجاد حل لها، سواء كان ذلك وفق شروط وأجندة الحركة أو وفق مرئيات السلطة الحاكمة.

## ٣- فئة «الصراع حول السيادة والنفوذ»:

وهي تتصل بما اهتمت «الصحافة العربية المشرقية اليومية» بإبرازه والتركيز عليه في إطار «الصراع حول السيادة والنفوذ»: سيادة الدولة على الوطن، ومحاولات «البعد الخارجي»، ممثلاً في عدد من دول الجوار العربي والإفريقي وغيرها من الدول ذات المصلحة، اختراق هذه السيادة الوطنية، ومن ثمّ فرض نفوذها على البلاد.

وتتأكد أهمية هذه الفئة بالنظر إلى أن المشكل السياسي في السودان يعتبر في واحد من أهم أبعاده مشكلة علاقات خارجية، سواء كان ذلك بسبب «الإشكالية»، التي تتورط فيها عدة دول، منذ نشأتها مروراً بعوامل وأسباب استمراريتها ومشروعات الحل التي تطرح لها؛ أو بسبب «الفكرة» والمشروع الفكري السياسي «المشروع الحضاري» الذي تتبناه السلطة الحاكمة، ويبدو

(١) التدويل كالتفاوض، أداة ووسيلة للنظر في مشروعات معينة لحل الإشكالية، من قبل الدول الأخرى والمؤسسات الدولية، غير أنه أصبح بحد ذاته، فيما يلحظ، مشروعاً من مشرعات الحل السياسي التي تنادي بها بعض القوى السياسية.

مناقضاً لما هو سائد ومطروح من مشروعات، إقليمياً وعالمياً؛ أو بسبب نزوع المعارضة السودانية – في إطار النزوع العام للمعارضات العربية اليوم– إلى (الآخر) الثقافي والسياسي، والتجائها إليه، واحتمائها به، وطلب العون منه، لمواجهة السلطة السياسية الحاكمة، على الرغم مما يمكن أن يقال عن إن هذا النزوع قد يكون في بعض جوانبه مظهراً وإفرازاً للمشكل السياسي وليس سبباً من أسبابه؛ أو لغير ذلك من الأسباب.

ومن أهم الفئات، الفرعية، التي يمكن أن تندرج في إطار هذه الفئة، وفقاً لمفهوم «الصراع بين السيادة والنفوذ» في هذا البحث، ثلاث:

أ- **التطور الإيجابي في العلاقات الثنائية**: ويراد بذلك أن العلاقات الثنائية، بين السودان والدول الأخرى، سواء دول الجوار العربي أو الإفريقي أو المصالح، تشهد حالة تتسم بالاستقرار والهدوء ويسودها الود والتلاطف الدبلوماسي، وتميل إلى نوع من التطور الإيجابي، الذي تتمثل أهم عناصره في: الاتصالات الودية وتبادل الرسائل والزيارات والوفود الرسمية والشعبية، والحوار والتفاوض بالتي هي أحسن، وعقد الاجتماعات واللجان المشتركة، وما ينجم عن ذلك من معاهدات واتفاقات، سياسية، اقتصادية، ثقافية، عسكرية، وما يكون من تقديمٍ لتنازلات وتراجعات عن بعض الإجراءات التي يتم اتخاذها، ونحو ذلك.

ب- **التوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة الحاكمة)**: يراد بذلك الحالات التي تشهد فيها العلاقات الثنائية بين السودان والدول

الأجنبية توتراً، وتسيطر عليها المشكلات والخلافات والمواجهات في المجالات المختلفة، بسبب ما ينسب إلى السلطة السياسية الحاكمة من ممارسات.. وتتمثل أهم عناصر ذلك في ما يوجه إلى السودان من اقامات، تتصل: بانتهاك حقوق الإنسان، ومصادرة الحريات العامة، ومطاردة المعارضين واعتقالهم.. ويدخل في ذلك ضمناً ما يقال عن ديكتاتورية السلطة الحاكمة؛ وقمديد السودان للأمن الإقليمي، بتهديده أمن الآخرين، خاصة دول الجوار العربي والإفريقي؛ ودعم وإيواء الإرهاب، الذي يعني دعم حركات العمل الإسلامي؛ وتصدير الثورة، وما يعنيه من اقام السودان بالعمل على نشر «الفكرة» وتصدير طروحاها؛ والتمييز الديني والعرقي.. ويدخل ضمن هذه الفئة كذلك، ما يمس المصالح المصرية في السودان[1]، التي تتمحور أساساً حول: مشكلة الوجود المصري في حلايب، والتعليم المصري ومؤسساته القائمة، ومياه النيل وما يتصل بها من اتفاقات ومشروعات الري المصري في السودان ونحو ذلك.

**ج- التوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات الدول الأجنبية):**

يراد بذلك الحالات التي تشهد فيها العلاقات الثنائية بين السودان والدول الأجنبية (دول جوار، أو مصالح...) توتراً وتسيطر عليها المشكلات والخلافات والمواجهات في المجالات المختلفة، بسبب ما ينسب إلى هذه الدول من محاولات لاختراق السيادة الوطنية. وتتمثل أهم عناصر ذلك في: حالات العداء التي تتجلى أساساً في التهديد «العدائي» باتخاذ إجراءات سياسية أو اقتصادية،

---

(١) خُصَّت مصر دون غيرها من الدول بسبب حساسية العلاقات المصرية السودانية، والوجود المصري في السودان منذ الحقبة الاستعمارية، وتأثيره على السياسية السودانية في مختلف الحقب السياسية، ولغير ذلك من الأسباب.

واســـتخدام القوة العسكرية؛ و«العدوان»[1] الذي تتجاوز فيه الدول الأجنبية حـــدود العـــداء والتهديد لتبلغ مستوى من التنفيذ الفعلي للتهديد «العدائي»، فتـــتخذ إجـــراءات سياسية واقتصادية ودبلوماسية وعسكرية ضد السودان؛ والدعـــم المعنوي والسياسي والمادي والعسكري الذي تحظى به حركة التمرد أو فصـــائل المعارضة الشمالية من الدول الأجنبية .. كما تتمثل أيضاً في : مـــا تـــتخذه السلطات المصرية من إجراءات ومواقف فيما يتصل بمشكلة حلايب، أو ضد المصالح السودانية في مصر، ونحو ذلك.

## الفئة الثانية:السمات السياسية-الفكرية (للسلطة والحركة):

تعتبر «السمات»، التي يطلق عليها أحياناً «فئة القدرات»، من أهم فئات التحلـــيل وأدواته.. فهي تستخدم لبيان ووصف الخصائص الشخصية، وأهم السمات النفسية، وبعض المعايير الأخرى التي تسعى إلى وصف سمات الأفراد المتضـــمنين في الاتصـــال وخصائصـــهم..كمـــا تستخدم في وصف بعض المؤسسات وبعض السياسيين[2].. وترتبط ارتباطاً وثيقاً بفئة «الفاعل»، فهي مـــن ناحية امتداد وصفي له، ومن ناحية أخرى تعبير دقيق يكشف عن رؤية الواصـــف للموصـــوف، ورأيه فيه، وما يسعى لصناعته من صور ذهنية في مخيلات القراء.

---

(١) العدوان الظلم، وتجاوز الحد. وهو صفة من يعدو على غيره... ويطلق لفظ العدوانية أيضًا على ميل الإنســـان إلى الأعمال العنيفة، جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، الجزء الثاني، د.ط (بيروت: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٩٨٢م) ص٦٧.

(٢) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٩٤.

ويراد بـــ «السمات» في هذا البحث: التعبير، أو المصطلح، أو الوصف، أو الصـــفة، ذو الدلالة على اتجاه الصحافة العربية، عينة البحث، إزاء كلٍ من «الإشـــكالية»، أنموذج الدراسة، والسلطة السياسية الحاكمة، القوة السياسية الأساس التي تقف في وجه حركة التمرد. ذلك « أن التعبير، بمختلف أدواته، هـــو الشـــكل المـــنظور المحسّ المبيِّن لطبيعة التفكير.. فالكلمة، والمصطلح، وانـــتقائه، ومـــا ينطوي عليه ويرمز إليه من مخزون ثقافي وإيحاء فكري، هي الوسائل"الروائز" الأدق، قياساً وتقويماً، والأكثر ملاءمة للكشف عن الاتجاه، وتحديد الوجهة، والدلالة من ثمّ على «البعد الفكري».. فالمرء، كما في المثل العربي وكما أسلفت، «مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر».

وفي دلالات حديث الرسولﷺ الذي كشف فيه عن «اتجاهات» أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها إزاءه، من خلال بعض الألفاظ التي تستخدمها، في حـــالات نفسية مختلفة، ما يعين ويوضح ويؤكد ما ينطوي عليه التعبير من دلالة على «اتجاه» صاحبه إزاء الناس والأشياء والقضايا والمشكلات.

فقـــد أخرج الإمام البخاري (رحمه الله) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عـــنها «قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **إني لأعلمُ إذا كنتِ عني راضيةً، وإذا كنـــت عليَّ غَضْبى.** قالت: فقلت:من أين تعرف ذلك؟ فقال: **أمَّا إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غضْبى قلت: لا ورب إبراهيم.** قالت:قلتُ: أجل، والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك»[1].

---

(١) أبـــو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ضبط وتعليق مصطفى ديب البغا، المجلد الخامس، ط ١ (دمشق – بيروت: دار القلم، ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م) ص٢٠٠٤.

لذلـــك تبقى «السمات»، وخاصة في الإطار السياسي والفكري، من أكثر الفـــئات دلالـــة على «اتجاهات الصحافة العربية»، عينة البحث، إزاء السودان وسلطته السياسية الحاكمة بشكل عام، و«الإشكالية» في جنوبيه بشكل خاص.. وعلى سبيل المثال، هناك فرق كبير، من حيث الدلالة السياسية والفكرية، بين أن تختار «الصحافة العربية»، عينة البحث، مصطلحات ومفردات من قبيل «الثورة» أو «الحركة الشعبية» أو « المعارضة الجنوبية»، تطلقها على حركة التمرد، وبين أن تختار مصطلحات ومفردات مثل: «حركة التمرد» أو «الانفصاليين» وما شابه ذلـــك. فكلٌ من هذه المصطلحات والمفردات والأوصاف أو «السمات» التي تجسدها اللغة، يعبر عن وجهة نظر معينة، وبالتلو عن «اتجاه» محدد إزاء الحركة، وإزاء الطرف الآخر، في الوقت ذاته.

وعـــلى خلفية ذلك، فإن مما يستهدفه استخدام «السمات»، في بعديها السياسي والفكري، أمران:

**الأول:** الكشـــف عن «اتجاهات الصحافة العربية»، عينة البحث، إزاء «الفكرة» التي تتجسد وقتها في السلطة السياسية الحاكمة.

**الـــثاني:** الكشـــف عن مدى استخدام « الصحافة العربية» لمصطلحات (الآخـــر) الثقافي في التعامل مع «الفكرة»، التي تستمد منها السلطة السياسية الحاكمة مشروعيتها السياسية، والأفكار المناوئة لها، خاصة تلك التي تتجسد في حركة التمرد، في ذلك الوقت.

وفي ضوء ذلك كله، تم تصنيف «السمات»، وهي في حالتها اللفظية، كما وردت في استخدامات «صحف العينة»، إلى فئتين، يتفرع عن كلٍ منهما مجموعة من الفئات، بعضها يحمل قيماً إيجابية وبعضها الآخر يعبر عن توجهات سلبية، على النحو الآتي:

**١- فئة«السمات السياسية (الهوية السياسية) للسلطة السياسية الحاكمة»:**

وهي عبارة عن الأوصاف والمصطلحات «السمات» التي تطلقها «صحف العينة» تعبيراً عن رأيها في (الهوية السياسية-الفكرية) للسلطة السياسية الحاكمة، وبالتلو عن اتجاهها أيضاً إزاء «الفكرة » التي تتبناها السلطة.. ذلك أن الفصل بين الفكري والسياسي أمر من الصعوبة بمكان، وإن اقتضته العملية البحثية هنا، فالسياسي لا يخرج في نهاية الأمر عن كونه الوجه المنظور للفكري. وتتلخص في الفئات الآتية، التي تم حصرها، في صيغها التي وردت بها، في مرحلة الدراسة المبدئية:

أ- **الحكومة السودانية:** تعبير يحمل معنى الاعتراف الضمني بالسلطة السياسية الحاكمة.

ب- **حكومة الخرطوم:** تعبير يحمل معنى الاعتراف الضمني بالسلطة السياسية الحاكمة ولكنه ينطوي على معنى أن سلطة الدولة لا تتجاوز نطاق العاصمة الخرطوم.

ج- **نظام الخرطوم:** تعبير يحمل معنى عدم الاعتراف الصريح بالسلطة الحاكمة.

د- **نظـــام الترابي – البشير**: تعبير يحمل معنى التأكيد على العلاقة بين السـلطة السياسية الحـاكمة و«الجبهـة الإسـلامية القومية».. كمـا ينطوي على محاولـة تجسـيد الفـكرة في شخصي الرئيس عمر البشير والدكتور حسن الترابي.

هـ - **نظـــام الفريق البشير**: تعبير يشير إلى السمة العسكرية للسلطة السياسية الحاكمة من حيث كونها سلطة عسكرية انقلابية.

و- **حكومـــة البشير**: وهو لون من المحاولة لتجسيد الفكرة في شخص الرئيس.

ز- **نظـــام الجـــبهة**: تعبير يحمل معنى أن «الجبهة» هي التي تحكم، وأن السلطة، كل السلطة، بيد الجبهة.. كما ينطوي على محاولة تجسيد «الفكرة» في جماعة «الجبهة».

ح- **نظام مدعوم من قبل الجبهة** (الجبهة التي تساند النظام): تعبير يشير إلى دور «الجـبهة» الداعم للسلطة، وأن بعض السلطة، وليس كل السلطة، بيد «الجبهة».

ط- **الـنظام**: وهـو تعبير سلبي، ومن أكثر التعبيرات السلبية استخداماً لوصف السلطة السياسية الحاكمة، ويستمد سلبيته أساساً من كونه لا يستخدم في الصحافة العربية إلا لوصف بعض الأنظمة السياسية، دون غيرها.. ويدخل ضمن ذلك تعبير: «نظام دخيل على الشعب السوداني» الذي ينطوي على معنى أن السلطة الحاكمة نظام سياسي مرفوض، لا يجد قبولاً بين أفراد الشعب السوداني.

## ٢- فئة «السمات السياسية (الهوية السياسية) لحركة التمرد»:

وهـــي عـــبارة عـــن الأوصاف والمصطلحات «السمات» التي تطلقها «صـــحف العيـــنة» تعـــبيراً عن رأيها في (الهوية السياسية-الفكرية) لحركة التمرد.. وتتلخص في الفئات الآتية:

أ- **الحـــركة الشعبية لتحرير السودان**: تعبير ينطوي على معنى وصف حـــركة التمرد بأنها حركة تحرر وطني..ويدخل في ذلك تعبير«الجيش الشعبي لتحرير السودان».

ب- **الثوار**: تعبير يصف الحركة بأنها ثورة (شعبية) على ظلم وقع.

ج- **المعارضـــة (العســـكرية) الجنوبية**: تعبير يصف حركة التمرد بأنها حـــركة معارضة سياسية جنوبية للسلطة السياسية الحاكمة، وينـــزع عنها بالتلو صفات التمرد و«الانفصال».

د- **حـــركة التمرد** (المتمردون، الانفصاليون): تعبير يحمل معنى وصف الحركة بأنها حركة تمرد انفصالية.

هـــ - **المناوئون**: وهو تعبير يصف حركة التمرد بالمعارضة والبعد عن إمكان الالتقاء بينها وبين السلطة السياسية الحاكمة.

## الفئة الثالثة: مصدر المادة الإخبارية (authority):

تفيد فئة «المصدر» في الكشف عن الشخص أو المجموعة أو الجهة مصدر المعلومـــة، وتشـــير عادة إلى الأداة التي تحصل من خلالها الصحيفة على الخبر الصحفي.. وتتمثل أهم مصادر العمل الصحفي في: الأشخاص، والصحف، والمحطات الإذاعية أو التلفزيونية، والكتب، والأفلام، والمصادر غير الشخصية،

والوثائق، وغيرها من المصادر[1]. فهي تكتسب أهميتها مما ينطوي عليه مصدر الخبر من تأثير في هويته ومصداقيته والغايات الواضحة والكامنة من ورائه[2]، ولما يمكن أن تمنحه معرفة المصدر من تصور أو فكرة «عن التوجهات السياسية أو الفكرية للكاتب أو الصحيفة»[3].

وفي هذا البحث، فهي عبارة عن: الفئة التي تكشف عن الجهة أو الجهات «المرسل، القائم بالاتصال، ومصادره»، التي تعمل على إعداد وصياغة المعلومات والرسائل الإخبارية، التي يراد من نشرها صحفياً إيصال رسالة معينة حول الصراع السياسي في السودان: على مستوى السلطة، أو الوطن، أو السيادة والنفوذ، مما يمكن أن يسهم، بشكل أو بآخر، في تكوين رأي عام سوداني وعربي وفقاً لما يصبو إليه «المصدر».

وفي ضوء ذلك، تم تقسيم الفئة إلى فئتين فرعيتين، يتفرع عن كلٍ منهما فئات تحت الفرعية، على النحو التالي:

**١ – فئة « مصادر ذاتية»:**

وهي مصادر المعلومات الخاصة بالصحيفة.. ومن أبرزها مصدران:

أ– **المندوب الصحفي**: ويراد به المحرر الذي يعمل متفرغاً لحساب الصحيفة، من داخلها.. وهو يحصل على معلوماته إما مباشرة من موقع الحدث، أو عبر الاتصال الهاتفي بصانعيه أو المعنيين به.

---

(١) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٩٥؛ فاروق ، فن الخبر الصحفي، ص١٦٩–ت.

(٢) «الانتفاضة الشعبية الفلسطينية: تحليل مضمون الصحافة المصرية.. ديسمبر٨٧–مايو١٩٨٨»، **الأهرام**، ١٢/١٠/١٩٨٨، ص١١.

(٣) محمد الوفائي، مرجع سابق، ص١٥٩.

ب- **المراسل الخارجي**:ويراد به المحرر الذي يعمل لحساب الصحيفة، ولكن ليس من داخلها، وإنما يمارس مهنته، متفرغاً أو متعاوناً، من مواقع الأحداث، أو قريباً منها.

٢ - **فئة «مصادر غَيْرِيّة»**:

وهي مصادر للمعلومات، من خارج المؤسسة الصحفية، ولا تنتسب إليها مهنياً، ولكن تحصل منها الصحيفة، بواسطة مصادرها الذاتية «المندوب أو المراسل» على ما تنشره من معلومات حول الأحداث، سواء كان ذلك بناءً على اتفاق مسبق أو بدونه.. ومن أهمها هنا:

أ- **سودانية رسمية**: وهي عبارة عن مصادر إعلامية رسمية تتبع للحكومة السودانية، مثل: وكالة الأنباء (سونا)، ومحطتي الإذاعة والتلفزة، والصحف والمجلات السودانية، وغير ذلك مما يصدر عن جهات رسمية مسؤولة.

ب- **سودانية معارضة**: وهي عبارة عن مصادر إعلام المعارضة السياسية أو العسكرية السودانية، من صحف ومجلات، وبيانات ومنشورات، ومواد إذاعية تصدر عن إذاعات خاصة بالمعارضة، ونحوها ذلك.

ج- **عربية وإفريقية**: وهي عبارة عن مصادر إعلام الدول العربية والإفريقية، التي تستقي منها الصحافة العربية، عينة البحث، معلوماتها عن الحدث السياسي في السودان.. وتشمل: وكالات الأنباء، والصحف، ومحطات الإذاعة والتلفزة، وغير ذلك مما يصدر عن جهات إعلامية عربية وإفريقية.

د- غربية: وهي عبارة وسائل الإعلام الغربية بشكل عام ووكالات الأنباء بشكل خاص، التي تعبر عن اتجاهات « إنسان الحضارة الغربية» إزاء الأحداث، وتستقي منها «الصحافة العربية»، عينة البحث، معلوماتها حول الشأن السياسي في السودان(1).

هـ – أخرى (ويدخل في ذلك ما يطلق عليه المصادر المقنّعة).

## الفئة الرابعة: منشأ المادة الإخبارية (origin):

تشير فئة المنشأ في هذا البحث إلى المنشأ المكاني للمعلومات الصحفية، بمعنى: المكان الذي تحصل منه «الصحافة العربية»، عينة البحث، على معلوماتها الإخبارية (الخبر الصحفي) حول الشأن السياسي في السودان.

وتكتسب أهميتها، مما يمكن أن تكشف عنه من جوانب مهمة في المضمون، قد تجيب عن بعضٍ مما هو مثار من تساؤلات بشأن «اتجاه المعلومة»، ومدى صدقها، وإمكانية تعميمها، إضافة إلى أنها تكشف أيضاً عن التوزيع الجغرافي للاهتمامات ونقاط التركيز، كما يشير إليها المضمون الإعلامي محل التحليل، مما يضيف للتحليل أبعاداً أكثر شمولاً(2).

---

(1) يجيء التأكيد على وكالات الأنباء الغربية الكبرى، أكثر من غيرها من وسائل الإعلام الغربية، من صحف، وإذاعات، ومحطات تلفزة، نظراً للدور الخطير الذي تضطلع به هذه الوكالات في وضع جدول الأعمال، وتحديد وتعريف قيم الأخبار والأسلوب والشكل، لوسائل إعلام العالم الثالث، الذي يعتبر الإعلام العربي جزءاً منه، فقد "تأثرت قيم الأخبار لدى محرري العالم الثالث بشكل وأسلوب الأخبار كما تقدمها وكالات الأنباء، وأيضاً بالوزن النسبي الذي تضيفه الوكالات على نوعية ما من الأخبار وكثيراً ما أثرت الوكالات في ممارسات عملائها من خلال قوة النموذج والمثل وعن طريق تعرض المحررين المستمر لأسلوب التغطية الإخبارية الغربية"؛ منير ك. ناصر، مرجع سابق، ص٨٨-٨٩.

(2) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٩٥.

وأبرز «التحليل المبدئي»[1] أن منشأ المادة الإخبارية حول الشأن السوداني، قد يكون سودانياً وقد يكون غير سوداني . فإن كان سودانياً، فهو إما أن يكون من السودان بعامة، ومن الخرطوم العاصمة بخاصة؛ أو يكون من جنوبي السودان، حيث تدور كثير من الأحداث التي تتصل بالصراع حول الوطن.

وأما إن كان غير سوداني، فهو واحد من ثلاث: إما دولة من دول الجوار العربي، أو دولة من دول الجوار الإفريقي، أو دولة من دول المصالح.. حيث تم تصنيف الدول التي يمكن أن تكون محلاً ومنشأ للمعلومات حول الشأن السوداني، وفقاً لمعيارين وبعدين أساسين: بعدٍ جغرافي سياسي، وبعدٍ مصلحي.

أما البعد الجغرافي السياسي فيتمثل في مجموعة دول الجوار، العربي والإفريقي..وأما البعد المصلحي فيتمثل في ما يمكن تسميته بدول المصالح.

وفي ضوء ذلك، تم تقسيم الفئة إلى ست فئات فرعية، على النحو الآتي:

١- **السودان:** أي من داخل الحدود الجغرافية السياسية للسودان، سواء من العاصمة الخرطوم أو من غيرها من مدن وأقاليم السودان، عدا أقاليم الجنوب.

٢- **جنوبي السودان:** أي من أقاليم جنوبي السودان المختلفة.

٣- **دول الجوار العربي:** وهي مجموعة الدول العربية، المجاورة للسودان، جغرافياً، وتشترك معه في حدوده السياسية .. وعددها ثلاث: السعودية، ليبيا، مصر.

٤- **دول الجوار الإفريقي:** مجموعة الدول الإفريقية المجاورة للسودان، جغرافياً،وتشترك معه في حدوده السياسية.. وعددها سبع: إريتريا، أثيوبيا، أوغندا، إفريقيا الوسطى، تشاد، زائير «الكونغو الديموقراطية»، وكينيا.

---

(١) التحليل المبدئي preliminary analysis هو تحليل كيفي يتم على عينات أصغر من الوثائق بغرض تحديد العناصر المكونة لوحدات التحليل النهائي، التي ستتخذ أساساً للتصنيف؛ المرجع السابق، ص٧٨.

٥- **دول مصالح**[١]: وهي مجموعة الدول التي لا يجمعها مع السودان، لا الجغرافيا ولا الحدود السياسية، وإنما يجمعها ما تراه من مصالح فيه،ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك.. وأهمها، كما برز من التحليل المبدئي، سبع هي: ألمانيا، إيران، الصين[٢]، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأميركية، روسيا (الاتحاد السوفييتي سابقاً)، وفرنسا.

٦- أخرى[٣].

## الفئة الخامسة: أجندة الصحافة العربية إزاء «الإشكالية»:

تعتبر فئة «أجندة الصحافة العربية إزاء الإشكالية» من الفئات التي يمكن التوصل إليها كخلاصة لعملية التحليل في إطار فئتي الموضوع والشكل، بصورة خاصة، ذلك أن «الأجندة»، أو ما يسمى«وظيفة الصحافة في ترتيب جدول الأعمال»[٤]، ما هي في نهاية الأمر سوى محصلة لخيارات عديدة للتعبير عن

---

(١) هذا لا يعني أن دول الجوار العربي والإفريقي ليس لها مصالح تطمح إلى تحقيقها والمحافظة عليها في السودان، ولكن لأن المصلحة، وليس الجغرافيا الطبيعية أو السياسية، هي التي تحدد طبيعة ومستوى العلاقة، والحالة التي تكون عليها.

(٢) تبرز أهمية الصين بشكل خاص بالنظر إلى ما طرحه هنتينغتون في رؤيته حول: (صدام الحضارات) من تحالف " إسلامي كنفوشي"، بدأت تظهر ملامحه ليجابه مصالح الغرب وقيمه ونفوذه ( راجع: المنتدى، عدد٩٩، ديسمبر١٩٩٣، ص١٥) .. ومما يلحظ، في إطار الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء البحث، أنه برز إلى الساحة السياسية نوع من العلاقة بين الفكرتين: الفكرة الإسلامية التي تتجسد في التجربة السودانية، والفكرة الكونفوشسية التي تعبر عنها الدولة الصينية.

(٣) أضيفت فئة (أخرى) ليأتي تحتها ما لا يتم تصنيفه ضمن أي من الفئات السابقة.. كما يدخل ضمنها الحالات التي يكون المنشأ (أكثر من منشأ واحد).

(٤) ملفين ل. ديفلير وساندرا بول. روكيتش، مرجع سابق، ص٣٦٥-٣٦٦.

اهـــتمام الوسائل الإعلامية، وخاصة الصحافة، بالمواد والرسائل وترتيبها ترتيباً يعـــبر عن مستويات هذا الاهتمام ودرجاته [1].. فالصحافة، بإعطائها "أولوية" أو تركـــيزًا على مشكلة معينة، إنما تعمل على وضعها في مقدمة قائمة المواضيع التي تجذب اهتمامات القراء وصانعي القرار السياسي.

ولما كانت «الأجندة» بهذا القدر من الأهمية والدلالة على مستوى اهتمام الصحافة بالحدث أو الأحداث، وبالتلو اتجاهاتها من هذه الأحداث، كان لابد من تخصيص فئة يمكن من خلالها التعرف على: «أجندة الصحافة العربية إزاء الإشـــكالية»، بمـــا يســـهم في الكشف عن اتجاهات الصحافة العربية إزاء «الإشكالية» بشكل خاص والسودان بشكل عام.

و تندرج تحتها فئات أربع[2]، هي:

١- **الوحدة:** ويراد بها الدعوة، أو العمل، إلى الوحدة بين شطري القطر.

٢- **الوحدة المشروطة:** ويراد بها الدعوة، أو العمل، إلى الوحدة بين الشمال والجـــنوب،ولكن وفـــق شروط الحركة، ويدخل في ذلك دعوة الحركة لإقامـــة ما يسمى «سودان حديث»[3] على أسس جديدة، وما ينطوي عليه ذلك من معنى رفض الحركة الانفصال.

٣- **الحكـــم الـــذاتي:** ويراد بها الدعوة ، أو العمل، إلى منح الجنوب الحكم الذاتي الإقليمي في إطار السودان الموحد.

---

(١) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، مرجع سابق، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٢) أضيفت إليها فئة "أخرى" لاستيعاب ما لا يمكن تصنيفه ضمن الفئات الأربع.

(٣) الدعوة لإقامة «سودان حديث»، من الطروحات الغامضة لحركة التمرد وبعض تيارات المعارضة.

٤- **الانفصال:** ويراد بها الدعوة، أو العمل، إلى الانفصال، بمعنى إقامة دولتين منفصلتين.

٥- أخرى.

## الفئة السادسة: الاتجاه (اتجاه المضمون):

تتعدد تعريفات المشتغلين بالدراسات الإنسانية بشكل عام، لمفهوم «الاتجاه»، وإن كانت في معظمها تنطلق من مرتكزات أساس، تتقارب في اللفظ كما تتقارب في المعنى والدلالة. فهو «استعداد مكتسب للاستجابة بشكل ثابت نسبيًا، بالإيجاب أو السلب»(١)، و«حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي تنتظم من خلاله خبرة الشخص، وتكون ذات أثر توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة»(٢)، مما ينتج عنه«توجه نحو شخص، أو موقف، أو نظام، أو عملية اجتماعية، يعد مؤشرًا على قيمة أو اعتقاد كامن وراءها»(٣).. فهو بذلك « ميل ثابت للتصرف والاستجابة بطريقة معينة مع الناس والأشياء والمشاكل...الخ»(٤).

غير أنه ليس استعداداً نفسياً وعصبياً فحسب، ولكنه «استعداد أو تهيؤ عقلي» كذلك، «يتكون عند الشخص نتيجة العوامل المختلفة المؤثرة في

---

(١) فرج الكامل، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢) أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام**، ط ١ (القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) ص٢٤.

(٣) فاطمة القليني وآخرون، مرجع سابق، ص٣٠٩.

(٤) أحمد زكي بدوي، مرجع سابق، ص٢٤.

خبراته"ثقافته"، ويجعله يقف موقفاً معيناً، أو يسلك سلوكًا معينًا نحو بعض الأفكار أو الأشياء أو الأشخاص، التي تختلف فيها وجهات النظر بحسب قيمتها الخلقية أو الاجتماعية»[1]. لذلك ينظر إلى«الاتجاه»، في إطار أكثر شمولاً، كنوع من التهيؤ «للإدراك والتفكير والشعور والسلوك نحو شيء أو شخص أو مسألة بطريقة معينة»[2].

«فالاتجاه»، كما يعبر بعض المختصين بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، عملية نفسية عقلية معقدة، مما يجعل من عملية تحديد الوجهة التي تأخذها الرسالة الإعلامية، أو ما يسمى «الانحياز»، أو «الاتجاه»، من قضية أو موقف معين، تحديداً دقيقاً من خلال المقاييس الكمية التي تميز«تحليل المضمون»، واحدة من أصعب الظاهرات الإعلامية التي تواجه الباحثين في هذا المجال[3].

وقد يكون من أهم أسباب هذه الصعوبة، التي تحول دون بلوغ حد «الموضوعية» وتحقيق عدم «الانحياز» أو «التحيز»، ليس في مجال الاتصال والإعلام فحسب،وإنما في مجال الدراسات الإنسانية بشكل عام، أن المتعامل معها والمشتغل بها بشرٌ يصعب تجريده من العواطف والأحاسيس والخلفيات الثقافية والفكرية، والرغبات والأهواء والميول، والحب والبغض ...الخ.

وقد عبَّر «ابن خلدون» عن شيء من ذلك وهو يناقش ما أسماه ظاهرة: «التشيعات للآراء والمذاهب». ففي معرض حديثه عن «الخبر»، باعتباره

(١) صلاح الدين جوهر، مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق، ص٥٦-٥٧.

(٣) محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٢٠٠.

العنصر الأساس لتشكيل حقيقة التاريخ، وما يتطرق إليه بطبيعته من احتمال الكـــذب، وجد في مقدمة الأسباب التي تقتضي الكذب: «التشيعات للآراء والمذاهب»، فهي تُحدث في النفس ميلاً عن حال الاعتدال، ذلك أن «النفس إذا كانـــت عـــلى حال الاعتدال في قبول «الخبر» أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت مـــا يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاءً على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص،فتقع في قبول الكذب ونقله»[1].

لذلك، يكاد يكون وجود ما يسمى«الموضوعية الكاملة أو المطلقة» أمراً مـــن الاســـتحالة بمكـــان، إلا في حالة وجود قيم ومعايير خارجة عن وضع الإنسان، ومُعْتمَدة في التقويم والقياس.

وهـــي اســـتحالة يؤكدهـــا أهل الاختصاص في مجال الاتصال والإعلام أنفسهم.. فعلى الرغم من أن كثيراً منهم يرى في «الموضوعية» مبدأ من أهم المـــبادئ السائدة في الصحافة الغربية، اخترعته البلدان الغربية المتحدثة باللغة الإنجلـــيزية[2]، إلا أنـــه يصفها في الوقت ذاته بـــ:«المصطلح الذي يصعب فهمـــه»[3]، و«المثل الأعلى الذي لا يمكن تحقيقه»[4].. وقد وصفها "هنري لـــوس"، مؤســـس مجلات "تايم" و"لايف" و"فورشيون" وغيرها من المجلات

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سابق، ص٣٥.

(٢) ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، مرجع سابق، ص٢٨.

(٣) جون ميرل ورالف لوينشتاين، **الإعلام وسيلة ورسالة، رؤى جديدة في الاتصال**، ترجمة ساعد خضر العرابي الحارثي، د.ط. (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص١٣٩.

(٤) ل.جون مارتن وأنجو جروفر شودري، مرجع سابق، ص٢٨.

الواسعة الانتشار، بالموضوعية الصحفية «المزعومة»، وقال: إنها «عادة حديثة العهد، وشيء زائف تمامًا»، وكان يدعو عليها بالذهاب إلى الجحيم[1].

وحتى أولئك الذين يمكن اعتبارهم من المتحفظين، بعض الشيء، وهم يتحدثون بإيجابية عن «الموضوعية»، يرون في ما يوصف بـ«الموضوعية المطلقة» حلماً لا وجود له[2].. فالأخبار تكتب، في الغالب، من وجهة نظر المخبر الصحفي، الذي يعتبر اختياره للأخبار، ومستوى اهتمامه بها، عملاً انتقائياً وتدخلاً ذاتياً.. وهو ما يؤكده كثير من الصحفيين بقولهم: إنهم يشعرون بصعوبة الفصل تماماً بين ذواتهم والقضايا والأحداث التي يغطونها[3].

ومع هنا، تتأتى أهمية النظر، وإن بشيء من الحذر، إلى ما يقول به بعض المهستمين بالأمر، مما يسمى: حد «الموضوعية» و«الكمال في رواية الأخبار»، وهي خصيصة تتجلى في مجموعة من الشروط والمواصفات المفترضة بالخبر، من أهمها: الحرص على موضوعية النبأ؛ والبعد الكامل عن إغراق الخبر بالرأي؛ وإيراده دون تعقيب؛ أو تعليق؛ أو إيحاء برأي أو وجهة نظر، لهدف التأثير على القارئ؛ وعدم حذف بعض الوقائع، أو إبراز بعضها والتركيز عليه، أو اختلاق وقائع لم تقع بالفعل؛ ونسبة الأخبار إلى مصادرها؛ واستقائها من منشئها الأصلي... إلى غير ذلك مما يُفترض عادة من شروط في الحفاظ على «موضوعية» الخبر[4].

---

(١) هربرت أ.شيللر، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) شون ماكبرايد وآخرون، مرجع سابق، ص٣٣٥، الهامش.

(٣) منير ك. ناصر، مرجع سابق، ص٧٩.

(٤) فاروق أبو زيد، فن الخبر الصحفي: دراسة مقارنة بين الصحف في المجتمعات المتقدمة والنامية، مرجع سابق، ص١٢٥-١٣٥؛ إحسان عسكر، مرجع سابق، ص٩٩-١٠٠.

لذلك كله، نما لدي بادئ الأمر، في مرحلة «التحليل المبدئي»، توجه وميل إلى محاولة تجنب استخدام هذه الفئة، اعتقاداً بأن ذلك مما قد يبعد البحث وينأى به عما تنطوي عليه هذه الفئة من أحكام جازمة حاسمة من المضمون، بالانحياز (إلى) أو الانحياز (ضد)، بالإيجابية أو السلبية، بالتأييد أو المعارضة، ونحو ذلك،مما قد يتعارض مع تصور الباحث الخاص لعملية التحديد الدقيق «للاتجاهات» التي تتم في هذا البحث، بشكل خاص، في ضوء مجموعة من المؤشرات تتوفر عليها عمليتا التصنيف والتحليل لعدد من الفئات، وليس لفئة واحدة بعينها، ذلك أن «الاتجاه» في المحصلة النهائية، ليس تعبيراً عن موقف واحد، وإنما عن مجموعة من المواقف والحالات النفسية والعصبية والعقلية المختلفة، التي تنتظمها وِجْهَةٌ واحدة.

ثم تبين في مرحلة «ما بعد التحليل المبدئي» أن فئة «الاتجاه»، وما يلازمها بالضرورة من معايير ضابطة،لا بد أن تُتخذ كمحور أساس، لبحثٍ جعل هدفه الرئيس الكشف عن مؤشرات «للاتجاهات» في كثير من "اتجاهات" فئات التصنيف ووحدات التحليل، فضلاً عن أن دراسة طبيعة «الاتجاهات»، وكيفية تكوينها، وأسباب استمرارها، وأدوات تغييرها، تعد جزءًا أساساً من النظرية الإعلامية[1]، التي يطمح الباحث لاستكناه ما يمكن من أبعادها الفكرية.

ومما عضد هذا التوجه اللاحق نحو أهمية استخدام فئة «الاتجاه» أمران:

أما الأول، وهو ما قد يثير شيئاً من التعجب، فهو ما وجده الباحث في العوامل نفسها التي كانت في البدء سبباً في ترجيح عدم استخدام هذه الفئة،

(١) فرج الكامل، مرجع سابق، ص٨٧.

مـــن مؤشـــرات يمكـــن أن تكون لها أهميتها الكبيرة في الكشف عن «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي.

وأمـــا الثاني، فهو الاقتناع بما انتهت إليه دراسات كثيرة، في هذا المجال، مـــن أن اتجاهـــات الفرد نحو الأشياء أو الأشخاص المحيطين به ترتبط وظيفيًا بالعقـــائد التي تبناها نحوهم، وأنه يمكن أن نتنبأ باتجاهات الفرد مسبقاً بسبب معرفتـــنا بعقائده، أو معتقداته[1]، مما يعني بالتلو: أن معرفتنا باتجاهات الفرد تمكنـــنا مـــن الـــتعرف على معتقداته، أو — بمصطلحات البحث — «بعده الفكري»، حيث يمكن التعرف على «الاتجاه» في مثل هذه الحال بخاصة، من خـــلال السلوك اللفظي"التعبير" للقائم بالاتصال، ذلك أن السلوك بأشكاله المخـــتلفة، من سلوك لفظي، بالكلام أو بالكتابة، وسلوك حركي، هو التعبير الظاهر الوحيد، عن «الاتجاه»، وأنه بدون وقوع سلوك معين، في ظل ظروف معينة، وبشكل متكرر، لا يمكننا أن نجزم بوجود أي اتجاه لدى الفرد[2].

ويمكن أن يلاحظ هنا، أن التكرار وحده لا يكفي لتحديد «الاتجاه»، إذ ليس بالضـــرورة أن يكـــون، عـــلى سبيل المثال،كثرة تكرار اسم شخص معين «فاعل»، أو موضوع معين «فعل»، مؤشراً على اتجاه، أو موقف، سلبي أو إيجابي، إزاءه (!) مما يقتضي الأخذ بعين الاعتبار السياق العام الذي يرد فيه التكرار.

وهذا مما يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من أن عملية التحديد الدقيق «للاتجاه»، لا يمكن أن تتم من خلال فئة بعينها، وإنما لا بد من مجموعة فئات يُرصد «الاتجاه»

---

(١) صلاح الدين جوهر، مرجع سابق، ص٥١.

(٢) المرجع السابق.

مـــن خلالهـــا جميعاً. فعملية وصف «الاتجاه» تحتاج، كما يرى كثير من الباحثين، لاستخدام معظم الفئات الشائعة في مجال تصنيف وتحليل المضمون[1].

ومن هنا يجيء استخدام مجموعة من فئات التصنيف(المضمون والشكل) في هـــذا البحث، كمؤشرات لتوصيف وتحديد «اتجاهات الصـــحافة العربية المشـــرقية» إزاء «الإشـــكالية»، بالمقارنة مع اتجاهاتها إزاء «السلطة السياسية الحاكمة » في الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء البحث.

وتتبلور هـــذه الفئات الواصـــفة، أو الكاشـــفة عن «الاتجاه»، في ما يسمى «المعالجة الصحفية»[2] للحدث، التي تجسدت ابتداءً في معالجات خمس، هي:

١- موضـــوع المادة الإخبارية المنتقاة، حيث يرتبط «الاتجاه» في الغالب بفئة الموضوع[3].

٢- السمات السياسية - الفكرية (لأبرز عناصر الصراع).

---

(١) محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) اســتخدمت عواطــف عــبد الرحمن، في إطار سعيها لتحديد اتجاهات الصحافة العربية إزاء القضايا الإفريقــية، نوعيــن مــن المعالجــة: المعالجــة الصــحفية (نوعــية المادة الإعلامية، مصدر المادة الإعلامية،موقع المادة الإعلامية،ووسيلة التعبير)، والمعالجة الفكرية (اعتمدت معيارين لقياس المواقف الفكــرية للصحف العربية إزاء القضايا الإفريقية، هما: حجم الاهتمام، الذي يتضمن قياس حجم المواد الإعلامية التي نشرتها الصحف عن كل قضية،ونوع الاهتمام،الذي يتضمن قياس اتجاه المواد الإعلامية التي تناولت القضايا موضع البحث، والمنطلقات الفكرية التي استندت إليها صحافة كل دولة من الدول التــي شملتها عينة البحث)، **صورة أفريقيا في الصحافة العربية**، مرجع سابق، ص١٥٠-١٥٢. غير أن الباحث يرى أن الفئات جميعها تشير إلى نمط المعالجة الصحفية التي اختارتها الصحيفة للتعامل مع الحــدث ومادته الخبرية، حيث يعبر الاختيار عن نمط المعالجة الفكرية الذي تعتمده الصحيفة، أو البعد الفكري لها، ولا يجد الباحث معنى، في هذا البحث على الأقل، للفصل بين المعالجتين.

(٣) ليلى عبد المجيد، "المدرسة المصرية في تحليل المضمون"، مرجع سابق، ص١٦٧.

٣- مصدر المادة الإخبارية.

٤- منشأ المادة الإخبارية.

٥- مستوى الاهتمام، ويشمل: موقع المادة الإخبارية من الصفحة، المساحة التي تشغلها المادة الإخبارية، مساحة العنوان، وحجم العنوان.

إضافة إلى ما يمكن أن يكشف عنه التحليل من أجندة «لصحف العينة» إزاء «الإشكالية»، لتتبلور من ثمّ حصيلة ذلك كله في الفئة الأساس التي يتم من خلالها قراءة «اتجاهات الصحافة العربية المشرقية» إزاء الموضوع- الظاهرة محل البحث، وهي فئة «اتجاه المضمون».

وفي ضوء ذلك كله، فإن «اتجاه المضمون» الإخباري «للصحافة العربية المشرقية اليومية» عبارة عن: «المحصلة الكلية لتوجه واستعداد الصحافة العربية المشرقية اليومية، للاستجابة، وميلها للتصرف والمعالجة الصحفية للحدث السياسي، الذي يعكس حالة من حالات الصراع السياسي في السودان، سواء على مستوى: الصراع حول السلطة، أو الصراع حول الوطن، أو الصراع حول السيادة والنفوذ، ورموزه الأكثر فاعلية وتأثيراً، كما تتجلى في السلطة السياسية الحاكمة وحركة التمرد، باعتبارها أكثر الأدوات تعبيراً عن الإشكالية في صورها المستفجرة، في الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء البحث، بطريقة وشاكلة تكشف عما يمكن أن ينطوي عليه الإعلام السياسي العربي المعاصر من بعد فكري».

وعلى خلفية ذلك، وفي ضوء عن ما كشف عنه «التحليل المبدئي»، تم تقسيم فئة «اتجاه المضمون»، ضمن الحدود الموضوعية والزمانية لهذا البحث، إلى ثلاث فئات:

**١ – فـــئة « اتجـــاه مؤيد»**: وهو اتجاه تغلب عليه الجوانب الإيجابية في موضوع الاتصال، شخصاً كان الموضوع أو جماعة أو كياناً سياسياً أو فعلاً ذا بعد سياسي، ويتضمن معنى (الانحياز إلى).. ويتجسد بشكل أساس فيما يرد مـــن مضـــمونات وسمات ومؤشرات إيجابية للموضوع والفاعل. فعلى سبيل المـــثال، فإن الموضوعات التي تقرأ من خلالها معاني الإصلاح السياسي وتوازن الســـلطة السياسية الحاكمة، ومقدرتها على ضبط النسب على مستوى الصراع السياسي، وما تحققه من انتصارات على حركة التمرد، على المستويين السياسي والعسكري، ونجاحها في تطوير علاقاتها الخارجية والارتقاء بها، تصنف في خانة الاتجاه (المؤيد) للسلطة السياسية الحاكمة.

أما ما يرد من مضمونات تشير إلى انتصارات تحققها حركة التمرد ضد الحكومـــة، سياسياً وعسكرياً، فهو مما يصنف أيضاً في خانة «اتجاه مؤيد»، ولكن لحركة التمرد.

**٢– فـــئة « اتجاه معارض»**: وهو اتجاه تطغى عليه الجوانب السلبية في موضوع الاتصال، شخصاً كان الموضوع أو جماعة أو كياناً سياسياً أو فعلاً ذا بعـــد سياسي، ويتضمن معنى (الانحياز ضد).. ويتجسد بشكل أساس فـــيما يـــرد من مضمونات وسمات ومؤشرات سلبية للموضوع والفاعل. فعـــلى ســـبيل المـــثال، فـــإن الموضوعات التي تقرأ من خلالها معاني عدم الاستقرار السياسي، وشيوع الفوضى السياسية، ومحاولات القوى السياسية المعارضـــة تغيير السلطة الحاكمة، سواء بالعنف أو الوسائل السياسية، وهزائم الســـلطة أمـــام حركة التمرد، سياسياً وعسكرياً، وفشلها في تطوير علاقاتها الخارجية، تصنف في خانة الاتجاه (المعارض) للسلطة السياسية الحاكمة.

أمـــا ما يرد من مضمونات تشير إلى هزائم حركة التمرد وتراجعها على ساحة العمل العسكري، وطروحاتها السياسية المنادية بالانفصال ونحوه، فهو مما يصنف أيضاً في خانة « اتجاه معارض»، ولكن لحركة التمرد.

**٣- فئة «آخر»**: وهو اتجاه تغيب عنه معاني التأييد والمعارضة، ويصعب تصنيفه ضمن أي من الاتجاهين الأساسين.

## ثالثاً: وحدات التحليل:

وحدات التحليل، التي تعتبر أصغر الوحدات في عملية التحليل كلها[١]، هي الوحدات التي تم استخدامها والاستناد إليها في عد الظواهر، ومعرفة تكرارها[٢]، فهي ما قام الباحث حقيقة باحتسابه[٣]، بما يعني أنها وحدات الإحصاء أو العد.

وتم اختــيار الوحـــدات في ضوء ما انتهى إليه الباحثون في مجال «تحليل المضـــمون» من تصنيف الوحدات إلى خمس رئيسة: الكلمة word، الموضوع أو الفكـــرة theme، الشخصية character، الوحدة الطبيعية للمادة الإعلامية item، مقايـــيس المساحة والزمن space & time، والقول:بأن استخدام أكثر من وحدة يؤدي إلى إثراء التحليل ويضفي أبعاداً جديدة تفيد في التعرف على جوانب مختلفة ومتنوعة في المشكلة البحثية محل التحليل[٤].

---

(١) محمد الوفائي، مرجع سابق، ص١٥٢.

(٢) رشدي طعيمة، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٣) روجر ويمر ودومينيك، مرجع سابق، ص٢١٥.

(٤) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص ١٠٣-١٠٤.

وقد اقتضت طبيعة البحث نفسه، ومفهوم الباحث لمنهجية الكشف عن «اتجاهـــات الصحافة العربية»، فضلاً عما تنطوي عليه عملية استخدام أكثر من وحدة من وحدات التحليل من ميزات تحليلية، استخدام الوحدات الآتية:

**١- الوحدة الطبيعية للمادة الإخبارية (المفردة):**

وتشير في هذا البحث إلى الخبر«القصة الخبرية»، وذلك لتقدير حجم الأخبار المنشورة عن «الإشكالية» بالمقارنة مع الأخبار المنشورة عن السودان بشكل عام.

**٢- الموضوع/الفكرة**[١]:

وهي من أكبر وأهم وحدات التحليل، وأكثرها إفادة، وتعتبر دعامة أساساً في تحليل المواد الإعلامية والدعائية، والاتجاهات، والقيم، والمعتقدات، فضلاً عن كونها تعطي تحليلاً أعمق، وتضيف أبعادًا جديدة إلى عملية التحليل[٢]، وذلك عـــلى الرغم مما يكتنف عملية التحليل بواسطتها من صعوبات[٣] دفعت بعض الباحثين إلى اعتبارها أصعب وحدات «تحليل المضمون».

ولقـــد واجهـــتني بالفعل بعض الصعوبات والمشكلات في هذا الصدد، شـــكلت في الـــبدء عائقاً دون الانطلاق السهل في تصنيف المضمون، وفقاً

---

(١) عبارة عن جملة أو عبارة تتضمن الفكرة التي يدور حولها موضوع التحليل. وتكون عادة جملة مختصرة محددة تتضمن مجموعة الأفكار التي يحتوي عليها موضوع التحليل، المرجع السابق، ص٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص٧٩، ٨٣.

(٣) مـــن هذه الصعوبات:مشكلة الثبات، خاصة إذا كانت الأفكار الواردة في المضمون متداخلة ومتشابكة ومعقدة؛واختلاف المفاهيم والأساليب التي تستخدم في عرض المادة الإخبارية إلى الدرجة التي يصعب معهـــا عمـــل ترميز موحد لهذه المفاهيم؛ وعدم وضوح حدود الأفكار والعبارات بالقياس إلى الكلمات؛ سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٨٠.

لموضـــوعاته، ومـــن ثمّ تحلـــيله في ضوء ما يرد فيه من أفكار، ذلك أن الخبر الصـــحفي، لم يعد في صحافة نهايات القرن العشرين ومشارف القرن الحادي والعشـــرين، ذلك الخبر البسيط الذي يشتمل على موضوع واحد أو يعبر عن فكـــرة واحـــدة، وإنمـــا أصبح خبراً مركباً، يحتوي على أكثر من موضوع، ويشتمل على أكثر من فكرة .. وتكمن الصعوبة هنا، في الكيفية، أو المعايير، التي يمكن في ضوئها تحديد الموضوعات والأفكار التي تحتل، أكثر من غيرها، مركز اهتمام الصحيفة.

وللتغلـــب على هذه المشكلة، تم النظر إلى الموضوعات والأفكار الواردة في المضمون وتصنيف وترتيب فئاتها من حيث الأهمية، وتحليلها من ثمّ، وفقاً لمعيارين:

**الأول: موقـــع الفكرة من العنوان:** فالعنوان يعبر بالضرورة عن أهم فكـــرة يـــنطوي علـــيها المضمون، من وجهة نظر الصحيفة، مما استوجب إبـــرازها والتأكيد عليها دون غيرها.. فهو يشتمل، في الغالب، على: أهم حقـــيقة في الخبر، وأكثر الأحداث إثارة فيه، وأهم عنصر يتضمنه.. يضاف إلى ذلـــك ما يفترض بالضرورة في العنوان، من الدلالة القاصدة على معنى الخبر، بأقل عدد ممكن من الكلمات، و التعبير التام عن مضمونه، والابتعاد عن التهويل أو التضخيم أو التقليل من أهميته، فضلاً عن الابتعاد عن إظهار أية شبهة للرأي فيه،حتى لا يفقد صفته كخبر، ويفقد بالتالي موضوعيته[1].

وهنا أيضاً برزت صعـــوبة أخرى، فالعـــنوان - مثله في ذلك مثل الخبر- لم يعد، في صحافة اليوم، عنواناً واحداً يعبر عن فكرة واحدة ويلفت الانتباه إلى

(١) فاروق أبو زيد، **فن الخبر الصحفي**، مرجع سابق، ص٢٧٥.

موضوع واحد، بل أصبح، في الغالب، أكثر من عنوان، يعبر كل منها عن فكرة معيـــنة وموضـــوع معين.. وللتغلب على هذه المشكلة، تمّ اعتماد البنط الأكبر والإبـــراز الأكثر الذي يحظى به عنوان معين، معياراً يُحدد في ضوئه الموضوع والفكرة الأكثر أهمية، أو الفكرة المحورية في الخبر، من وجهة نظر الصحيفة.

**الثاني: موقع الفكرة من المقدمة** (Lead): فالفكرة الأهم هي التي تشغل المقدمة كلها، أو معظمها، أو تأتي في مستهلها.

وهنا أيضاً برزت مشكلة أخرى في تحديد الفكرة الأهم من خلال المقدمة.. فقـــد درجـــت كثير من الصحف على أن تتخذ من المقدمة مجالاً لتقديم عرضٍ موجـــزٍ وتلخيص مستوف لأهم الموضوعات والأفكار التي يشتمل عليها الخبر، بحيث أصبح تحديد الفكرة المحورية الأهم يحتاج إلى شيء من النظر والتأمل.

لذلـــك تم اعـــتماد معـــيارين، لتصنيف المضمون وترتيب موضوعاته وأفكاره، من حيث الأهمية، في ضوء ما يرد في المقدمة:

**أ- مـــدى الـــتطابق** بين الأفكار الواردة في المقدمة والأفكار الواردة في العنوان، فما تطابق كان هو المحور الأكثر أهمية.

**ب- السبق والاستقلالية**، فالفكرة الأسبق (الأولى)، المستقلة غير التابعة لغيرها من أفكار وموضوعات، هي بالضرورة الفكرة الأكثر أهمية في المقدمة، وبالتلو في المضمون، من وجهة نظر الصحيفة.

وتستهدف وحدة« الموضوع/ الفكرة» الكشف عن مراكز الاهتمام في المضمون، حيث تصبح الفئة والأفكار المشيرة إلى «اتجاهات المضمون» وحدات للعد فيما بعد.

### ٣-الكلمة:

تتأكد أهمية اختيار وحدة الكلمة، التي تعتبر أصغر وحدات «تحليل المضمون»، بالنظر إلى أن الكلمة قد تعبر عن معنى أو مفهوم معين، كما قد تعبر عن رمز معين، أو عن مدلول معين، أو شخصية معينة[١] .. وتكتسب أهميتها في هذا البحث من الحاجة البحثية لحصر المصطلحات والكلمات والعبارات الوصفية و«السمات»، الدالة على «اتجاه الصحافة العربية» إزاء الموضوعات والأفكار والناس والأشياء.

فهي، على سبيل المثال،تسهم في إمكانية التحقق مما يمكن أن تكون «الصحافة العربية» قد بلغته في مجال توليد مصطلحات خاصة بها، أو التبعية والاعتماد في النظر والتعامل مع الموضوعات والأفكار والناس والأشياء، على مصطلحات (الآخر)،واستخدامها بكل ما تحمل من ظلال حضارية ودلالات فكرية ثقافية وأهداف سياسية، وبكل ما يعني ذلك من أن الإعلام العربي، ممثلاً في الصحافة العربية أنموذج الدراسة، يعتبر بذلك انعكاساً ورجع الصدى، في اتجاهاته ومواقفه من «الفكرة الدينية» الفاعلة، للاتجاهات والمواقف الغربية من الفكرة نفسها.

### ٤- وحدات المساحة والحجم:

وهي ما يُطلِق عليه بعضُ الباحثين تعبير: « عوامل الإبراز والتأكيد»[٢].. وتكتسب أهميتها من أن التعرف عليها يفيد، إلى حد ما، في الاستدلال على الاتجاهات وتقدير درجة الاهتمام الذي يحظى به الحدث

(١) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢) محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص١٩٠-٢٠٠.

من قبل الصحيفة أو المؤسسة الإعلامية[1].. وتم تحديدها في ضوء اعتبارات أربعة: موقع المادة الإخبارية من الصفحة الأولى؛ مساحة المادة الإخبارية؛ مساحة العنوان؛ حجم العنوان.

## رابعاً: وحدات العد والقياس:

### ١ – أدوات القياس:

وحدات العد، أو التسجيل، هي الوحدات التي يتم تسجيلها في التحليل، بحيث تتم بمقتضاها عملية التحليل[2].

وفي ضوء منهجية البحث الرامية لتحقيق أهدافه، والسعي لرصد ما يكون من تكرار Frequency في الفئات ووحدات التحليل، بحثاً عن مؤشرات أو سمات ذات دلالة على «اتجاهات الصحافة العربية» إزاء موضوع البحث، فقد تم اعتماد «فئات التصنيف ووحدات التحليل»، بشكل عام، أدوات ووحدات للعد والقياس، على اعتبار أنها الأكثر استجابة لمتطلبات البحث وتحقيق أهدافه. وأهم هذه الوحدات التي تم استخدامها:

أ- **الوحدة الطبيعية للمادة الإخبارية**: وهي الوحدة التي يقع عليها العد ابتداءً، للكشف عما يمكن أن يكون من توافق أو تباين بين عينة الصحف، على أكثر من مستوى.

ب- **الفكرة**: وهي أهم وحدات التحليل، وأبرز مؤشر على موضوع الاتجاه، حيث تكتسب نتائج الرصد الكمي وترتيبها أهميتها في الإشارة إلى مستوى الاهتمام واتجاهه.

---

(١) محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، المرجع السابق، ص١٧٣-١٧٨؛ سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص٨١.

(٢) محمد الوفائي، مرجع سابق، ص١٥٧.

ج- **الكلمــة** (السمات الفكرية-السياسية): وهي تكشف عن الاتجاه من خــلال المصطلحات والكلمات والصفات التي تعتمدها «الصحافة العربية » في التعامل مع رموز العمل السياسي والعسكري، أفراداً وجماعات وفصائل وتيارات وقــوى سياســية.. وتم تصميم جدول (ملحق رقم١) باسم «جدول الانحياز الوصفي» لحصر أبرز «السمات» المفترضة.

د- **مقاييــس المســاحة** (عوامل الإبراز والتأكيد): وتكتسب أهميتها من كونها تشكل نوافذ ذات دلالات أكثر أهمية في تقدير مستوى اهتمام «الصحافة العربية» بالحدث السياسي المتصل بالشأن السوداني، ومن أهمها أربعة:

- **الموقع من الصفحة الأولى:** درجت الصحف، بشكل عام، على إعطاء كل خبر موقعه المناسب، بحيث ينال من وجهة نظرها، ما يستحقه من اهــتمام، حيــث تبنى الصفحات من أعلاها إلى أدناها، وتوضع أهم الروايات الإخبارية في النصف العلوي منها، وفي أظهر أعمدتها [1].

ويحــتمل الموقع في الغالب واحداً من متغيرات خمسة أساس: رئيس أول «مانشــيت١»، رئــيس ثاني«مانشيت٢»، النصف الأعلى من الصفحة، وسط الصفحة، والنصف الأسفل منها، إلا أنه تم الاكتفاء في هــذا البحــث بثلاثة فقط، هي: رئيس أول، رئيس ثاني، وخبر أولى، وهــو الخبر الذي ينشر في أي موقع من الصفحــة، أعــلاها أو وسطها أو أسفلها، عدا موقعي «المانشيت»، ذلك أن مجرد نشر الخــبر ضمن الصفحة الأولى يكفي للدلالة على الاهتمام به، يضاف إلى ذلــك أن نشر الخبر في موقع من الجزء الأعلى لا يعني بالضرورة

---

(١) إحسان عسكر، مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٥.

أنسه الخبر الأكثر أهمية مما ينشر في موقع دون ذلك، فكثيراً ما تولي الصحيفة، كما هو ملاحظ، خبر الجزء الأسفل من الصفحة قدراً من الاهتمام والإبراز لا يحظى به الخبر المنشور في غير هذا الموقع.

- **مساحة المادة الإخبارية** : تقاس مساحة المادة الإخبارية في كثير من البحوث التي تعتمد أسلوب «تحليل المضمون»، بوحدة السطر عامود، ووحدة السنتمتر عامود[1] وغير ذلك .. وفي هذا البحث تم اعتماد طريقة مبسطة لحساب المساحة، لكنه ينطوي على دلالة تكفي للكشف عن مستوى اهتمام الصحافة العربية بالحدث.. ويقوم هذا الأسلوب على حساب عدد الأعمدة، التي يتمدد عليها الخبر دون اعتبار لطولها أو قصرها، حيث يلاحظ أن طول الأعمدة لم يعد في صحافة اليوم مؤشراً ذا دلالة تذكر على اهتمام الصحافة بالحدث،فخبر من سطرين، على سبيل المثال، ربما يكون أكثر دقة في التعبير عن اتجاه الصحيفة من خبر يتمدد على أكثر من عمود، وإن كان لكل دلالته.. وتحتمل مساحة المادة الإخبارية في هذا البحث واحداً من متغيرات خمسة أساس: ثمانية أعمدة؛ (٥-٧) أعمدة؛ (٣-٤) أعمدة؛ عمودان؛ عمود واحد.
- **مساحة العنوان**: تم استخدام الأسلوب نفسه الذي اعتمد في حساب مساحة المادة الإخبارية، لحساب مساحة العنوان، وذلك بحساب عدد الأعمدة التي يتمدد عليها العنوان، فهي تحتمل كذلك واحداً من متغيرات خمسة أساس: ثمانية أعمدة؛ (٥-٧) أعمدة؛ (٣-٤) أعمدة؛ عمودان؛ عمود واحد.

---

(١) سمير محمد حسين، **بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٢٦٣.

- **حجـــم العنوان:** يشير حجم العنوان إلى عدد العناوين (الخطوط) التي تعلـــو المادة الإخبارية وتكشف عن أبرز مضموناتها وأهم ما فيها من موضـــوعات وأفكـــار. فهـــو يقاس بعدد العناوين التي تعبر عن أهم الأفكـــار الـــواردة في الخـــبر، وهـــي في الغالب لا تزيد على ثلاثة عـــناوين(خطوط)، إلا أنه بالنظر إلى علاقتها بالمضمون، يمكن رؤيتها من خلال خمسة متغيرات: ثلاثة عناوين (خطوط) أو أكثر مع وحدة المضـــمون؛ثلاثة عناوين أو أكثر مع اختلاف المضمون؛ عمودان مع وحدة المضمون؛ عمودان مع اختلاف المضمون؛ عنوان واحد.

**٢- أسلوب العد والقياس:**

أسلوب العد والقياس ( Technique of Enumeration and Measurement) نظـــام للتســـجيل الكمي لوحدات المضمون وفئاته ومتغيراته الخارجية، بطريقة منـــتظمة تعـــيد بناء المضمون في شكل أرقام وأعداد، يمكن من خلال المعالجة الإحصـــائية لها الوصول إلى النتائج الكمية التي تسهم في التفسير والاستدلال وتحقيق أهداف الدراسة[1].

وتم اعتماد الأسلوب التسلسلي الآتي في عملية العد والحساب:

أ- **رصد وجود أو عدم وجود الظاهرة** (الخبر المتصل بالشأن السياسي في السودان).

ب- **رصد وجود، أو عدم وجود، فئات التصنيف** ووحدات التحليل في المضمون.

---

(١) سمير محمد حسين، المرجع السابق، ص١٨١.

ج- **عـــد الفـــئات والوحدات وحساب التكرار** الذي تظهر به، دون الأخذ بالرأي الذي يميل إليه بعض المهتمين بالبحث في هذا المجال[1]، مـــن أن الفـــئات التي يزيد عدد تكرارها عن خمس مرات تعتبر من الفئات أو الاتجاهات السائدة، وما دون ذلك فيهمل، فللقلة دلالتها على موضوع الاتجاه، مثلما للكثرة دلالتها أيضاً.

د- **رصـــد «السمات الفكرية والسياسية»** وعدها وفقاً لجدول «الانحياز الوصفي».

هـــ - **قياس مواقع ومساحات الفئات والوحدات**، في ضوء عدد من القـــيم المفترضة لكل من المتغيرات الأربع الأساس: الموقع، مساحة المادة الإخبارية، مساحة العنوان، وحجم العنوان، على النحو الآتي:

- **الموقع من الصفحة:**

رئيس أول «مانشيت١»؛ رئيس ثاني«مانشيت٢»؛ خبر صفحة أولى.

- **مساحة الخبر:**

ثمانية أعمدة؛ (٥-٧) أعمدة؛ (٣-٤) أعمدة؛ عمودان؛ عمود واحد.

- **مساحة العنوان:**

ثمانية أعمـــدة؛ (٥-٧) أعمـــدة؛ (٣-٤) أعمدة؛ عمودان؛ عمود واحد.

- **حجم العنوان:**

ثلاثة عناوين (خطوط) أو أكثر مع وحدة المضمون ؛ثلاثة عناوين أو أكثر مـــع اخـــتلاف المضـــمون؛ عنوانان مع وحدة المضمون؛ عنوانان مع اختلاف المضمون؛ عنوان واحد.

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٤.

### ٣- مستويات العد والقياس:

يعتبر مستوى القياس الترتيبي "The Ordinal"[١]، الذي يعني وضع نتائج الرصد في ترتيب ذا دلالة، الأساس الذي تم اعتماده لإيضاح ما يمكن أن يكون من تباين في نتائج العد والقياس، قد يكشف في بعض ملامحه عن أسبقيات الاهتمام في موضوعات الاتجاه.

## خامساً: تصميم استمارة «تحليل المضمون»:

تم تصميم استمارة «تحليل المضمون »[٢] بحيث تستجيب لمتطلبات البحث وتجيب عن تساؤلاته بشكل أساس.. وقد استغرق إعدادها وقتاً وتطلب جهداً ذهنياً كبيراً، وأعيد ترتيبها وصياغتها أكثر من مرة، في ضوء ملاحظات الأخ الفاضل الدكتور عبد الرحيم نور الدين، أستاذ الصحافة ونظريات الاتصال بجامعة أمدرمان الإسلامية وجامعة قطر، والدكتور توفيق يعقوب والدكتورة نائلة عمارة، الأستاذين المساعدين في قسم الإعلام في جامعة قطر.

وتتكون الاستمارة، في الوضع الذي استقرت عليه، من ثلاثة أقسام رئيسية، كل منها في صفحة خاصة به.. يتكون القسم الأول من عنوان البحث وإطاره التطبيقي والزمني وأنموذجه التحليلي، كما يشتمل على البيانات الخاصة بالصحيفة محل التحليل، وهي:

---

(١) يقتضي مستوى (مجال) القياس الترتيبي The Ordinal «وضع ترتيب لنتائج الرصد يوضح التباين في الظهور من خلال هذا الترتيب حتى يمكن التعبير عنها بصفات لفظية تتفق مع مستويات هذا الترتيب . فإذا ما اتخذت الفكرة كوحدة تحليل وفي نفس الوقت للإشارة إلى موضوع الاتجاه في المحتوى، فإن نتائج الرصد الكمي يمكن ترتيبها بحيث تشير إلى أسبقيات الاهتمام في موضوعات الاتجاه»؛ محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٢) ملحق رقم (٢).

(١) اسم الصحيفة: ☐ الأهرام ☐ الحياة ☐ الخليج

(٢) تاريخ الصدور: (٣) رقم العدد:

(٤) مدى وجود الظاهرة: ☐ موجودة ☐ غير موجودة

وأما القسم الثاني فيتكون من فئات تصنيف «المضمون»، وهي ست: فئات الموضوع؛ السمات؛ المصدر؛ المنشأ؛ أجندة الصحافة العربية إزاء الإشكالية؛ وفئات الاتجاه.

وأما القسم الثالث فيتكون من فئات تصنيف «الشكل»، التي تقيس درجة الاهتمام ومستوى الصراع، وهي أربع: الموقع؛ مساحة الخبر؛ مساحة العنوان؛ حجم العنوان.

## سادساً: إجراءات الصدق والثبات:

الصدق "validity" والثبات"reliability" مفهومان متلازمان حيثما استخدم أسلوب «تحليل المضمون» بشكل خاص، أداة للتحليل والقياس العلمي. ذلك أن «من ضرورات تصميم المقاييس والأدوات المنهجية أن يتأكد الباحث من أن هذه المقاييس والأدوات صالحة لتحقيق الأهداف التي أعدت من أجلها، وأنها ستنقل بدقة وموضوعية صورة الواقع البحثي والتجريبي أمام الباحث، بحيث يمكن الاعتماد على هذه الصورة في التفسير والتعميم»(١).

فالصدق، أو الصحة في التحليل، يسعى إلى دراسة مدى ملاءمة أسلوب القياس المستخدم في قياس الموضوعات والظاهرات التي يسعى القائم بالتحليل إلى قياسها، ومدى قدرة هذا الأسلوب على توفير المعلومات المطلوبة.. وهي من المشكلات التي لا يعاني منها «تحليل المضمون» إلا في بعض الحالات

---

(١) محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط ١ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م) ص٤١٧.

المحدودة، ذلك أن الباحث الذي يريد القيام بحصر تكرارات ورود كلمات أو عبارات أو رموز معينة في مجموعة مواد إعلامية، وقام بإعداد قائمة الفئات والوحدات وتعريفها بطريقة دقيقة لن يواجه مشكلة الصدق، ويمكنه أن يحقق أعلى درجة صدق وصحة للمعلومات التي يقوم بتحليلها.. بينما يسعى الثبات، بالمفهوم الإحصائي، إلى قياس مدى استقلالية المعلومات عن أدوات القياس ذاتها، فهو يقيس مدى استقرار فئات التحليل ووحداته، وإمكانية استخدامها في التوصل إلى النتائج نفسها، مهما اختلف القائمون بالتحليل[1].

لذلك، كثيراً ما يتم تعريف مفهوم الثبات «من خلال مفاهيم أخرى تتفق معه في المعنى، وهو الاتساق والدقة والثبات أو الاستقرار، وكلها تشير إلى تعريف إجرائي واحد هو الوصول إلى نفس النتائج بتكرار تطبيق المقياس على نفس الأفراد في نفس المواقف أو الظروف»[2].

ولتحقيق أقصى درجة ممكنة من الصدق والصحة، تم سلوك سبيلين:

**الأول:** بذل الجهد وإفراغ الوسع في عملية تحديد فئات التحليل ووحداته تحديداً دقيقاً، وتعريف كل فئة وكل وحدة تعريفاً واضحاً شاملاً.

**الثاني:** عرض استمارة «تحليل المضمون» على مجموعة من المحكمين، من أهل الاختصاص في هذا المجال، من أعضاء هيئة التدريس في قسم الإعلام بكلية الدراسات الإنسانية في جامعة قطر، للحكم على مدى صلاحيتها لعملية التحليل، وقد كان لملاحظاتهم فائدة قيمة وأثر طيب في إعادة النظر بحجم الفئات وسعتها، ومن ثمّ إعادة صياغة وترتيب محتوى الاستمارة، مما أسهم في الانتهاء بها إلى مستوى أمكن من تحقيق المطلوب من عملية التحليل بأيسر السبل.

---

(١) سمير محمد حسين، **تحليل المضمون**، مرجع سابق، ص١٢٦-١٢٨؛ **بحوث الإعلام**، مرجع سابق، ص٣١٤-٣١٦.

(٢) محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، مرجع سابق، ص٤١٨-٤١٩.

وأمـــا الثـــبات، الذي يعني العمل على التأكد من ثبات أداة التحليل فقد تم باستخدام أسلوب «إعادة الاختبار test- retest»، حيث قمت بإعادة تطبيق الأداة عـــلى عيـــنة المضـــمون نفسها، ضمن الإطار الزمني نفسه، وفي ضوء التعريفات الإجرائية للمفاهيم والفئات والوحدات، مرة بعد مرة، ولعدة مرات، على فترات زمانية متباعدة، وتقدير قيمة ومستوى الثبات بين نتائج كل اختبار والذي يليه إلى أن تحقق القدر الذي تطمئن إليه النفس من الاتساق والدقة والثبات.

وفي كـــل مـــرة، كان الثبات يُحسب بواسطة معادلة مبسطة تقوم على أساس حساب الفرق بين حالات الاتفاق بين كل اختبارين، ثم مقارنتها مع نتائج الاتفاق لاختبارين آخرين، وفقاً لمجموع وحدات عينة المضمون (مج)، ومن ثمّ استخراج النسبة المئوية التي تشير إلى مستوى الثبات.. وتستمر عملية الاختبار وإعادة الاختبار هذه حتى يتلاشى الفرق، أو يقترب من التلاشي، في المحصلة النهائية. ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة الآتية: مج ق٢- ق١ ×١٠٠٪

حيـــث تشير (ق٢) إلى نتيجة الاتفاق بين آخر اختبارين، وتشير (ق١) إلى نتـــيجة الاتفاق بين أول اختبارين، بينما تشير (مج) إلى مجموع وحدات العينة (مجتمع البحث).

## سابعاً: استخدام الحاسوب في تحليل المضمون:

تم تحليل عينة «المضمون» باستخدام الحاسوب، حيث عملت على تصميم بـــرنامج خـــاص وفق برنامج «أكسس access»، يعتبر ترجمة عملية لاستمارة التحليل، فاشتمل على المعلومات الأساس الخاصة بصحف العينة: اسم الصحيفة؛ تـــاريخ الصدور؛ رقم العدد؛ مدى وجود الظاهرة محل الدراسة.. كما اشتمل عـــلى فـــئات المضـــمون الست (الموضوع؛ السمات؛المصادر؛ المنشأ؛ أجندة

الصحافة إزاء الإشكالية؛ اتجاه المضمون)، وفئات الشكل الأربع (الموقع؛ مساحة الخبر؛ مساحة العنوان؛ حجم العنوان).. وتم إدخال البيانات إلى الحاسوب من خلال أربع نوافذ رئيسة (وهي ما يسمى: نماذج):

**النموذج الأول (الصفحة الرئيسة)**: ويشتمل على المعلومات الأساس الخاصة بالصحيفة (اسم الصحيفة؛ تاريخ الصدور؛ رقم العدد؛ مدى وجود الظاهرة)، كما يشتمل على فئات الشكل الأربع (الموقع؛ مساحة الخبر؛ مساحة العنوان؛ حجم العنوان)، إضافة إلى حقل (عنوان الخبر)، وحقل (الملاحظات) التي يمكن أن ترد أثناء عملية الإدخال.

**النموذج الثاني (الموضوع)**: ويتم الانتقال إليه مباشرة من نموذج (الصفحة الرئيسة) وهو يتفرع إلى ثلاثة نماذج فرعية كل منها يستوعب البيانات الخاصة بفئة من فئات «الموضوع» الثلاث (الصراع حول السلطة؛ الصراع حول الوطن؛ الصراع حول السيادة والنفوذ).. كما يشتمل، من خلال النموذج الفرعي لفئة « الصراع حول الوطن»، على فئة «أجندة الصحافة العربية إزاء الإشكالية».

**النموذج الثالث (السمات الفكرية والسياسية)**: ويتم الانتقال إليه مباشرة من نموذج الموضوع.. ويشتمل على فئة «السمات الفكرية والسياسية» لكل من السلطة السياسية الحاكمة وحركة التمرد.

**النموذج الرابع (المصدرية)**: ويتم الانتقال إليه مباشرة من نموذج السمات.. ويشتمل على فئتي المصدر والمنشأ.

كما تم استخدام برنامج «إكسل» لاستخراج النسب المئوية و إعداد الرسومات البيانية.

# تحليل المضمون الإخباري
# لاتجاهات الصحافة العربية

عرضت في ما سبق للإطار التطبيقي لدراسة اتجاهات « الصحافة العربية المشرقية اليومية» .. وأعرض هنا نتائج «تحليل المضمون» الإخباري «لصحف العيـــنة» من خلال فئات التصنيف ووحدات التحليل، التي تم اعتمادها ابتداءً كمؤشـــرات لتوصيف وتحديد «اتجاهات صحف العينة» إزاء «الإشكالية في جـــنوبي الســـودان» بشكل خاص، و«السودان» ممثلاً في «السلطة السياسية الحاكمة» بشكل عام، ضمن الفترة الزمنية للدراسة(١).

وتتبلور هذا الفئات الواصفة، الكاشفة عن «اتجاهات الصحافة»، في نمط «المعالجـــة الصحفية» الذي اعتمدته «صحف العينة» في التعامل مع الحدث «الشأن السياسي»، الذي يتجسد هنا في معالجات خمس:

١- موضوع المادة الإخبارية المنتقاة.

٢- السمات السياسية-الفكرية (لأبرز عناصر الصراع).

٣- مصدر المادة الإخبارية.

٤- منشأ المادة الإخبارية.

٥- مســـتوى الاهـــتمام، أي اهتمام الصحافة العربية بالمادة الإخبارية، ويشـــمل ذلك: موقع المادة الإخبارية من الصفحة؛ المساحة التي تشغلها المادة الإخبارية؛ مساحة العنوان؛ وحجم العنوان.

يضـــاف إلى ذلك ما يمكن أن يكشف عنه التحليل، في إطار «الصراع حول الوطن»، من أجندة مفترضة «لصحف العينة» إزاء «الإشكالية».

---

(١) تجـدر الإشـارة إلـى أنـه ولظروف المساحة، فقد تم حذف جداول التحليل، وعددها (٣٠) جدولاً، والرسوم البيانية، وعددها (٤٩) رسماً بيانياً.

وتتـــبلور حصيلة ذلك كله في الفئة الأساس: فئة «اتجاه المضمون»، التي يتم من خلالها القراءة النهائية «لاتجاهات صحف العينة» إزاء الشأن السياسي في السودان، ضمن الإطار الزمني للبحث.

غـــير أن النظر في نمط «المعالجة الصحفية» للحدث، يتطلب ابتداءً رصد «مدى وجود الظاهرة» محل البحث في «صحف العينة»، وذلك لمعرفة «عينة المضـــمون» التي خضعت عملياً للتحليل، ومن ثمّ التقدير المبدئي لمدى اهتمام «صحف العينة» بالشأن السياسي في السودان، بشكل عام.

وبالـــتأمل في خريطة «فئات التصنيف»[1]، يتبين أن عدد صحف العينة الـــتي خضـــعت للتحليل (٧٢) عدداً، بواقع (١٢) عدداً من كل صحيفة في الســـنة الواحدة من عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٣م.. وأن الظاهرة محل البحث، أو المواد الإخبارية حول الشأن السياسي في السودان، تكررت أربعة وعشرين مـــرة في (٢١) عدداً من أعداد السنة الأولى، حيث نشرت «الحياة» في أكثر مـــن عدد واحد أكثر من مادة إخبارية .. كما تكررت (٢١) مرة في (٢١) عدداً من أعداد السنة الثانية.

ويكشـــف التحلـــيل أن صحيفة «الحياة» كانت أكثر «صحف العينة» اهتماماً بالشأن السياسي في السودان، وذلك بنسبة ٥٣ %، يليها «الأهرام» بنسبة ٣١%، وأخيراً «الخليج» بنسبة ١٦%.

وســـوف يـــتم عـــرض نتائج التحليل، إزاء السودان وسلطته السياسية الحاكمـــة أولاً و«الإشـــكالية» في جنوبـــيه ثانياً، وفقاً للمعالجات الصحفية الخمس المشار إليها.

---

(١) ملحق رقم (٣) وملحق رقم (٤)

# أولاً:اتجاهات الصحافة العربية إزاء السودان

## المعالجة الأولى: موضوع المادة الإخبارية:

تم تصنيف فئة «الموضوع» ابتداءً وتقسيمها إلى فئات رئيسة ثلاث، هي: «الصراع حول السلطة»، و«الصراع حول الوطن»، و«الصراع حول السيادة والنفوذ».. وتفرعت عن كلٍ منها فئات فرعية.. ففئة «الصراع حول السلطة» تفرعت إلى فئات ثلاث: محاولات التغيير سياسياً؛ محاولات التغيير بالعنف؛ محاولات الإصلاح السياسي.

وتفرعت فئة «الصراع حول الوطن/ الإشكالية في جنوبي السودان» إلى: العمل العسكري (لصالح السلطة)؛ العمل العسكري (لصالح الحركة)؛ مشروعات الحل السياسي .

بينما تفرعت فئة « الصراع حول السيادة والنفوذ» إلى: التطور الإيجابي في العلاقات الثنائية؛ التوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة الحاكمة)؛ التوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات الدول الأجنبية).

وبالنظر في خريطة «تصنيف الفئات» يتبين أن «الصراع حول السيادة والنفوذ» احتل المرتبة الأولى في سلم اهتمامات «صحف العينة» بالشأن السياسي في السوداني عام ١٩٩٢م، بنسبة ٥٠٪، يليه «الصراع حول الوطن»، بنسبة ٣٣٪، وأخيراً «الصراع حول السلطة» بنسبة ١٧٪.

وكانت «الأهرام» (١٩٩٢م) أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول السيادة والنفوذ»، تليها «الحياة»، ثم «الخليج»، بنسب ٥٩٪، ٣٣٪، ٨٪، على التوالي.

وكانت «الحياة» (١٩٩٢م) أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول الوطن»، تليها «الأهرام»، بنسبة ٨٧٪، ١٣٪، على التوالي، بينما لم يكشف التحليل عن أي مستوى من الاهتمام بذلك من قبل «الخليج».

كما كانت «الحياة» أيضاً (١٩٩٢م) أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول السلطة» تليها «الخليج»، بنسبة ٧٥٪، ٢٥٪، على التوالي، بينما لم يكشف التحليل عن أي مستوى من الاهتمام بذلك من قبل «الأهرام».

وفي السنة الثانية (١٩٩٣م) من عامي الدراسة، برزت «الحياة» كأكثر «صحف العينة» اهتماماً بالشأن السياسي في السودان تليها «الأهرام» ثم «الخليج»، بنسب ٤٧٪، ٢٩٪، ٢٤٪، على التوالي.

واحتل «الصراع حول السيادة والنفوذ» المرتبة الأولى في سلم اهتمامات «صحف العينة» بالشأن السياسي في السوداني، كما كان الحال في السنة الأولى، بنسبة ٦٢٪، يليه بنسب متساوية (١٩٪) كل من «الصراع حول الوطن» و«الصراع حول السلطة».

كما برزت «الأهرام» أيضاً كأكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول السيادة والنفوذ»، بنسبة ٣٨٪، تليها بنسب متساوية (٣١٪) كل من «الحياة» و«الخليج».

وبرزت «الحياة »، مثلما كان الحال في السنة الأولى، كأكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول الوطن»بنسبة ٧٥%، تليها «الأهرام»،بنسبة ٢٥%، بينما لم يكشف التحليل عن أي مستوى من اهتمام «الخليج» بهذا النمط من الصراع.

كمـــا برزت «الحياة» كذلك كأكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حـــول السلطة» تليها «الخليج»، بنسب ٧٥%، ٢٥%، على التوالي، بينما لم يكشف التحليل عن أي مستوى من اهتمام «الأهرام» بهذا النوع من الصراع.

وبشـــكل عـــام، فـــإن «صحف العينة» كانت خلال الإطار الزمني للدراســـة، أكثر اهتماماً «بالصراع حول السيادة والنفوذ»، بنسبة ٥٥ %، يـــلي ذلك «الصراع حول الوطن» بنسبة ٢٧%، وأخيراً «بالصراع حول السلطة» بنسبة ١٨%.

وعـــلى مستوى الأفكار ضمن موضوعات الصراع، يكشف التحليل أن النســـبة الأكبر من اهتمامات «صحف العينة» توزعت بين مشروعات الحل السياســـي، والتطور الإيجابي في العلاقات الثنائية، بنسبة ٢٠% لكلٍ منهما، يلي ذلك التوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة السياسية الحاكمة)، والتوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات الدول الأجنبية) بنســـبة ١٨% لكلٍ، يلي ذلك محاولات التغيير بالعنف، بنسبة ٩%، فالعمل العســـكري (لصالح السلطة)، بنسبة ٧%، يلي ذلك كل من محاولات التغيير سياســـياً، ومحـــاولات الإصلاح السياسي، بنسبة ٤% لكلٍ، بينما لم تظهر «صـــحف العينة»، أي قدر من الاهتمام لما يصنف ضمن العمل العسكري (لصالح الحركة).

## المعالجة الثانية: السمات السياسية- الفكرية:

تم تصنيف فئة «السمات» التي يراد بها في هذا البحث: التعبير، أو الوصف، أو الصفة، أو المصطلح، ذو الدلالة على اتجاه «صحف العينة» إزاء كلٍ من «الإشكالية» والسلطة السياسية الحاكمة، إلى فئتين رئيستين، يتفرع عن كلٍ منهما مجموعة من الفئات، بعضها يحمل قيماً إيجابية «مؤيدة» وبعضها الآخر يعبر عن توجهات سلبية «معارضة»، مع الأخذ في الاعتبار التعبير اللفظي كما ورد في استخدامات هذه الصحافة.. وتشمل هذه الفئات: فئة «السمات السياسية-الفكرية للسلطة السياسية الحاكمة»، وفئة «السمات السياسية-الفكرية لحركة التمرد».

ويكشف التحليل أن «صحف العينة» كانت، في مجموعها، أكثر استخداماً لسمة «الحكومة السودانية»، وصفاً للسلطة السياسية الحاكمة، وذلك بنسبة ٤٠٪ من جملة ما استخدمته من سمات لوصفها، غير أنها في الوقت نفسه كانت تستخدم سمة «النظام» وهي من السمات السلبية، بنسبة ٢٩٪.. أما بقية السمات فكانت نسب استخدامها: ثورة الإنقاذ الوطني ١٪، حكومة الخرطوم ٦٪، نظام الترابي- البشير ١٪،نظام الفريق البشير ٦٪، حكومة البشير ٤٪، نظام الجبهة ٦ ٪، نظام مدعوم من قبل الجبهة (الجبهة التي تساند النظام) ٧ ٪، بينما لم يظهر التحليل أي وجود، ضمن الإطار الزمني للبحث، لسمة «نظام الخرطوم».

أما على المستوى الفردي «لصحف العينة»، وفي الوقت الذي لم تستخدم

فيه «الأهرام» سوى سمة الحكومة السودانية، استخدمت «الخليج» بنسب متساوية لخمس سمات: الحكومة السودانية، حكومة الخرطوم، نظام الفريق البشير، نظام الجبهة، النظام.

أما «الحياة»، باعتبارها أكثر «صحف العينة» اهتماماً بالشأن السياسي في السودان، فقد كانت أكثر استخداماً لسمة «الحكومة السودانية» بنسبة تبلغ ٤٠٪، من مجموع السمات التي استخدمتها لوصف السلطة السياسية الحاكمة، وبنسبة لا تقل عن ذلك كثيراً (٣٣٪) لسمة «النظام»، وكانت هي الصحيفة الوحيدة التي استخدمت سمة «ثورة الإنقاذ الوطني»، وإن كان ذلك بنسبة لا تتجاوز ٢٪.. أما بقية السمات فكان استخدامها على النحو التالي: حكومة الخرطوم ٣ ٪، نظام الترابي- البشير٢٪، نظام الفريق البشير ٣ ٪، حكومة البشير ٥ ٪، نظام الجبهة ٣ ٪، نظام مدعوم من قبل الجبهة (الجبهة التي تساند النظام) ٩ ٪.

كما يكشف التحليل، من جانب آخر، وعلى مستوى السمات السياسية- الفكرية لحركة التمرد أن «صحف العينة» في مجموعها، كانت أكثر استخداماً لسمة «الحركة الشعبية لتحرير السودان» و«الجيش الشعبي لتحرير السودان»، وصفاً لحركة التمرد، على المستويين السياسي والعسكري، وذلك بنسبة تبلغ ٥٠٪ من جملة ما استخدمته من سمات وصفاً للحركة.. يلي ذلك سمة «حركة التمرد» أو «المتمردين»، بنسبة ٢٥٪، ثم تعبير «المناوئين»، بنسبة ١٩٪، ثم «الثوار» بنسبة ٤٪، فالمعارضة العسكرية الجنوبية بنسبة ٢٪.

وعلى المستوى الفردي «لصحف العينة»، يكشف التحليل أن «الحياة» باعتبارها أكثر «صحف العينة» اهتماماً بالشأن السياسي في السودان، كثيراً ما كانت تسم حركة التمرد بسمة «الحركة الشعبية لتحرير السودان»، بنسبة تصل إلى ٥٦ % من جملة السمات التي استخدمتها وصفاً للحركة.. يلي ذلك سمة «المناوئين» ، بنسبة ٢٣%، وهي السمة التي تعتبر «الحياة» الصحيفة الوحيدة التي طرحتها وعملت على استخدامها في أكثر من مادة إخبارية.. وعملت في الوقت نفسه على استخدام سمة «حركة التمرد» بنسبة ١٤%، فالثوار بنسبة ٥ %، فسمة المعارضة العسكرية الجنوبية بنسبة ٢ %.

أما صحيفة «الخليج»، التي لم يكشف لها التحليل عن أي قدر من الاهتمام بموضع «الصراع حول الوطن/ الإشكالية»، فقد استخدمت، ضمن مواد إخبارية أخرى، سمتين فقط لوصف حركة التمرد، وهما الحركة الشعبية لتحرير السودان، وحركة التمرد.

أما «الأهرام» فلم تستخدم سوى سمة «حركة التمرد».

## المعالجة الثالثة: مصدر المادة الإخبارية:

تم تصنيف فئة «مصدر المادة الإخبارية» إلى فئتين رئيستين:«مصادر ذاتية» وتشمل المندوب الصحفي والمراسل الخارجي.. وفئة «مصادر غَيْرِيّة»، ويندرج تحتها عدة فئات: سودانية رسمية، سودانية معارضة، عربية وإفريقية، غربية.

ويكشف التحليل أن «صحف العينة» في مجموعها،كانت أكثر استخداماً لمصادرها الذاتية، بنسبة تبلغ ٦١%، بينما لم تستخدم من «مصادر غَيْرِيّة» سوى ما تصل نسبته إلى ١٣%.. غير أنها سكتت عن

٢٤% من مصادر موادها الإخبارية، في حين بلغت نسبة ما أشارت إلى أنه يجمع بين الذاتية والغيرية ٢%.

ويكشف التحليل على مستوى موضوعات الصراع أن «صحف العينة» حصلت على موادها المتصلة «بالصراع حول السلطة» من مصادرها الذاتية، بنسبة ١٨% من مجموع مصادر موادها حول الصراع بشكل عام .. فيما توزعت مصادرها عن «الصراع حول الوطن» بين الذاتية (٢٠%) والغيرية (٢%)، ولم تفصح عن مصدر ٤ % منها .. بينما كانت نسبة المصادر الذاتية فيما يتصل «بالصراع حول السيادة والنفوذ»، ٢٣ %، والغيرية ١١%، وسكتت عن ٢٠% من مصادرها، وجمعت بين الذاتية والغيرية في ٢ % من موادها.

كما يكشف التحليل، على المستوى الفردي «لصحف العينة» أن «الأهرام» كانت تعتمد في ١٤% من موادها الإخبارية حول الشأن السياسي في السودان على مصادرها الذاتية، وفي ٢٩ % على مصادر غيرية، غير أنها لم تشر إلى مصدر الغالبية العظمى (٥٧ %) من موادها.

أما صحيفة «الحياة» فكانت تعتمد في ٨٨% من موادها الإخبارية على مصادرها الذاتية، من مندوبين ومراسلين، في حين لم تتجاوز نسبة المواد التي أشارت إلى أنها استقتها من مصادر «غيرية» ٤ % ، فيما سكتت عن مصدر ٨% .

أما «الخليج» فكانت تعتمد في ما نشرته، على قلته، على مصادرها الذاتية، وخاصة مراسليها في الخرطوم والقاهرة، حيث بلغت نسبة ذلك ٥٨ % ، فيما توزعت النسبة المتبقية من موادها على الفئات الثلاث الأخرى بنسبة ١٤% لكلٍ منها.

## المعالجة الرابعة: منشأ المادة الإخبارية:

تم تحليل فئة منشأ المادة الإخبارية في ضوء ست فئات فرعية، هي: السودان؛ جنوبي السودان؛ دول الجوار العربي؛ دول الجوار الإفريقي؛ دول مصالح؛ أخرى.

وتتسع فئة «أخرى» لتشمل الفئات التي لا تندرج ضمن أي من الفئات الست الرئيسة، مما كشف عنه التحليل المبدئي، وهي سبع: السودان ودول عربية؛ السودان ودول إفريقية؛ السودان ودول مصالح؛ دول عربية (غير دول الجوار العربي)؛ دول إفريقية (غير دول الجوار الإفريقي)؛ لم يذكر (وهي الحالات التي لم تذكر الصحيفة فيها صراحة المنشأ الذي حصلت منه على مادتها الإخبارية)؛ إضافة إلى فئة بعنوان «أكثر من منشأ»، و تشير إلى الحالات التي يكون فيها منشأ المواد الإخبارية «لصحف العينة» أكثر من جهة واحدة، وقد تجمع بين أكثر من فئة من الفئات المعتمدة أساساً.

ويكشف التحليل أن دول الجوار العربي تحتل المرتبة الأولى في قائمة الدول التي تعتبر منشأ للمواد الإخبارية «لصحف العينة» حول الشأن السياسي في السودان بعامة، بنسبة ٢٤٪ - وذلك باستثناء فئة «أخرى» التي بلغت نسبتها ٤٥ ٪ - يليها دول المصالح، بنسبة ١٨٪، فالسودان، بنسبة ١١٪، فدول الجوار الإفريقي، بنسبة ٢٪، و لم تستق «صحف العينة» أياً من موادها الإخبارية من جنوبي السودان، بما في ذلك ما كانت تنشره من مواد عن «الصراع حول الوطن».

أمـــا عـــلى مستوى فئة «أخرى» فيكشف التحليل أن «صحف العينة» ســكتت عـــن النســـبة الأكـــبر (٣٠٪) من منشأ موادها الإخـــبارية، واعـــتمدت عـــلى السودان ودول مصالح في ٢٥٪، وعلى السودان ودول عربـــية في ١٥٪، كما اعتمدت على فئتي دول عربية، وأكثر من منشأ، في ١٠٪ لكـــلٍ منهما، وعلى فئتي الســـودان ودول إفريقية، ودول إفريقية، في ٥ ٪ لكلٍ منهما، وذلك من مجموع ما يندرج تحت فئة «أخرى».

ويكشف التحليل أن صحيفة «الأهرام» كانت تستقي ٤٤٪ من موادها الإخبارية حول الشأن السياسي في السودان من دول الجوار العربي، ٢١٪ من دول المصالح، و١٤٪ من دول عربية، بينما سكتت عن منشأ ٢١٪ مما نشرته.

وكانـــت صحيفة «الحياة» أكثر «صحف العينة» تنوعاً في منشأ موادها الإخـــبارية حول الشأن السياسي في السودان.. فقد حصلت على ذلك من: دول مصالح؛ السودان ودول مصالح؛ السودان؛ دول الجوار العربي؛ السودان ودول عربـــية؛ أكثر من منشأ؛دول الجوار الإفريقي؛السودان ودول إفريقية؛ دول إفريقـــية؛ بنسب ٢١٪، ٢١٪، ١٣٪، ١٣٪، ٨ ٪، ٨٪، ٤٪، ٤٪، ٤٪، على التوالي، وسكتت عن منشأ ٤٪ .

وحصلت صحيفة «الخليج» على ٢٩٪ من موادها الإخبارية من دول الجـــوار العربي، ٢٨٪ من الســـودان، ١٤٪ من الســـودان ودول عربية، بينما سكتت عن منشأ ٢٩٪ من موادها الإخبارية.

أمـــا على مستوى موضوعات الصراع، فيكشف التحليل أن «صحف العيـــنة»كانـــت تســـتقي ٣٧٪ من موادها الإخبارية عن «الصراع حول

السلطة» من السودان، ومثل ذلك من دول المصالح، و١٣٪ من دول الجوار العربي، بينما كانت تستقي ما تبقى (١٣٪) من فئة «أخرى».

كمـــا يكشـــف التحليل أن «صحف العينة» كانت تستقي ٢٥٪ من موادهـــا الإخبارية عن «الصراع حول الوطن» من دول مصالح، ١٧٪ من دول الجوار العربي، ٨ ٪ من السودان، ومثل ذلك من دول الجوار الإفريقي، غير أن النسبة الأكبر (٤٢٪) كانت تستقيها من فئة «أخرى».

وتتصدر دول الجوار العربي قائمة منشأ المواد الإخبارية «لصحف العينة» عن «الصراع حول السيادة والنفوذ»، بنسبة ٣٢٪، يليها دول مصالح بنسبة ٨ ٪، فالسودان، بنسبة ٤ ٪، غير أنها استقت ٥٦ ٪ من موادها الإخبارية من فئة «أخرى».

## المعالجة الخامسة: مستوى الاهتمام :

يتجلى التعبير عن مستوى اهتمام «صحف العينة» بالمادة الإخبارية حول الشـــأن السياسي في السودان من خلال أربعة متغيرات أساس: موقع المادة الإخـــبارية مـــن الصـــفحة؛ المساحة التي تشغلها المادة الإخبارية؛ مساحة العنوان؛ وحجم العنوان.

ويحتمل الموقع واحداً من متغيرات ثلاثة: رئيس أول، رئيس ثاني، وخبر أولى.. وتحـــتمل مســـاحة المادة الإخبارية واحداً من متغيرات خمسة: ثمانية أعمـــدة؛ (٥-٧) أعمدة؛ (٣-٤) أعمدة؛ عمودان؛ عمود واحد.. والأمر نفســـه ينطبق على مساحة العنوان.. بينما يحتمل حجم العنوان واحداً من

متغيرات خمسة: ثلاثة عناوين (خطوط) أو أكثر مع وحدة المضمون؛ ثلاثة عـــناوين أو أكـــثر مـــع اختلاف المضمون؛ عمودان مع وحدة المضمون؛ عمودان مع اختلاف المضمون؛ عنوان واحد.

وكشف التحليل عدم وجود مادة إخبارية تبلغ مساحتها ثمانية أعمدة، ولذلـــك تم استبعاد هذا المتغير ابتداءً.. كما كشف التحليل عن أن مساحة عنوان المادة الإخبارية كانت في الحالات كلها مساوية تماماً للمساحات التي تشـــغلها المـــادة نفســـها، لذلك لم يتم عرض نتائج التحليل لمتغير مساحة العنوان، فهي مما يرد ضمناً حين العرض لمساحة المادة الإخبارية.

### ١- الموقع:

كشـــف التحلـــيل أن نسبة المواد الإخبارية التي احتلت الموقع الرئيس الأول «مانشيت١» في «صحف العينة» بلغت ٩%، بينما لم تتجاوز نسبة الأخـــبار الـــتي شغلت الموقع الرئيس الثاني «مانشيت ٢» ٤ %، وشغلت الغالبـــية العظمى (٨٧%) مواقـــع أخرى من الصفحـــة الأولى، غير هذين الموقعين الرئيسين.

وشملـــت المـــواد الإخـــبارية المنشورة على الموقع الرئيس الأول أشكال الصراع الثلاث، وتتصل بمحاولات التغيير بالعنف، والعمل العسكري لصالح الســـلطة، والتوتر في العلاقات بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة السياسية الحاكمة، والتوتر في العلاقات بسبب ما يقال عن ممارسات الدول الأجنبية.. أمـــا المواد التي شغلت الموقع الرئيس الثاني، فتتصل بمشروعات الحل السياسي

«الصراع حول الوطن»، والتطور الإيجابي في العلاقات الثنائية.

وكانت صحيفة «الحياة» أكثر «صحف العينة» استخداماً للموقع الرئيس الأول والثاني، فقد استخدمت الأول في ثلاث حالات: محاولات التغيير بالعنف، والعمل العسكري لصالح السلطة، والتوتر في العلاقات بسبب ما يقال عن ممارسات الدول الأجنبية.. أما الموقع الرئيس الثاني، فقد استخدمته في حالتين: مشروعات الحل السياسي «الصراع حول الوطن»، والتطور الإيجابي في العلاقات الثنائية.. أما «الأهرام» فلم تستخدم الموقع الرئيس الأول سوى مرة واحدة تتصل بالتوتر في العلاقات بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة السياسية الحاكمة.. فيما لم تستخدم «الخليج» أياً من الموقعين الرئيسين.

## ٢- مساحة المادة الإخبارية (ومساحة العنوان):

كشف التحليل أن النسبة الأكبر (٤٦%) من المواد الإخبارية المنشورة في «صحف العينة» احتلت مساحة تتراوح بين (٣-٤) أعمدة.. بينما احتلت ٣٦ % من المواد مساحة عمود واحد .. و١٦% مساحة عمودين، فيما لم تتجاوز نسبة المواد التي شغلت مساحتها (٥-٧) أعمدة ٢ % فقط.

أما على مستوى «صحف العينة»، فيكشف التحليل أن «الأهرام» كانت تنشر أغلب موادها الإخبارية على عمود واحد (٢٢%) من جملة مساحات المواد الإخبارية للعينة، و٤% على عمودين، ومثل ذلك على

(٣-٤) أعمدة.. وأن «الحياة» كانت تنشـــر أغلب موادهـــا الإخـــبارية (٣٧%) عـــلى (٣-٤) أعمدة، و ٩% على عمودين، و٥٧% على عمود واحد، ولم تتجاوز نسبة ما نشرته على مساحة (٥-٧) أعمدة ٢ % فقط.. وأن «الخلـــيج» كانـــت تنشر موادها الإخبارية على (٣-٤) أعمدة، بنسبة تعادل ٧ %، وعلى عمودين بنسبة ٤ %، ومثل ذلك على عمود واحد.

وأما على مستوى موضوعات الصراع، فيكشف التحليل أن «صحف العيـــنة» كانت تنشر موادها عن « الصراع حول السلطة» إما على (٣-٤) أعمدة، بنسبة ٢١%، أو على عمود واحد، بنسبة ٤ %.. وأما موادها عن «الصـــراع حـــول الوطن» فكان أغلبها (١٦%) ينشر على عمود، أما ما ينشـــر عـــلى (٣-٤) أعمـــدة فيعادل ١٣%، وما ينشـــر على عمودين يعـــادل ١١%.. وأمـــا المواد عن «الصراع حول السيادة والنفوذ» فكان أغلبها (١٦%) ينشـــر على عمـــود، وأقـــل من ذلك (١٣%) ينشر على (٣-٤) أعمـــدة، بينما لم يكن ما نشر على عمودين يتجاوز نسبة ٤ %، وما نشر على مساحة (٥-٧) يتجاوز ٢ % فقط.

### ٣- حجم العنوان:

يكشف التحليل أن معظم (٤٠%) عناوين المواد الإخبارية في «صحف العينة» حول الشأن السياسي في السودان كانت تتكون من خطين مع وحدة المضـــمون، ســـواء كان الخطان عنواناً واحداً ممتداً على سطرين، أو عنوانين مســـتقلين ولكـــن حول مضمون واحد.. وبلغت نسبة حجم العناوين التي

جاءت على ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون ٢٩٪، فيما بلغت نسبة حجم العناوين التي تتكون من ثلاثة خطوط دون وحدة المضمون ٢٢٪، وبلغت نسبة حجم العناوين الواردة على خطين بدون وحدة المضمون ٧٪، وعلى خط واحد نسبة ٢ ٪.

أما على مستوى موضوعات الصراع، فيكشف التحليل أن حجم عناوين المواد الخاصة «بالصراع حول السلطة» تتراوح بين ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون وخطين مع وحدة المضمون، بنسبة ٧ ٪ لكلٍ منهما، و٢ ٪ لكل من ثلاثة خطوط بدون وحدة المضمون وخطين بدون وحدة المضمون.. فيما تتراوح حجم عناوين «الصراع حول الوطن» بين خطين مع وحدة المضمون (٩ ٪) وثلاثة مع وحدة المضمون وثلاثة بدون وحدة المضمون، بنسبة ٧ ٪ لكل منهما، و٤٪ لخط واحد.. وأما «الصراع حول السيادة والنفوذ»، فكثيراً ما كانت «صحف العينة» تستخدم خطين مع وحدة المضمون (٢٤ ٪)، وثلاثة مع وحدة المضمون (١٦ ٪)، وثلاثة بدون وحدن وحدة المضمون(١٣ ٪)، وخطين بدون وحدة المضمون ولكن بنسبة ٢٪.

وأما على مستوى «صحف العينة»، فيكشف التحليل أن «الأهرام» كانت كثيراً ما كانت تستخدم خطين مع وحدة المضمون (١٨٪) من مجموع حجم عناوين «صحف العينة»، مقارنة مع ٤ ٪ لكلٍ من ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون وثلاثة خطوط بدون وحدة المضمون، و٢ ٪ لكل من خطين بدون وحدة المضمون، وخط واحد.. أما «الحياة» فكانت

نســبها متقاربة إلى حد بعيد، حيث كانت تستخدم ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون بنسبة ١٨٪ ، وثلاثة خطوط بدون وحدة المضمون بنسبة ١٦٪، وخطين مع وحدة المضمون بنسبة ١٦ ٪ أيضاً، وخطين بدون وحدة المضمون وخط واحد بنسبة ٢ ٪ لكل منهما ..أما «الخليج» فلم تكن تستخدم سوى حجمين من الخطوط، ثلاثة مع وحدة المضمون بنسبة ٩ ٪، وخطين مع وحدة المضمون بنسبة ٧ ٪.

## - حصيلة اتجاهات المضمون:

وعلى خلفية الحصيلة الكلية لمجموعة المعالجات الخمس «لصحف العينة» للشأن السياسي في السودان، يكشف التحليل أن الصحافة العربية المشرقية اليومية «صحف العينة» كانت تميل في جملتها، وبنسبة تصل إلى ٦٠٪، لاتخاذ موقف «معارض» من الشأن السياسي في السودان بشكل عام، بينما لم تتجاوز نسبة الموقف «المؤيد» ٢٧ ٪، إضافة إلى أن هناك بعض الحالات (١٣٪) لم يبرز من خلالها موقف معين «لصحف العينة»، سواء بالتأييد أو المعارضة، فتم تصنيفها ضمن فئة «آخر».

أما على مستوى موضوعات الصراع، فيكشف التحليل أن الموقف من «الصراع حول السلطة» كان يميل في الغالب إلى المعارضة، بنسبة ١٦٪، من مجموع مواقف «صحف العينة» من أشكال الصراع المختلفة، بينما لم تتجاوز نسبة التأييد ٢٪، في حين بلغت نسبة ما تم تصنيفه ضمن فئة «آخر» ٤ ٪.

وكـــان الموقف من «الصراع حول الوطن»، يميل إلى التأييد بنسبة تصل إلى ١٦%، بيـــنما لم يتجاوز الموقف المعارض ٧ %، وبقي ما صنف ضمن فئة «آخر» في حدود ال ٤ %.

وكان الموقف من «الصراع حول السيادة والنفوذ» يميل بنســـبة كبيرة (٣٦%) إلى المعارضـــة، في حين بلغت نسبة الموقف المؤيد ١١% فقط، وظل الموقف «الآخر» كما هو (٤%).

وأما على مستوى «صحف العينة» فيكشف التحليل أن «الحياة» كانت تمـــيل بشكل واضح إلى اتخاذ موقف معارض من السلطة السياسية الحاكمة، في إطـــار «الصراع حول السلطة»، وتقترب منها كثيراً في ذلك «الخليج»، فيما لم تبد «الأهرام» أي نوع من الاهتمام بهذا الصراع.

إلا أن «الحـــياة» نفســـها كانت أكثر «صحف العينة» تأييداً للسلطة السياســـية الحاكمة في إطار« الصراع حول الوطن»، وأن «الأهرام» كانت تمـــيل إلى شـــيء من التوازن، على ضعف اهتمامها بهذا النمط من الصراع، الذي لم تهتم به «الخليج».

واحتلت «الأهرام» المرتبة الأولى، من بين «صحف العينة» الثلاث، تليها «الحـــياة»، «فالخليج» في الميل لاتخاذ مواقف معارضة من السلطة السياسية الحاكمـــة في إطـــار «الصراع حول السيادة والنفوذ»، وإن بدت «الأهرام» وكأنها الأكثر توازناً من الأخريات في بعض مواقفها.

## ثانياً:اتجاهات الصحافة العربية إزاء الإشكالية

تعتبر اتجاهات «صحف العينة» إزاء «الإشـــكالية في جنوبي السودان» مما ورد ضمناً أثناء عرض اتجاهات «الصحافة العربية المشرقية اليومية» إزاء السودان، وسلطته السياسية الحاكمة، حيث تم العرض لمضمون العينة بشكل عـــام.. إلا أن النظرة الدقيقة لما جاء في إطار فئة «الصراع حول الوطن»، تكشف عما يأتي:

### ١- الموضوع:

يأتي اهتمام «صحف العينة» بموضوع «الصراع حول الوطن» في المرتبة الثانية (٢٧ %) بعـــد اهـــتمامها بموضوع «الصراع حول السيادة والنفوذ» (٥٥%)، وقبل «الصراع حول السلطة»(١٨%)، وذلك ضمن الإطار الزماني للدراسة.

وكانت نسبة الاهتمام في السنة الأولى (١٩٩٢م) ٣٣%،مقابل ٥٠% «للصراع حول الســـيادة والنفوذ»، و١٧% «للصـــراع حول السلطة».. ولم يختلف الحال كثيراً في السنة الثانية (١٩٩٣م)، وإن تدنت نسبة الاهتمام، فبلغـــت ١٩%، مقـــابل ٦٢% «للصراع حول السيادة والنفوذ»، و١٩% «للصراع حول السلطة».

وتعتبر صحيفة «الحياة» أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول الوطن»، ففي السنة الأولى (١٩٩٢م) بلغت نسبة اهتمامها ٨٣% من جملة اهتمام «صحف العينة» بالموضوع.. بينما لم تتجاوز نسبة اهتمام «الأهرام» ١٧% ، في حـــين لم يلق هذا النوع من الصراع أي نوع من الاهتمام من قبل صحيفة «الخليج».

وفي السنة الثانية (١٩٩٣م)، بلغت نسبة اهتمام «الحياة» ٧٥%، بينما بلغت نسبة اهتمام «الأهرام» ٢٥%، وغابت «الخليج» عن ساحة الاهتمام بهذا النمط من الصراع.

ويتركز اهتمام «صحف العينة» بشكل أساس حول مشروعات الحل السياسي والعمل العسكري لصالح السلطة، بنسبة ٢٠%، ٧%، على التوالي، وذلك من مجموع ما اهتمت به في إطار الأفكار الرئيسة لموضوعات الصراع السياسي في السودان. وغاب تماماً عن ساحة الاهتمام ما يمكن تصنيفه في خانة الاهتمام بالعمل العسكري (لصالح حركة التمرد).

وبلغت نسبة اهتمام «الحياة» بمشروعات الحل السياسي في عام ١٩٩٣م نسبة ٣٤% في مقابل ٢٥% في عام ١٩٩٢م.. في حين بلغت نسبة اهتمام «الأهرام» بالموضوع نفسه ٨ % لكل عام من عامي الدراسة.. أما العمل العسكري لصالح السلطة، فهو ما اهتمت به «الحياة» دون غيرها، وبلغت نسبة اهتمامها ٢٥% من مجموع اهتمامات «صحف العينة»، وذلك في عام ١٩٩٣م فقط، حيث لم يكشف التحليل عن أي نوع من الاهتمام بالأمر من خلال عينة السنة الأولى (١٩٩٢م).

## ٢- السمات السياسية-الفكرية:

تشير السمات السياسية-الفكرية لحركة التمرد إلى أن «صحف العينة» كانت أكثر استخداماً لسمة «الحركة الشعبية لتحرير السودان» و«الجيش الشعبي لتحرير السودان» وصفاً لها، على المستويين السياسي والعسكري، وذلك بنسبة ٥٠% من جملة ما استخدمته من سمات وصفاً للحركة.. يلي ذلك سمة «حركة المتمرد» أو «المتمردين»، بنسبة ٢٥%، ثم سمة «المناوئين»، بنسبة ١٩%، ثم «الثوار» بنسبة ٤ %، فالمعارضة العسكرية الجنوبية بنسبة ٢ %.

وكانت «الحياة»، باعتبارها أكثر «صحف العينة» اهتماماً بالإشكالية، كثيراً ما تسم حركة التمرد بسمة «الحركة الشعبية لتحرير السودان»، بنسبة تصل إلى ٥٦ % من جملة السمات التي استخدمتها وصفاً للحركة.. كما كانت تستخدم سمات: «الثوار» (٥ %)، و«المعارضة العسكرية الجنوبية» (٢%) .. غير أنها في الوقت نفسه كانت تستخدم سمات أخرى مثل: «حركة التمرد» (١٤%)، والمتمردين «المناوئين» للحكومة (٢٣%)، وهي السمة التي تعتبر «الحياة» الصحيفة الوحيدة التي طرحتها وعملت على استخدامها في أكثر من مادة إخبارية.

أما صحيفة «الخليج»، التي لم يظهر التحليل لها أي قدر من الاهتمام بموضوع «الإشكالية»، فقد استخدمت، من خلال مواد إخبارية خارج دائرة «الصراع حول الوطن»، سمتين فقط لوصف حركة التمرد، وهما «الحركة الشعبية لتحرير السودان»، و«حركة التمرد».. ولم تستخدم «الأهرام» سوى سمة «حركة التمرد».

## ٣- المصادر:

توزعت مصادر« صحف العينة»، عن«الإشكالية/ الصراع حول الوطن» بين الذاتية (٢٠%) والغيرية (٢%)، والسكوت عن المصدر (٤ %)، من جملة مصادر «صحف العينة»حول الشأن السياسي في السودان.

وبلغت نسبة المصادر الذاتية فيما يتصل بالعمل العسكري لصالح السلطة ٧%، في حين بلغت مصادر مشروعات الحل السياسي: ١٣% ذاتية، ٢ % غيرية، ٤ % «لم تذكر».

وعلى مستوى «الصراع حول الوطن/ الإشكالية» فقط، فإن «صحف العينة» استقت ٧٥% من موادها الإخبارية حول «الإشكالية» من مصادرها «الذاتية»، و٨% من مصادر «غيرية»، فيما «لم تذكر» مصدر ١٧% منها.

## ٤- المنشأ:

مـــن أبـــرز وأهـــم ما كشف عنه التحليل حول منشأ المواد الإخبارية «لصـــحف العيـــنة» عن «الصراع حول الوطن» أن جنوبي السودان، حيث الميدان العسكري الفعلي والسياسي للإشكالية، لم يكن منشأ لأي مما نشر من مـــواد إخبارية حول «الإشكالية»، بل إن ما كان منشـــؤه السـودان نفسه لم تتجاوز نسبته ٨ %، من جملة ما كانت تستقيه «صحف العينة» من مواد إخـــبارية، وأن النسبة الأكبر (٢٥%) كان منشؤها دول مصالح، يليها دول الجوار العربي (١٧%)، فدول الجوار الإفريقي (٨ %)، غير أن النسبة الأكبر (٤٢%) كان منشؤها فئة «أخرى».

وحـــتى صحيفة «الحياة»، الأكثر اهتماماً بما يدور حول «الإشكالية»، كانت تستقي ٢٠% من موادها الإخبارية من دول المصالح، ١٠% من دول الجـــوار العـــربي، ومـــثل ذلك من دول الجوار الإفريقي، فيما لم تستق من السودان سوى ١٠%، ويدور كله حول العمل العسكري لصالح السـلطة.. أمـــا «الأهرام» فكانت تستقي موادها الإخبارية حول «الإشكالية» إما من دول الجوار العربي أو دول مصالح.

## ٥- مستوى الاهتمام:

### أ- الموقع:

شغلت أخبار « الصراع حول الوطن» بعض المواقع الرئيسة في «صحف العينة» من بينها الموقع الرئيس الأول، الذي شغلته مواد حول أشكال الصراع الـثلاثة كلها، والموقع الرئيس الثاني.. وتدور المواد التي شغلت الموقع الرئيس الأول حـــول « العمـــل العسكري لصالح السلطة».. بينما تدور المواد التي شغلت الموقع الرئيس الثاني حول «مشروعات الحل السياسي».

وكانت «الحياة» الصحيفة الوحيدة، من بين «صحف العينة» التي استخدمت الموقعين الرئيس الأول والثاني، لما نشر فيهما عن «الصراع حول الوطن».

**ب- المساحة:**

شغلت المواد الإخبارية «لصحف العينة» حول «الإشكالية»، في معظمها (١٦%) مساحة عمود واحد، بينما لم تتجاوز نسبة ما ينشر على (٣-٤) أعمدة ١٣%، وما نشر على عمودين نسبة ١١% من المجموع الكلي لمساحات المواد المنشورة.

**ج- الحجم:**

تراوح حجم عناوين المواد الخاصة «بالصراع حول الوطن/ الإشكالية» بين خطين مع وحدة المضمون (٥٩%) وثلاثة مع وحدة المضمون وثلاثة بدون وحدة المضمون، بنسبة ٧% لكل منهما، و٤ % لخط واحد.

**٦- اتجاه المضمون:**

تميل نتائج التحليل للإشارة إلى أن ما كان مؤيداً للسلطة السياسية الحاكمة في إطار «الصراع حول الوطن»، ينطوي على كثير من معاني المعارضة لحركة التمرد، وعلى ذلك يمكن قراءة اتجاهات الصحافة العربية «صحف العينة» إزاء الحركة، وبالتالي إزاء «الإشكالية في جنوبي السودان».

وتؤكد النتائج التي تم التوصل إليها أن الموقف من «الصراع حول الوطن»، كان يميل إلى تأييد السلطة السياسية الحاكمة بنسبة تصل إلى ١٦%، بينما لم يتجاوز الموقف المعارض ٧ %، وبقي ما صنف ضمن فئة «آخر» في حدود ال ٤ %، وذلك من المجموع الكلي لاتجاهات ومواقف «صحف العينة» من أشكال الصراع المختلفة.

كما تؤكد النتائج أن «الحياة» كانت أكثر «صحف العينة» اهتماماً بموقف السلطة السياسية الحاكمة في إطار« الصراع حول الوطن»، وقد يبدو هذا الاهتمام كنوع من التأييد في بعض الأحيان، على الرغم من ضعف مستوى ذلك..وكانت «الأهرام» تميل إلى شيء من التحفظ، على ضعف اهتمامها بهذا النمط من الصراع، الذي لم تهتم به «الخليج» أصلاً.

إلا أن التحليل بشكل عام، لم يكشف عن مؤشرات واضحة يمكن الاعتماد عليها في القول: بأن «صحف العينة» كانت تتبنى «أجندة» معينة إزاء «الإشكالية»، إلا أن «الحياة» كان أكثر اهتماماً بمشروعات الحل السياسي وما يتم من مفاوضات بين السلطة السياسية الحاكمة وحركة التمرد، من خلال مراسليها ومندوبيها الذين تبعث بهم خصيصاً لتغطية هذه المفاوضات صحفياً، وما يطرح في جلسات، وعلى هوامش الجلسات، من مشروعات سياسية، سواء في مجال حق تقرير المصير، أو الانفصال، أو الوحدة، مشروطة كانت أو غير مشروطة، ونحو ذلك، وسواء كانت تلك المشروعات وفق أجندة حركة التمرد أو غيرها، كما حدث في مفاوضات أبوجا (١٩٩٣م).

# مؤشرات البعد الفكري
# للإعلام السياسي العربي المعاصر

( تفسير النتائج والإجابة عن تساؤلات البحث )

# أولاً: تفسير نتائج التحليل للمضمون

انتهى عرض تحليل مضمون «صحف العينة»، إلى النتائج الآتية:

## - على مستوى الموضوع:

١- احتل «الصراع حول السيادة والنفوذ» المرتبة الأولى في سلم أولويات واهتمامات «أجندة » «صحف العينة»، بالشأن السياسي في السودان.. بنسبة بلغت ٥٥٪، يلي ذلك «الصراع حول الوطن» بنسبة ٢٧٪، وأخيراً «الصراع حول السلطة» بنسبة ١٨٪.

٢- «الحياة»، أكثر «صحف العينة» اهتماماً بالشأن السياسي في السودان، بشكل عام، تليها «الأهرام» ثم «الخليج».

٣- «الحياة»، أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول السلطة» في السودان خلال عامي الدراسة، تليها «الخليج».

٤- «الحياة»، أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول الوطن»، خلال عامي الدراسة.. تليها «الأهرام».

٥- «الأهرام»، أكثر «صحف العينة» اهتماماً «بالصراع حول السيادة والنفوذ» خلال الإطار الزمني للدراسة، تليها «الحياة» ثم «الخليج».

٦-«الخليج»، هي الصحيفة الوحيدة، من بين «صحف العينة»، التي لم يكن «الصراع حول الوطن» يحتل أي موقع في قائمة اهتماماها «أجندها» خلال الإطار الزمني للدراسة.

٧- «الأهرام»، هي الصحيفة الوحيدة، من بين «صحف العينة»، التي لم تبد أي قدر من الاهتمام بموضوع «الصراع حول السلطة» خلال الإطار الزمني للدراسة.

٨- مشروعات الحل السياسي، والتطور الإيجابي في العلاقات الثنائية، كانا في مقدمة اهتمامات «أجندة» صحف العينة، ضمن المحاور الرئيسة للصراع السياسي في السودان، يلي ذلك التوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة السياسية الحاكمة)، والتوتر في العلاقات (بسبب ما يقال عن ممارسات الدول الأجنبية)، ومحاولات التغيير بالعنف، فالعمل العسكري (لصالح السلطة)، فمحاولات التغيير سياسياً، ومحاولات الإصلاح السياسي، بينما لم تبد «صحف العينة» أي قدر من الاهتمام بما يمكن أن يصنف ضمن فئة العمل العسكري (لصالح الحركة).

٩- اهتمام «صحف العينة»، في إطار «الصراع حول الوطن»، تمحور بشكل أساس حول مشروعات الحل السياسي، فالعمل العسكري (لصالح السلطة).

١٠- «الحياة» هي الوحيدة من بين «صحف العينة» التي اهتمت بالعمل العسكري لصالح السلطة.

## - على مستوى السمات السياسية - الفكرية:

١- «صحف العينة» كانت أكثر استخداماً لسمة «الحركة الشعبية لتحرير السودان» و«الجيش الشعبي لتحرير السودان»، وصفاً لحركة التمرد، على المستويين السياسي والعسكري.. ولكنها كانت تستخدم في الوقت نفسه، وبنسب متفاوتة سمات: «حركة المتمرد» أو «المتمردين»، «المناوئين»، «الثوار»، والمعارضة العسكرية الجنوبية.

٢- «الحياة»، باعتبارها أكثر «صحف العينة» اهتماماً بـ«الإشكالية»، كثيراً ما كانت تسم حركة التمرد بسمة «الحركة الشعبية لتحرير

السودان».. كما كانت تستخدم سمات: الثوار والمعارضة العسكرية الجنوبية.. غير أنها كانت تستخدم، في الوقت نفسه، سمات أخرى مثل: «حركة التمرد»، والمتمردين «المناوئين» للحكومة، وهي السمة التي تعتبر «الحياة» الصحيفة الوحيدة من بين «صحف العينة» التي طرحتها واستخدمتها في أكثر من مادة إخبارية.

٣- «الخليج»، التي لم يكشف التحليل عن أي قدر لها من الاهتمام بموضوع «الإشكالية»، استخدمت سمتين فقط لوصف حركة التمرد، هما: «الحركة الشعبية لتحرير السودان»، و«حركة التمرد».. بينما لم تستخدم «الأهرام» سوى سمة «حركة التمرد».

## - على مستوى مصدر المادة الإخبارية:

١- «صحف العينة»، كانت أكثر اعتماداً (٦١٪) على مصادرها الذاتية في الحصول على موادها الإخبارية حول الشأن السياسي في السودان، غير أنها سكتت عن مصادر ربع موادها.

٢- «الأهرام» سكتت عن مصادر أكثر من نصف موادها الإخبارية (٥٧٪) حول الشأن السياسي في السودان.

٣- «الحياة» اعتمدت في أكثر من ثلاثة أرباع موادها الإخبارية (٨٨٪) على مصادرها الذاتية من مندوبين ومراسلين.

٤- «الخليج» كانت أكثر اعتماداً فيما نشرته، على قلته، على مصادرها الذاتية، وخاصة مراسليها في الخرطوم والقاهرة.

## - على مستوى منشأ المادة الإخبارية:

١- دول الجوار العربي، احتلت المرتبة الأولى فيما يتصل بمنشأ المواد الإخبارية «لصحف العينة» حول الشأن السياسي في السودان، يليها دول المصالح، فالسودان، فدول الجوار الإفريقي.

٢- جنوبي السودان، لم يكن منشأ لأي من المواد الإخبارية في «صحف العينة» حول الشأن السياسي في السودان، بما في ذلك «الصراع حول الوطن».. وما كان منشؤه السودان حول «الإشكالية» بشكل خاص لم تتجاوز نسبته ٨ %.

٣- دول المصالح، ودول الجوار العربي، ودول الجوار الإفريقي، كانت منشأ النسبة الأكبر من المواد الإخبارية «لصحف العينة».

٤- «صحف العينة» استقت معظم موادها الإخبارية عن «الصراع حول السلطة» من السودان، ودول المصالح.

٥- «صحف العينة» استقت النسبة الأكبر من موادها الإخبارية عن «الصراع حول الوطن» من دول المصالح، فدول الجوار العربي، ولم تستق من السودان سوى نحو ٨ % .

٦- «صحف العينة» استقت النسبة الأكبر من موادها الإخبارية عن «الصراع حول السيادة والنفوذ»، من دول الجوار العربي، ودول المصالح.

٧- «الأهرام» استقت النسبة الأكبر من موادها الإخبارية حول الشأن السياسي في السودان من دول الجوار العربي، ودول المصالح.

٨- «الحياة» هي أكثر «صحف العينة» تنوعاً، من حيث منشأ موادها الإخبارية.

٩- «الحياة»، على الرغم من كونها أكثر «صحف العينة» اهتماماً بالشأن السياسي في السودان بشكل عام، إلا أنها كانت تستقي ٢٠% من موادها الإخبارية حول «الإشكالية» بشكل خاص من دول المصالح، فيما لم تستق من السودان سوى ١٠%، ويدور كله حول العمل العسكري لصالح السلطة.. أما «الأهرام» فكانت تستقي موادها الإخبارية - حول «الإشكالية»- إما من دول الجوار العربي أو دول المصالح.

١٠- «الخليج» استقت النسبة الأكبر من موادها الإخبارية من دول الجوار العربي والسودان، وسكتت عن منشأ ثلثها تقريباً.

## - على مستوى الاهتمام بالمادة الإخبارية:

١- الأخبار الرئيسة الأولى حول الشأن السياسي في السودان لم تتجاوز نسبتها في «صحف العينة» ٩%، بينما لم تتجاوز نسبة الأخبار التي تندرج تحت قائمة: «الرئيسة٢» ٤% . أما الغالبية العظمى من المواد الإخبارية (٨٧%) فقد شغلت مواقع أخرى من الصفحة الأولى، غير هذين الموقعين.

٢- أخبار الموقع الرئيس الأول شملت أشكال الصراع الثلاث.

٣- «الحياة» أكثر «صحف العينة» استخداماً للموقع الرئيس الأول والثاني، والوحيدة التي استخدمت الموقعين الرئيس الأول والثاني، لما نشر عن «الصراع حول الوطن». بينما استخدمت «الأهرام» الموقع الرئيس الأول مرة واحدة تتصل بالتوتر في العلاقات بسبب ما يقال عن ممارسات السلطة السياسية الحاكمة.. فيما لم تستخدم «الخليج» أيّاً من الموقعين.

٤- النسبة الأكبر من المواد الإخبارية في الصحافة العربية حول الشأن السياسي في السودان، كانت تشغل مساحة تقدر ما بين (٣-٤) أعمدة.

٥- «الأهرام» كانت تنشر أغلب موادها الإخبارية على عمود واحد .. أمـا «الحـياة» فكانت أغلب أخبارها تنشر على مساحة (٣-٤) أعمدة .. بينما تنشر «الخـليج» موادها إما على (٣-٤) أعمـدة، أو على عمودين، وأحياناً على عمود واحد.

٦- موضوعات «الصراع حول السلطة» كانت تنشر إما على (٣-٤) أعمدة، أو على عمود واحد.

٧- موضوعات «الصـراع حـول الوطن» كان أغـلبها ينشـر على عمود واحد.

٨- موضـوعات «الصراع حول السيادة والنفوذ»، كان أغلبها ينشر على عمود واحد.

٩- عناوين «صحف العينة» حول الشأن السياسي في السودان، كانت في معظمها تتكون من خطين متحدي المضمون.

١٠- عـناوين المـواد الخاصـة «بالصراع حول السلطة» تتراوح في الغالب بين ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون وخطين مع وحدة المضمون.. وأمـا «الصـراع حـول الوطن» فتتراوح بين خطين مع وحدة المضمون وثلاثـة مع وحدة المضمون وثلاثة بدون وحدة المضمون.. وأما «الصراع حول السيادة والنفوذ»، فكثيراً ما كانت «صحف العينة» تستخدم في ما يتصل به خطين مع وحدة المضمون.

١١- «الأهرام» كثيراً ما كانت تستخدم خطين مع وحدة المضمون.. أما «الحـياة» فغالـباً ما كانت تستخدم ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون، وثلاثة بـدون وحـدة المضـمون..أما «الخليج» فلم تكن تستخدم سوى نمطين من الخطوط، ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون وخطين مع وحدة المضمون.

## - على مستوى الاتجاهات:

١- «صحف العينة» تميل في جملتها، بشكل عام، لاتخاذ موقف معارض من الشـــأن السياسي في السودان ، بنسبة تصل إلى ٦٠٪، بينما لا يتجاوز الموقف المؤيد نسبة ٢٧٪، وهناك بعض الحالات (١٣٪) تم تصنيفها ضمن فئة «آخر».

٢- موقـــف «صحف العينة» من «الصراع حول السلطة» كان يميل في الغالب إلى معارضة السلطة السياسية الحاكمة.

٣- موقف «صحف العينة» من «الصراع حول الوطن»، كان يميل إلى الاضطراب والتردد بين التأييد ومعارضة السلطة السياسية الحاكمة.

٤- موقف «صحف العينة» من «الصراع حول السيادة والنفوذ»، كان يميل بنسبة كبيرة إلى معارضة السلطة السياسية الحاكمة.

٥- «الحـــياة» كانـــت تمـــيل بشكل واضح، في ما يتصل «بالصراع حول السلطة» إلى اتخاذ موقف معارض من السلطة السياسية الحاكمة، وتقترب منها كثيراً في ذلك «الخليج»، فيما لم تبد «الأهرام» أي نوع من الاهتمام بهذا الصراع.

٦- «الحياة» كانت الأكثر اضطراباً بين التأييد والمعارضة لموقف السلطة السياســية الحاكمة في إطار«الصراع حول الوطن»، فيما كانت «الأهرام» تميل إلى شيء من التحفظ، على ضعف اهتمامها بهذا الصراع، الذي لم توليه «الخليج» كبير اهتمام.

٧- تميل «صحف العينة» إلى اتخاذ مواقف معارضة من السلطة السياسية الحاكمة في إطار «الصراع حول السيادة والنفوذ»، حيث جاءت «الأهرام» في المرتبة الأولى، تليها «الحياة»، «فالخليج».

# ثانياً: محاولات للفهم والتفسير

محاولـــة الفهم والتفسير للنتائج، تأخذ بعين الاعتبار ابتداءً، مجموعة من المفاتـــيح التي انتهى إليها كثير من الباحثين، العرب وغيرهم، مما ورد في ثنايا هذه الدراسة.. من ذلك:

١- العملية الســـياسية يصعب تصـــورها وإدراكها بدون «الاتصال»، مثلما أن «الاتصـــال»، الذي يعـــتبر – حســـب وصـــف «نوربرت وينر Norbert Wiener» – العصـــب الـــذي يتحكم في النظام السياسي، يصعب تصـــوره بـــدون السياسة، بل يصعب تصور أحدهما دون الآخر، أو قيامه بوظائفه بمعزل عنه. فكلا النظامين يتأثر بالآخر ويؤثر فيه.

٢- الـــنظام السياســـي في العالم الثالث وجميع المجتمعات غير المستقرة، ومـــنها الوطـــن العربي، هو الأكثر تأثيراً على نظام الاتصال، والعكس ليس بالضرورة صحيحاً تماماً.

٣- الاتصـــال الـــذي يركز على المسائل السياسية يكون عادة، وليس دائمًا، أداة مساعدة للسياسة.

٤- السياسات الاتصالية، على مستوى النظام السياسي العربي، تتجه إلى دعـــم ســـلطة النظام القائم وتوجهاته في المجالات المختلفة وخدمة مصالحه، بصورة مباشرة.

٥- الارتباط العضوي بين السياسة والاتصال في الوطن العربي، بلغ تأثيره مستوى أصبحت معه هذه العلاقة، التي يصفها بعض الباحثين «بالالتصاقية»، من أهم الخصائص السلبية التي يتصف بها الاتصال العربي المعاصر.

٦- هوية الرسالة الإعلامية، في المجتمعات غير الناضجة وغير المستقرة، تعكس مواقف النخبة الحاكمة وقراراتها.

٧- القائمون بالاتصال يضطلعون بالدور الأساس في عملية التوجيه والتحكم، فهم أصحاب القرار الأخير في اختيار المعلومات والأخبار التي يرغبون في توصيلها إلى الجمهور، كما أن لهم حرية تجاهل ما لا يرغبون في توصيله.

٨- القائمون بالاتصال مرهنون لما يؤمنون به من أفكار ومن نشاط فكري داخلي يصعب عليهم، حتى وإن رغبوا، الانفكاك عنه. فالأفكار، ومن ثمّ النشاط الفكري، التي تكوّن في مجموعها مرتكزاً أساساً من مرتكزات «البعد الفكري»، أو من «الشاكلة» التي نشأ أو نشّئ عليها القائم بالاتصال، هي التي تحكم وجهته وتضبط توجهه.

٩- المؤسسات الصحفية، تخضع، غالباً، فيما تنشره لتوجيهات وسياسات المُغَرْبِلين «حراس البوابة»، الذين يتجسدون مهنياً في القائمين على أمر المؤسسة الاتصالية أو الإعلامية، على مستوى رئيس أو مدير التحرير، أو حتى سكرتير التحرير، فهم المسؤولون في الغالب عن تحديد ما يجب أن ينشر وما يجب ألا ينشر.

١٠- اختيار المادة الاتصالية بشكل عام، والخبرية بشكل خاص، يتم في ضوء مجموعة من المعايير الانتقائية، التي لا تنشأ من فراغ، ولكنها تنشأ نتيجة

لمـــا يعـــتقد الإنسان أنه يحقق أهدافه، وهي تعتبر من أكثر أدوات التوجيه والتحكم كشفاً عن «البعد الفكري» للاتصال السياسي.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول:

١- موقـــف «صـــحف العينة» المعارض، في معظمه، للسلطة السياسية الحاكمة في السودان، في الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء الدراسة، يعكس البنى الهيكلـــية والألوان السياسية والاجتماعية التي تعمل في إطارها هذه الصحف. فهو تعبير عن المواقف والتوجهات السياسية الفكرية للنظام السياسي العربي، في قســـم مـــنه، كما يمثله أصحاب رأس المال وملاك حق الامتياز والإصدار من الوجهة الفكرية للسلطة السياسية الحاكمة، التي كانت تتبنى «الفكرة» المستمدة مـــن الـــرؤية الدينية.. كما يمكن تفهم هذا الموقف، من جانب آخر، في ضوء وجـــود معارضـــة سودانية فاعلة في الدول التي تصدر فيها «صحف العينة» تنشـــط، في إطار المعارضات السياسية العربية، التي غالباً ما تنحاز إلى (الآخر) الغربي، وتحتمي به، وتستمد منه كثيراً من عناصر وجودها وقوتها.

٢- المعالجة الصحفية «لصحف العينة» للشأن السياسي في السودان، لا يمكن فهمهـــا إلا باعتبار أن هذه الصحف تعكس التوجهات والسياسات العامة للدول التي تملكها وتصدر فيها.

٣- ارتفاع نسبة اهتمام الصحافة العربية بموضوع الصراع حول السيادة والـــنفوذ يعود بالدرجة الأولى إلى اهتمام الصحافة المصرية به.. وهو اهتمام يتصـــل بالدرجة الأولى بالعلاقات المصرية السودانية، وبشكل خاص المصالح المصرية في السودان المتمثلة في ثلاث: حلايب، مياه النيل، ومؤسسات التعليم

المصري.. لذلك لم تكن اتجاهات الأهرام إزاء السلطة السياسية الحاكمة تتسم بالثبات، فمن الإيجابية في أرقى حالاتها إلى التوتر في أسوأ صوره.. وكان واضحاً من خلال ذلك أن الصحافة المصرية «الأهرام» لم يكن يعنيها من الشأن السياسي في السودان عموماً إلا ما كان ماساً بتلك المصالح.

٤- عدم اهتمام صحيفة «الخليج» بالشأن السياسي في السودان بشكل عام، وفي إطار «الإشكالية» بشكل خاص، على الرغم من توجهها القومي العربي، لا يمكن فهمه وتفسيره إلا من خلال فهم الموقف السياسي الفكري للصحيفة من السلطة السياسية الحاكمة، الذي يتجسد بشكل واضح في نوعية الأخبار التي عملت على نشرها، وهي إما تتصل بالمعارضة أو بالموقف المصري المعادي للسودان.

٥- اهتمام صحيفة «الحياة» بالشأن السياسي في السودان، يمكن فهمه من خلال أمرين: الأول هو محاولة الصحيفة الاستجابة بقدر المستطاع لما جاء في مذكرة الأمير خالد بن سلطان، مالك رخصة الإصدار، حول سياساتها التحريرية.. والثاني تقدير الصحيفة لحجم القارئ السوداني في مجتمع الخليج.. إلا أنها كانت في الوقت نفسه تعاني حالة من الاضطراب في الموقف من السلطة السياسية الحاكمة وحركة التمرد، التي تعبر عن «الإشكالية» في صورها العسكرية المتفجرة.. ففي الخبر نفسه الذي تصف حركة التمرد بالحركة الشعبية لتحرير السودان والثوار، تصفها أيضاً بالمتمردين والمناوئين للحكومة.. وفي الوقت الذي تصف فيه السلطة السياسية الحاكمة بالحكومة السودانية، تصفها أيضاً بالنظام، وحكومة الجبهة، ونحو ذلك.. ولكل من هذه المفردات مدلولاته السياسية التي قد تصل إلى حد التناقض.

# ثالثاً: الإجابة عن تساؤلات البحث

في ضوء ما تم التوصل إليه من نتائج، يمكن الإجابة عن تساؤلات البحث على النحو الآتي:

**التساؤل الأول:**

ما حجم التغطية الصحفية التي أولتها صحف العينة للشأن السياسي في السودان، بشكل عام، و«الإشكالية في جنوبي السودان»، بشكل خاص، خلال الفترة الزمنية المختارة ؟ وما الدور الذي اضطلعت به صحف العينة، من خلال ذلك، إزاء الصراع في السودان على مستوياته المختلفة: الصراع السياسي حول السلطة، الصراع حول الوطن «الإشكالية»، الصراع حول السيادة والنفوذ «العلاقات الخارجية»؟ بمعنى: هل عملت الصحافة العربية، عينة البحث، خلال الفترة الزمنية المحددة، على:

أ- تجنب الخوض في الصراع، وتجاوز ذلك إلى التركيز على جوانب الاتفاق والوفاق؟

ب- التركيز على الصراع وإبرازه وتضخيمه؟

ج- عدم الاهتمام والاكتفاء بالإشارة إلى الصراع والتأكيد على وجوده؟

بلغت نسبة اهتمام الصحافة العربية بالشأن السياسي في السودان، خلال الإطار الزمني للدراسة، ٦٢,٥%، حيث تم نشر ٤٥ خبراً من أصل ٧٢ عدداً من صحف العينة الثلاث على مدى عامي الدراسة.

وقد عملت «الصحافة العربية المشرقية اليومية»، عينة الدراسة،بشكل عام، خلال الفترة الزمنية المحددة، على إبراز وتضخيم الصراع، على المستويات كلها، خاصة في الحالات التي يمكن أن يصنف الصراع لغير صالح السلطة السياسية الحاكمة.. وكانت الصحافة المصرية بشكل خاص الأكثر

حرصـــاً على تأكيد ديمومة الصراع واستمرارية وجوده، فيما يتصل بالصراع حول السيادة والنفوذ.

**التساؤل الثاني:**

مـــا الأجندة التي تطرحها الصحافة العربية، عينة الدراسة، عند تغطيتها لأخبار السودان بعامة و«الإشكالية» بخاصة؟

احـــتل «الصـــراع حول السيادة والنفوذ» المرتبة الأولى في سلم أولويات «أجندة » واهتمامات «الصحافة العربية المشرقية اليومية» عينة المضمون، بالشأن السياسي في السودان.. وبلغت نسبة اهتمامها بذلك ٥٥%، يلي ذلك «الصراع حول الوطن» بنسبة ٢٧%، وأخيراً «الصراع حول السلطة» بنسبة ١٨%.

وكـــان في مقدمـــة أجندة «صحف العينة» الاهتمام بمشروعات الحل السياسي للإشكالية، والتطور الإيجابي في العلاقات الثنائية.

**التساؤل الثالث:**

مـــا مصدر ومنشأ معلومات الصحافة العربية، عينة الدراسة، عن الحدث السياسي في السودان بشكل عام و«الإشكالية» بشكل خاص؟

اعـــتمدت «صـــحف العيـــنة»، بنسبة كبيرة على مصادرها الذاتية في الحصـــول على موادها الإخبارية حول الشأن السياسي في السودان، إلا أنها كانت تسكت أحياناً عمداً عن البوح بمصادرها.

و كانـــت دول الجـــوار العـــربي، المصدر الأساس لمنشأ المواد الإخبارية «للصحافة العربية المشرقية اليومية» حول الشأن السياسي في السودان، يليها دول المصـــالح، فالسودان، فدول الجوار الإفريقي.. غير أن جنوبي السودان، لم يكن منشأً لأي من تلك المواد الإخـــبارية، بما في ذلك «الصراع حـــول الوطن».. وما كان منشؤه السودان حول «الإشكالية» بخاصة، لم تتجاوز نسبته ٨,٣%، فيما كان منشأ النسبة الأكبر دول مصالح، ودول الجوار العربي، والإفريقي.

**التساؤل الرابع:**

مـــا اتجاهـــات الصـــحافة العربية، عينة الدراسة، إزاء السلطة السياسية الحاكمة في السودان، خلال الفترة الزمنية التي تم فيها إجراء الدراسة ؟

تميل «صحف العينة» بشكل عام لاتخاذ موقف معارض من السلطة السياسية في السودان بشكل عام، بنسبة تصل إلى ٦٠%، بينما لا يتجاوز الموقف المؤيد نســبة ٢٧%.. ويمـــيل الموقـــف من «الصراع حول السلطة» في الغالب إلى المعارضـــــة.. في حـــين أن الموقـــف مـــن «الصراع حول الوطن»، يميل إلى الاضطراب والتردد بين التأييد ومعارضة السلطة الســـياسية الحاكمة.. وكذلك الموقف من «الصراع حول السيادة والنفوذ»، يميل بنسبة كبيرة إلى المعارضة.

**التساؤل الخامس:**

مـــا اتجاهات الصحافة العربية، عينة الدراسة، إزاء «الإشكالية»، خلال الفترة نفسها ؟

اتجاهات «صحف العينة» إزاء «الإشكالية في جنوبي السودان»، في معظمها، انعكاس لاتجاهاتها إزاء السلطة السياسية الحاكمة في السودان، ضمن الإطار الزمني للدراسة.. فكلما كانت «صحف العينة» تتخذ موقفاً إيجابياً من السلطة السياسية الحاكمة، كانت غالباً ما تميل إلى تبني مواقف غير إيجابية من حركة التمرد.. إلا أن الموقف بشكل عام كان يتأرجح بين التأييد الخفي والمعارضة المستترة.

**التساؤل السادس:**

مـــا طبـــيعة «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي، كما يتجلى في اتجاهات الصحافة العربية المشرقية، التي تمثلها العينة المختارة؟

في ضوء ما تم التوصل إليه من نتائج يمكن القول:

إن «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي المعاصر، ممثلاً في «صحف العينة»، كثيراً ما يتسم بالاضطراب وعدم الوضوح والثبات.

# الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .. **وبعد**،

فهذا جهد متواضع، ومحاولة نظرية تطبيقية للإسهام في مسألة «الاتصال السياسي»، تمحورت بشكل أساس حول مفهوم «البعد الفكري»، استقراءً واستنتاجاً، وأداة للنظر والقراءة والاستيعاب والفهم والتحليل وكيفية التعامل، ولفت الانتباه لأهمية استدعائها لساحة الفعل الثقافي والإعلامي، والتأمل في ثمراها المتمثلة بالدرجة الأولى في «إعلام الفكرة»؛ كما تمحورت حول علاقة المفهوم بالإعلام السياسي العربي المعاصر، وجوداً أو عدماً أو اضطراباً، من خلال «اتجاهات الصحافة العربية المشرقية»، إزاء «الإشكالية في جنوبي السودان» بشكل خاص، والسودان ونظامه السياسي الحاكم بشكل عام، كما تتجلى في مضمون أخبار الصفحة الأولى، لثلاث صحف عربية (الأهرام، الحياة، الخليج) خلال الفترة الزمنية الممتدة من الأول من شهر يناير لعام ١٩٩٢م وحتى الحادي والثلاثين من ديسمبر لعام ١٩٩٣م، باستخدام منهج المسح الإعلامي، بشقيه الوصفي والتحليلي، وأداته «تحليل المضمون».

جاء الجهد في قسمين:

تمحور القسم الأول حول العلاقة بين مفهوم «البعد الفكري» وعملية «الاتصال السياسي»، من خلال النظر في: تأثير البعد الفكري في الاتصال السياسي؛ وأثر البعد الفكري في تحقيق الاستبصار وكيفية التعامل الإعلامي، متخذاً من أزمة الخليج الأولى (١٩٩٠-١٩٩١م) أنموذجاً؛ وأثر البعد الفكري في التوليد التواصلي، متخذاً من نظرية «صدام الحضارات» للمفكر الاستراتيجي الأميركي «صامويل هنتنغتون» أنموذجاً.

وحاولت من خلال هذا القسم أن أعرض ابتداءً لمفهوم «البعد الفكري» كـأداة للنظر والفهم والاستيعاب والإدراك والتحليل، اجتهدت قدر وسعي في التعريف به، والتدليل على أهميته، والتأصيل لمرتكزاته، بكل ما يحمله من معاني « التحقق برؤية شاملة.. مفكرة .. متفكرة.. عاقلة.. واعية.. محيطة.. مبصرة.. مرتكزة إلى قيم العقيدة»، وفي هذا الإطار عرضت بشكل سريع لمفهوم «إعلام الفكرة» باعتباره حاجة وضرورة ولازمة سياسية للواقع الإعلامي العربي، وفضاء لا بد منه.

وأما القسم الثاني، فقد اشتمل على دراسة تطبيقية تبحث في إشكالية «البعد الفكري للإعلام السياسي العربي المعاصر».. فعرضت للإطار التطبيقي لدراسة اتجاهات الصحافة العربية المشرقية اليومية، وما ينطوي عليه من خطوات إجرائية، مما هو معتمد في مجال الدراسات الأكاديمية العليا؛ ثم نظرت في اتجاهات الصحافة العربية المشرقية اليومية بتحليل المضمون الإخباري لهذه الصحافة؛ وانتهيت إلى بعض المؤشرات التي تتصل بالبعد الفكري للإعلام السياسي العربي المعاصر، حاولت من خلالها تقديم تفسير لما توصلت إليه من نتائج، وبالتالي الإجابة عن تساؤلات البحث.

وقد انتهيت من ذلك كله إلى مجموعة من التصورات والرؤى، لعل من أهمها:

١ – «البعد الفكري» مفهوم ينطوي على معنى: «التحقق برؤيةٍ شاملة.. مفكرةٍ .. متفكرة .. عاقلة .. واعية.. محيطة.. مبصرة .. مرتكزةٍ إلى قيم العقيدة»، تمنح من يتوفر عليها، إمكانية النظر والفهم والاستيعاب والإدراك للظواهر الإنسانية جميعاً، ومعرفة سننها، وكيفية التعامل معها، والمداخلة فيها لتوجيه سيرورتها والتحكم

بمـــآلات صيرورها..فهو إمكان، وملكة، واكتساب، يتحصلها المرء بقـــدر مـــن الاستعداد النفسي، والتهيؤ الذهني، والاجتهاد العقلي، والكسب المعرفي، يرتقي بها ويترقى بحسن استخدامها ودقة توظيفها، حتى تصبحَ سجيةً من غيرِ تكلف، وفِراسةً صادقةً ذات بصيرة.

٢- «الـــبعد الفكري» حصيلةٌ لمجموعةِ معارفِ الحواسِّ، التي يستخدمُها الإنسانُ جميعاً ليتولى العقلُ النظرَ والتحليلَ والمقارنةَ والترشيدَ والتوليد.

٣- «الـــبعد الفكـــري»، يقوم على ثمانية مرتكزات أساس: الشمول والإحاطـــة في الـــنظر؛ التفكير في الأمور المعلومة؛ التفكر في معاني الأشـــياء؛ إعمال العقل لإدراك الغايات والعواقب؛ الوعي المطلوب لـــتوفر القدرة والإرادة؛ الإحاطة بعلم الشيء؛ البصيرة المتولدة عن ذلك كله؛ الارتكاز إلى قيم العقيدة.

٤- «الـــبعد الفكـــري» يقترب، من بعض الوجوه، من مفهوم «العين الســـحرية» عـــند المفكر الاستراتيجي العربي المسلم مالك بن نبي، رحمـــه الله، ومفهوم «النظارة الحضارية» عند المفكرِ الاستراتيجي والسياسي الأميركي «زبيغنيو بريجنسكي»، التي بدونها يفتقدُ المفكر والمثقف والباحث والإنسان بعامةٍ، والإعلاميُّ بخاصة، القدرةَ على الإبصـــار: إبصـــارِ الماضي (التاريخ) بعبرهِ وعظاته وتجاربه وعلاقة الحاضر به؛ والحاضرِ (الواقع) بمشكلاته وتعقيداته وكيفيات التعامل معه للمستقبل؛ والمستقبلِ (الأمل) بغيوبه واحتمالاته..

٥- الإعلام إذا افتقد «البعد الفكري»، البوصلة، والسراج الذهني المنير، يصاب بالتخبط والاضطراب وضلال الوجهة.

٦- الإعلام العربي، لسبب أو لآخر مما لا يتسع المجال لذكره، يعاني، في معظمه، اضطراباً وافتقاداً لأدوات الإبصار والنظر «البعد الفكري» في مقابل الإعلام الغربي الذي يتميز بحضور واضح لهذه الأدوات، التي منحته قدرة على الإبصار وإمكاناً لحسن التعامل مع «الآخر» الحضاري في ضوء ذلك.

٧- «البعد الفكري»، المرتكز إلى قيم العقيدة، هو الذي يمنح الاتصال الرؤية والمرجعية وإمكانية الإبصار والقدرة على التأثير والمداخلة لتغيير السلوك، كما يمنح في الوقت نفسه إمكانية الصمود أمام المحاولات التي تستهدف المعتقدات والثقافة والسلوك، وليس الواقع في وسائل الإعلام هو الذي يؤثر في المعتقدات، وبالتالي في سلوك الإنسان،كما تقول بذلك نظرية «الاتجاه السائد».

٨- تأثير الاتصال على السياسية، أو العكس، لا يتحقق إلا إذا توفرت شروطه، ومن أهم هذه الشروط توفر ما يجب أن يكون من «البعد الفكري» في كلتا العمليتين: الاتصال، والسياسة.. فكل نشاط إنساني، وبخاصة إذا كان اتصالياً أو سياسياً، يدير ظهره للفكرة، كما يعبر مالك بن نبي، رحمه الله، يصاب بالشلل.. أما إذا افتقد «البعد الفكري»، فإنه يصاب بالاضطراب والعمى والضلال عن الوجهة القاصدة.

٩- «إعلام الفكرة» ثمرة من ثمرات «البعد الفكري»، ونتاج طبيعي من تجلياته في ساحة الاتصال والعمل الإعلامي.. وهما وجهان متلازمان لحقيقة واحدة، ورباط وثيق لا ينفك.. فحيثما وجد إعلام فهو يعبر عن «فكرة» يعمل لصالحها وخدمة أهدافها، وثمة «بعد فكري»

يقف من ورائه، يمنحه القدرة على النظر والعمل والعطاء والتوليد والتمكين.. فهو الفضاء الواسع، الذي يضطلع «البعد الفكري» بترسيم حدوده وتعيين أبعاده وإبصار آفاقه.. وهو مفهوم ينبثق في أصله عن حقيقة مهمة تتلخص في أنه: لا يمكن تصور وجود «إعلام» ذكي ناجح «بلا فكرة» وإن كنا قد نتوقع وجود «فكرة» بلا «إعلام» يحملها إلى العالمين.

١٠- التوجيه والتحكم ثمرة أخرى من ثمرات «البعد الفكري»، وحاسة من الحواس المتقدمة التي يمنحها لمن يتوفر عليه، ووجهان متلازمان يعبران عن حقيقته، ويتجلى حضورهما وتأثيرهما، في إطار الاتصال، أكثر مما يتجلى في غيره، فليس ثمة توجيه للمادة الاتصالية بعيداً عن التحكم في أدوات توصيلها، وليس ثمة تحكم دون أن يسبقه إبصار للوجهة التي تسير صوبها المادة الاتصالية وتعمل على خدمتها.

١١- الاضطراب في «البعد الفكري» يؤدي إلى اضطراب في الرؤى والتقويمات، وضياع للوجهة.

١٢- التحكم، في الإعلام العربي، إفراز طبيعي لاضطراب «البعد الفكري»، وليس لوضوحه، كما هو الحال بالنسبة للإعلام الغربي.. وهو مؤشر عليه ومؤكد له في الوقت نفسه.

١٣- «الإمكان» ثمرة أخرى من ثمرات «البعد الفكري» وطاقة من بعض عطائه.. وثمرات «البعد الفكري» كلها «إمكان»؛ وإمكانه كله مثمر.. وهو، فضلاً عن ذلك، يشكل حاسة للنظر والاستبصار وحسن التعامل والقراءة «للآخر»، وإرادة للفعل والتوليد والإنتاج، يتجلى عطاؤه الاتصالي، في مجال الاتصال والإعلام بخاصة، في

مـــا يمنحه «للقائم بالاتصال» من قدرات على إبداع الفكر وإنتاج الفعل في ساحات العمل المثمر على مائدة «إعلام الفكرة» القاصد.

١٤- الإعـــلام العـــربي محكـــوم بأنمـــاط ثلاثة من التحكم: التحكم الاستبدادي، الذي يسعى لمحاولة إلغاء الآخر، مواطناً كان أو جماعة أو دولـــة شقيقة أو صديقة، وإسكات صوته، وتغييب رأيه، وفرض الـــرأي الواحد، بغض النظر عن مدى قبول المستقبِل أو رفضه له؛ والتحكم الخضوعي، الذي يكون فيه المتحكم خاضعاً، فيما يتحكم فيه لتوجهات (الآخر) وإعلامه ومادته الاتصالية؛ والتحكم الرغائبي، الـــذي يتجاوز فيه المُتحكِّم حدود التحكم الممكنة في ما يملك إلى الرغبة بالتحكم في ما لا يملك.

١٥- الصحافة العربية، بسبب اضطراب «البعد الفكري»، تصنع صورة سالبة للسودان، وتصوره على أنه بلد يفتقر إلى الاستقرار السياسي والاقتصـــادي خاصـــة، وتسوده نزعات من التمييز الديني والعرقي والـــثقافي.. وتسلب فيه الحريات، وتنتهك الحقوق، ويصادر الرأي الآخر، ويلاقي المعارضون صنوفاً من التعذيب.

١٦- الصـــحافة العربية تسهم بشكل سلبي، بسبب اضطراب « البعد الفكـــري»، في تعمـــيق مـــا يُلحظ من خلط وتخليط لدى بعض السياســـيين السودانيين بين العداء للوطن والعداء للسلطة السياسية الحاكمـــة، وذلك بتبني والترويج لمواقف ودعوات القوى السياسية المعارضة، المنادية بعزل السودان سياسياً، وحصاره اقتصادياً، وتمزيقه اجتماعـــياً، وتقســـيمه عرقياً وجغرافياً، وضربه عسكرياً، وتدويل مشـــكلاته، وحث الدول والمنظمات الدولية والإقليمية على اتخاذ مواقف عدائية منه.

١٧- الصحافة العربية كثيراً ما تنظر لعلاقات السودان الخارجية، بمنظار أحادي البعد، يُحمّل السودان من خلاله مسؤولية ما ينشأ من مشكلات وتوترات في علاقاته الخارجية.

١٨- اتجاهات الصحافة العربية إزاء السودان بشكل عام و«الإشكالية» في جنوبيه بشكل خاص، تتسم في كثير منها بتبني وجهة النظر الغربية، التي لا تخرج عن كونها امتداداً للموقف الحضاري الغربي من الحضارة العربية الإسلامية، وتجلياتها في الأفكار والأشخاص والمؤسسات والجماعات والدول، وذلك بالتركيز على الاهتمامات نفسها، والترويج للاتهامات والطروحات ذاتها، واستخدام الرموز والمصطلحات عينها.

١٩- الصحافة العربية تستخدم المنهج الغربي في مواجهة الفكرة الدينية «الإسلامية»، تجسيدًا لها في شخص (أو أشخاص) حيناً، وفي جماعة أو حركة أحياناً أخرى، أو تشويشاً عليها، أو تخويفاً وتحذيراً منها، أو إشاعة لجو من الكراهية والعداء ضدها.

٢٠- الصحافة العربية، المصرية بخاصة، لا يعنيها من الشأن السياسي في السودان إلا ما كان متصلاً بالمصالح المصرية.

٢١- الصحافة العربية الأكثر اهتماماً، سلبياً، بالشأن السوداني هي ما كان القائم بالاتصال فيها (المندوب، المراسل) سودانياً أو مراسلاً من القاهرة.

٢٢- الخبر الصحفي، من خلال معالجته، من أكثر القوالب الصحفية دقة في التعبير عن اتجاهات الصحافة العربية المشرقية، ومن ثمّ عن «البعد الفكري» للإعلام السياسي العربي.

# ملحق رقم (١)

## «جدول الانحياز الوصفي»

## اتجاهات صحف العينة إزاء السلطة السياسية الحاكمة في السودان وحركة التمرد

## من خلال عبارات«الانحياز الوصفي»

أولاً: السلطة السياسية الحاكمة:

| م | إيجابي (مؤيد) | غير إيجابي (معارض) | التكرار | النسبة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | الحكومة السودانية | -- | | |
| ٢ | ثورة الإنقاذ الوطني | -- | | |
| ٣ | | حكومة الخرطوم | | |
| ٤ | | نظام الخرطوم | | |
| ٥ | | نظام البشير الترابي | | |
| ٦ | | نظام الفريق البشير | | |
| ٧ | | حكومة البشير | | |
| ٨ | | نظام(حكومة) الجبهة | | |
| ٩ | | نظام مدعوم من قِبل الجبهة | | |
| ١٠ | | النظام | | |

ثانياً: حركة التمرد:

| م | إيجابي (مؤيد) | غير إيجابي (معارض) | التكرار | النسبة |
|---|---|---|---|---|
| ١ | الحركة(الجيش) الشعبية لتحرير السودان | | | |
| ٢ | الثوار | -- | | |
| ٣ | المعارضة العسكرية الجنوبية | | | |
| ٤ | | حركة التمرد (المتمردون) | | |
| ٥ | | المناوئون | | |

# ملحق رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

## البعد الفكري للإعلام السياسي العربي

## دراسة في اتجاهات الصحافة العربية المشرقية (١٩٩٢-١٩٩٣م)

## الإشكالية في جنوبي السودان أنموذجاً

## استمارة تحليل المضمون

### أولاً: بيانات الصحيفة:

(١) اسم الصحيفة: أ - الأهرام ب - الحياة ج - الخليج

(٢) تاريخ الصدور:

(٤) رقم العدد:

(٥) مدى وجود الظاهرة: أ- موجودة ب- غير موجودة

## ثانياً: فئات تصنيف المضمون:

| الفئات الرئيسة | الفئات الفرعية | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| فئات الموضوع | الصراع حول السلطة | محاولات التغيير سياسياً | محاولات التغيير بالعنف | محاولات الإصلاح السياسي | | |
| | الصراع حول الوطن | العمل العسكري (لصالح السلطة) | العمل العسكري (لصالح الحركة) | مشروعات الحل السياسي | | |
| | الصراع حول السيادة والنفوذ | تطور إيجابي في العلاقات الثنائية | توتر (بسبب ممارسات السلطة) | توتر (بسبب ممارسات الدول الأخرى) | | |
| الأجندة إزاء الإشكالية | وحدة | انفصال | حكم ذاتي | سودان حديث | | |
| فئات السمات | السمات الفكرية للسلطة | السمات السياسية للسلطة | السمات الفكرية للحركة | السمات السياسية للحركة | | |
| فئات المصدر | ذاتية | مندوب صحفي | مراسل خارجي | | | |
| | غيرية | سودانية رسمية | سودانية معارضة | عربية وإفريقية | غربية | أخرى |
| فئات المنشأ | السودان | جنوبي السودان | دول الجوار العربي | دول الجوار الإفريقي | دول مصالح | أخرى |
| فئات الاتجاه | إزاء السلطة الحاكمة | مؤيد | معارض | آخر | | |
| | إزاء حركة التمرد | مؤيد | معارض | آخر | | |

## لثاً: فئات تصنيف الشكل( فئات قياس درجة الاهتمام ومستوى الصراع ):

| م | الفئات الرئيسة | الفئات الفرعية | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | الموقع | رئيس أول (مانشيت١) | | رئيس ثاني (مانشيت٢) | | خبر أولى |
| ٢ | مساحة الخبر | ٨ أعمدة | ٥-٧ أعمدة | ٣-٤ أعمدة | عمودان | عمود واحد |
| ٣ | مساحة العنوان | ٨ أعمدة | ٥-٧ أعمدة | ٣-٤ أعمدة | عمودان | عمود واحد |
| ٤ | حجم العنوان | ثلاثة خطوط مع وحدة المضمون | ثلاثة خطوط بدون وحدة المضمون | خطان مع وحدة المضمون | خطان بدون وحدة المضمون | خط واحد |

## ملحق رقم(٣)

### خريطة تصنيف الفئات(١٩٩٢م)

| الصحيفة | التاريخ | الصراع حول السلطة | الصراع حول الوطن | الصراع حول السيادة والنفوذ | مصادر ذاتية | مصادر غيرية | المنشأ | الموقع | مساحة الخبر | مساحة العنوان | حجم العنوان |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| حياة | ٩٢/٠١/١٨ | | مشروعات الحل السياسي | | مندوب بالهاتف | | دول المصالح | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٣/١٨ | | | تطور إيجابي | لم تذكر | | لم يذكر | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٤/٢٢ | | العمل العسكري لصالح السلطة | | مراسل خارجي | | السودان ودول مصالح | رئيس أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | ثلاثة بدون |
| خليج | ٩٢/٠٢/١٦ | محاولات التغير سياسياً | | | مراسل خارجي | | دول الجوار العربي | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | خطان مع |
| خليج | ٩٢/٠٨/١٦ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | مراسل خارجي | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمودان | عمودان | ٣مع وحدة |
| أهرام | ٩٢/٠٣/١٨ | | | تطور إيجابي | | عربية | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمودان | عمودان | ٣مع وحدة |
| أهرام | ٩٢/٠٥/٢٧ | | مشروعات الحل السياسي | | لم تذكر | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٧/١٧ | | العمل العسكري لصالح السلطة | | مراسل خارجي | | السودان | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٨/١٦ | محاولات التغير بالعنف | | | مندوب صحفي | | دول المصالح | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٢/٠٨/١٦ | | | تطور إيجابي | | وكالات غربية | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمودان | عمودان | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٩/١٠ | | مشروعات الحل السياسي | | مراسل خارجي | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٥/٢٧ | محاولات التغير بالعنف | | | مندوب بالهاتف | | دول المصالح | رئيس أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٢/٠٥/٢٧ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | مراسل خارجي | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمودان | عمودان | خطان بدون |
| حياة | ٩٢/٠٥/٢٧ | | مشروعات الحل السياسي | | مراسل خارجي | | السودان ودول إفريقية | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٢/٠٦/٠٧ | محاولات التغير بالعنف | | | مراسل خارجي | | السودان | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | خطان مع |
| حياة | ٩٢/٠٥/١٧ | | العمل العسكري لصالح السلطة | | مراسل خارجي | | السودان ودول مصالح | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٢/١١/٢٨ | | مشروعات الحل السياسي | | لم تذكر | | دول الجوار الأفريقي | خبر أولى | عمودان | عمودان | خطان مع |
| حياة | ٩٢/١٢/١٤ | | | توتر بسبب السلطة | مراسل خارجي | | السودان ودول عربية | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | ثلاثة بدون |
| أهرام | ٩٢/٠٥/١٧ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | مراسل خارجي | | دول المصالح | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| أهرام | ٩٢/٠٦/٠٧ | | | تطور إيجابي | لم تذكر | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| أهرام | ٩٢/٠٨/١٦ | | | تطور إيجابي | لم تذكر | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| أهرام | ٩٢/٠٩/١٠ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | | أكثر من مصدر | دول عربية | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| أهرام | ٩٢/١١/٢٨ | | | توتر بسبب السلطة | لم تذكر | | دول الجوار العربي | خبر أولى | ٤-٣أعمدة | ٤-٣أعمدة | خطان مع |
| أهرام | ٩٢/١٢/١٤ | | | تطور إيجابي | لم تذكر | | دول الجوار العربي | خبر أولى | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |

ملحق رقم (٤)

خريطة تصنيف الفئات (١٩٩٣م)

| الصحيفة | التاريخ | الصراع حول السلطة | الصراع حول الوطن | الصراع حول السيادة والنفوذ | مصادر ذاتية | مصادر غيرية | المنشأ | الموقع من الصفحة | مساحة الخبر | مساحة العنوان | حجم العنوان |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| حياة | ٩٣/٠١/٢٢ | | | تطور إيجابي | مراسل خارجي | | السودان ودول مصالح | رئيس ثاني | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣بدون وحدة |
| حياة | ٩٣/٠٢/٢٠ | محاولات الإصلاح السياسي | | | مندوب بالهاتف | | دول المصالح | خبر أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣بدون وحدة |
| حياة | ٩٣/٠٤/١١ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | مراسل خارجي | | أكثر من منشأ | رئيس أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣بدون وحدة |
| حياة | ٩٣/٠٣/٠٧ | | مشروعات الحل السياسي | | مراسل خارجي | | أكثر من منشأ | رئيس ثاني | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣بدون وحدة |
| خليج | ٩٣/٠٤/١١ | محاولات التغير سياسياً | | | مراسل خارجي | | السودان | خبر أولي | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| خليج | ٩٣/٠٦/٢٣ | | | توتر بسبب السلطة | تجمع بين الثنائية | | السودان ودول عربية | خبر أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣مع وحدة |
| أهرام | ٩٣/١٢/١٤ | | | توتر بسبب السلطة | لم تذكر | - | لم يذكر | خبر أولي | عمود واحد | عمود واحد | خطان بدون |
| خليج | ٩٣/٠١/٢٢ | | | تطور إيجابي | مراسل خارجي | | السودان | خبر أولي | عمودان | عمودان | خطان مع |
| خليج | ٩٣/٠٢/٢٠ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | - | - | - | خبر أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٣/٠٧/٠٨ | محاولات التغير بالعنف | | | مراسل خارجي | | السودان | خبر أولي | عمودان | عمودان | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٣/٠٨/١٣ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | مراسل خارجي | | السودان ودول مصالح | خبر أولي | ٥-٧عمود | ٥-٧عمود | ٣بدون وحدة |
| أهرام | ٩٣/٠٨/١٣ | | مشروعات الحل السياسي | | | وكالات | دول المصالح | خبر أولي | عمودان | عمودان | خط واحد |
| حياة | ٩٣/٠٥/١٨ | | مشروعات الحل السياسي | | مندوب صحفي | | دول إفريقية | خبر أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣بدون وحدة |
| حياة | ٩٣/٠٦/٢٣ | | | توتر بسبب السلطة | مراسل خارجي | | السودان ودول عربية | خبر أولي | عمود واحد | عمود واحد | ٣مع وحدة |
| حياة | ٩٣/١٠/٢٤ | | مشروعات الحل السياسي | | مراسل خارجي | | دول المصالح | خبر أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣مع وحدة |
| أهرام | ٩٣/٠٤/١١ | | | توتر بسبب السلطة | مراسل خارجي | | دول المصالح | رئيس أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | ٣مع وحدة |
| أهرام | ٩٣/٠٥/١٨ | | | تطور إيجابي | لم تذكر | - | لم يذكر | خبر أولي | عمود واحد | عمود واحد | ٣بدون وحدة |
| أهرام | ٩٣/٠٦/٢٣ | | | توتر بسبب السلطة | لم تذكر | | لم يذكر | خبر أولي | عمود واحد | عمود واحد | ٣بدون وحدة |
| حياة | ٩٣/١١/٠١ | محاولات الإصلاح السياسي | | | مراسل خارجي | | السودان ودول مصالح | خبر أولي | ٣-٤أعمدة | ٣-٤أعمدة | خطان بدون |
| أهرام | ٩٣/٠١/٣٢ | | | توتر بسبب السلطة | | وكالات | دول عربية | خبر أولي | عمود واحد | عمود واحد | خطان مع |
| خليج | ٩٣/١٠/٢٤ | | | توتر بسبب الدول الأجنبية | | وكالات غربية | - | خبر أولي | عمرد واحد | عمود واحد | ٣مع وحدة |

فهرس الموضوعات